سلسلة تفسير القرآن
١٧

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء الحادي عشر

ندقيق
أسعد جمعة

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء الحادي عشر

سُورَةُ طٰهٰ

سُورَةُ طَهَ

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا آيَتَيْ 130 وَ131 فَمَدَنِيَّتَانِ]
وَهِيَ 135 آيَةٌ
[نَزَلَتْ بَعْدَ مَرْيَمَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرض وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا﴾[1]

﴿طه﴾ [2]أَبُو عَمْرٍو؛ فَخَّمَ الطَّاءَ لِاسْتِعْلَائِهَا، وَأَمَالَ الْهَاءَ وَفَخَّمَهَا ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ عَلَى الْأَصْلِ، وَالْبَاقُونَ أَمَالُوهُمَا.

وَعَنِ الْحَسَنِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "طَهَ"، وَفُسِّرَ بِأَنَّهُ أَمْرٌ بِالْوَطْءِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ يَقُومُ فِي تَهَجُّدِهِ عَلَى إِحْدَى رِجْلَيْهِ، فَأُمِرَ بِأَنْ يَطَأَ الأرض بِقَدَمَيْهِ مَعًا.

وَأَنَّ الْأَصْلَ طَأْ، فَقُلِبَتْ هَمْزَتُهُ هَاءً، أَوْ قُلِبَتْ أَلِفًا فِي يَطَأُ فِيمَنْ قَالَ:

لَا هَنَاكِ الْمَرْتَـــــــــــعُ

ثُمَّ بُنِيَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَالْهَاءُ لِلسَّكْتِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكْتَفِيَ بِشَطْرَيِ الِاسْمَيْنِ، وَهُمَا: الدَّالَّانِ بِلَفْظِهِمَا عَلَى الْمُسَمَّيَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ مَا يُقَالُ: إِنَّ "طَاهَا": فِي لُغَةِ عَكَّ فِي مَعْنَى: يَا رَجُلُ.

وَلَعَلَّ عَكًّا تَصَرَّفُوا فِي: "يَا هَذَا" كَأَنَّهُمْ فِي لُغَتِهِمْ قَالِبُونَ الْيَاءَ طَاءً، فَقَالُوا فِي "يَا": "طَا"، وَاخْتَصَرُوا هَذَا فَاقْتَصَرُوا عَلَى هَا، وَأَثَرُ الصَّنْعَةِ ظَاهِرٌ لَا يَخْفَى فِي الْبَيْتِ الْمُسْتَشْهَدِ بِهِ:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَاهَا فِي خَلَائِقِكُمْ لَا قَدَّسَ اللَّهُ أَخْلَاقَ الْمَلَاعِينِ

الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ فِي الْفَوَاتِحِ، أَعْنِي: الَّتِي قَدَّمْتُهَا فِي أَوَّلِ الْكَاشِفِ عَنْ حَقَائِقِ التَّنْزِيلِ، هِيَ الَّتِي يُعَوِّلُ عَلَيْهَا الْأَلِبَّاءُ الْمُتْقِنُونَ.

﴿مَا أَنْزَلْنَا﴾[1]: إِنْ جَعَلْتَ ﴿طه﴾[2]: تَعْدِيدًا لِأَسْمَاءِ الْحُرُوفِ عَلَى الْوَجْهِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فَهُوَ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ، وَإِنْ جَعَلْتَهَا اسْمًا لِلسُّورَةِ احْتَمَلَتْ أَنْ تَكُونَ خَبَرًا عَنْهَا، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ.

وَ﴿الْقُرْآنَ﴾[3]: ظَاهِرٌ أُوقِعَ مَوْقِعَ الضَّمِيرِ؛ لِأَنَّهَا قُرْآنٌ، وَأَنْ يَكُونَ جَوَابًا لَهَا، وَهِيَ قَسَمٌ.

وَقُرِئَ: "مَا نَزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ" "لِتَشْقَى لِتَتْعَبَ، بِفَرْطِ تَأَسُّفِكَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَحَسُّرِكَ عَلَى أَنْ يُؤْمِنُوا؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾[4].

وَالشَّقَاءُ يَجِيءُ فِي مَعْنَى: التَّعَبِ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ: أَشْقَى مِنْ رَائِضِ مُهْرٍ، أَيْ: مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَ وَتُذَكِّرَ، وَلَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَا مَحَالَةَ، بَعْدَ أَنْ لَمْ تُفَرِّطْ فِي أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّأَبَا جَهْلٍ وَالنَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، قَالَا لَهُ: إِنَّكَ شَقِيٌّ؛ لِأَنَّكَ تَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ، فَأُرِيدَ رَدُّ ذَلِكَ بِأَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ وَهَذَا الْقُرْآنَ هُوَ السُّلَّمُ إِلَى نَيْلِ كُلِّ فَوْزٍ.

وَالسَّبَبُ فِي دَرْكِ كُلِّ سَعَادَةٍ، وَمَا فِيهِ الْكَفَرَةُ هُوَ الشَّقَاوَةُ بِعَيْنِهَا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة الشُّعَرَاءِ، الآية 33.

وَرُوِيَ أَنَّهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– صَلَّى بِاللَّيْلِ حَتَّى اسْمَغَدَتْ قَدَمَاهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ؛ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا، أَيْ: مَا أَنْزَلْنَاهُ لِتُنْهِكَ نَفْسَكَ بِالْعِبَادَةِ وَتُذِيقَهَا الْمَشَقَّةَ الْفَادِحَةَ، وَمَا بُعِثْتَ إِلَّا بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ ﴿لِتَشْقَى﴾[1]، وَ﴿تَذْكِرَةً﴾[2]: عِلَّةٌ لِلْفِعْلِ، إِلَّا أَنَّ:

– الْأَوَّلَ وَجَبَ مَجِيئُهُ مَعَ اللَّامِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِفَاعِلِ الْفِعْلِ الْمُعَلَّلِ فَفَاتَتْهُ شَرِيطَةُ الِانْتِصَابِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ.

– وَالثَّانِي: جَازَ قَطْعُ اللَّامِ عَنْهُ، وَنَصْبُهُ؛ لِاسْتِجْمَاعِهِ الشَّرَائِطَ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَمَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ تَشْقَى، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾[3]؟

قُلْتُ: بَلَى، وَلَكِنَّهَا نَصْبَةٌ طَارِئَةٌ، كَالنَّصْبَةِ فِي: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾[4].

وَأَمَّا النَّصْبَةُ فِي تَذْكِرَةً، فَهِيَ كَالَّتِي فِي: ضَرَبْتُ زَيْدًا؛ لِأَنَّهُ أَحَدُ الْمَفَاعِيلِ الْخَمْسَةِ الَّتِي هِيَ أُصُولٌ وَقَوَانِينُ لِغَيْرِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿تَذْكِرَةً﴾[5]: بَدَلًا مِنْ مَحَلِّ: ﴿لِتَشْقَى﴾[6]؟

قُلْتُ: لَا؛ لِاخْتِلَافِ الْجِنْسَيْنِ، وَلَكِنَّهَا نَصْبٌ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ الْمُنْقَطِعِ الَّذِي ﴿إِلَّا﴾[7] فِيهِ بِمَعْنَى: "لَكِنْ".

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَحْتَمِلَ مَتَاعِبَ التَّبْلِيغِ، وَمُقَاوَلَةَ الْعُتَاةِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَمُقَاتَلَتِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَشَاقِّ وَتَكَالِيفِ النُّبُوَّةِ، وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ هَذَا الْمُتْعِبَ الشَّاقَّ إِلَّا لِيَكُونَ تَذْكِرَةً.

وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَذْكِرَةً حَالًا وَمَفْعُولًا لَهُ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة الْحُجُرَاتِ، الآية 2.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾[1]: لِمَنْ يَؤُولُ أَمْرُهُ إِلَى الْخَشْيَةِ، وَلِمَنْ يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ يُبَدِّلُ بِالْكُفْرِ إِيمَانًا وَبِالْقَسْوَةِ خَشْيَةً، فِي نَصْبِ: ﴿تَنْزِيلا﴾[2] وُجُوهٌ:

– أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ تَذْكِرَةً إِذَا جُعِلَ حَالًا، لَا إِذَا كَانَ مَفْعُولًا لَهُ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يُعَلَّلُ بِنَفْسِهِ،

– وَأَنْ يُنْصَبَ بِنَزَلَ مُضْمَرًا، وَأَنْ يُنْصَبَ بِأَنْزَلْنَا؛ لِأَنَّ مَعْنَى: مَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا تَذْكِرَةً: أَنْزَلْنَا تَذْكِرَةً،

– وَأَنْ يُنْصَبَ عَلَى الْمَدْحِ وَالِاخْتِصَاصِ، وَأَنْ يُنْصَبَ بِيَخْشَى مَفْعُولًا بِهِ، أَيْ: أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلَ اللَّهِ، وَهُوَ مَعْنًى حَسَنٌ وَإِعْرَابٌ بَيِّنٌ.

وَقُرِئَ: "تَنْزِيلُ": بِالرَّفْعِ عَلَى خَبَرِ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، مَا بَعْدَ ﴿تَنْزِيلًا﴾[3] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[4]؛ تَعْظِيمٌ وَتَفْخِيمٌ لِشَأْنِ الْمَنَزَّلِ، لِنِسْبَتِهِ إِلَى مَنْ هَذِهِ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ.

وَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقُهُ إِمَّا: ﴿تَنْزِيلا﴾[5] نَفْسَهُ فَيَقَعُ صِلَةً لَهُ، وَإِمَّا مَحْذُوفًا فَيَقَعُ صِفَةً لَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا فَائِدَةُ النَّقْلَةِ مِنْ لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى لَفْظِ الْغَائِبِ؟

قُلْتُ: غَيْرُ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَادَةُ الِافْتِنَانِ فِي الْكَلَامِ، وَمَا يُعْطِيهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالرَّوْعَةِ؛ وَمِنْهَا أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِنَّمَا تَسَرَّدَتْ مَعَ لَفْظِ الْغَيْبَةِ؛ وَمِنْهَا أَنَّهُ قَالَ أَوَّلًا: ﴿أَنْزَلْنَا﴾[6]، فَفَخَّمَ بِالْإِسْنَادِ إِلَى ضَمِيرِ الْوَاحِدِ الْمُطَاعِ، ثُمَّ ثَنَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُخْتَصِّ بِصِفَاتِ الْعَظَمَةِ وَالتَّمْجِيدِ، فَضُوعِفَتِ الْفَخَامَةُ مِنْ طَرِيقَيْنِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿أَنْزَلْنَا﴾[7]: حِكَايَةً لِكَلَامِ جِبْرِيلَ وَالْمَلَائِكَةِ النَّازِلِينَ مَعَهُ، وُصِفَ السَّمَاوَاتُ بِالْعُلَا: دَلَالَةً عَلَى عِظَمِ قُدْرَةِ مَنْ يَخْلُقُ مِثْلَهَا فِي عُلُوِّهَا وَبُعْدِ مُرْتَقَاهَا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[1]

قُرِئَ: "الرَّحْمَنِ": مَجْرُورًا صِفَةً لِمَنْ خَلَقَ وَالرَّفْعُ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ رَفْعًا عَلَى الْمَدْحِ عَلَى تَقْدِيرِ: هُوَ الرَّحْمَنُ؛ وَإِمَّا: أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً مُشَارًا بِلَامِهِ إِلَى مَنْ خَلَقَ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[2]: مَا مَحَلُّهَا إِذَا جَرَرْتُ الرَّحْمَنَ أَوْ رَفَعْتُهُ عَلَى الْمَدْحِ؟

قُلْتُ: إِذَا جَرَرْتَ فَهِيَ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ لَا غَيْرَ، وَإِنْ رَفَعْتَ جَازَ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ، وَأَنْ تَكُونَ مَعَ الرَّحْمَنِ خَبَرَيْنِ لِلْمُبْتَدَأِ؛ لِمَا كَانَ الِاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ، وَهُوَ سَرِيرُ الْمُلْكِ مِمَّا يُرْدِفُ الْمَلِكَ، جَعَلُوهُ كِنَايَةً عَنِ الْمَلِكِ؛ فَقَالُوا: اسْتَوَى فُلَانٌ عَلَى الْعَرْشِ، يُرِيدُونَ: مَلَكَ وَإِنْ لَمْ يَقْعُدْ عَلَى السَّرِيرِ الْبَتَّةَ.

وَقَالُوهُ أَيْضًا– لِشُهْرَتِهِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى وَمُسَاوَاتِهِ بِأَمْلَكَ فِي مُؤَدَّاهُ، وَإِنْ كَانَ أَشْرَحَ وَأَبْسَطَ وَأَدَلَّ عَلَى صُورَةِ الْأُمِّ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُكَ: يَدُ فُلَانٍ مَبْسُوطَةٌ، وَيَدُ فُلَانٍ مَغْلُولَةٌ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ جَوَادٌ أَوْ بَخِيلٌ، لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ إِلَّا فِيمَا قُلْتَ، حَتَّى أَنَّ مَنْ لَمْ يَبْسُطْ يَدَهُ قَطُّ: بِالنَّوَالِ أَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ يَدٌ رَأْسًا قِيلَ فِيهِ: يَدُهُ مَبْسُوطَةٌ لِمُسَاوَاتِهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَهُمْ: هُوَ جَوَادٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[3]، أَيْ هُوَ بَخِيلٌ.

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[4]، أَيْ: هُوَ جَوَادٌ، مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرِ يَدٍ وَلَا غِلٍّ وَلَا بَسْطٍ، وَالتَّفْسِيرُ بِالنِّعْمَةِ وَالتَّمَحُّلِ لِلتَّثْنِيَةِ مِنْ ضِيقِ الطَّعْنِ وَالْمُسَافَرَةِ عَنْ عِلْمِ الْبَيَانِ مَسِيرَةَ أَعْوَامٍ.

﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[5]: مَا تَحْتَ سَبْعِ الأرضين.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَعَنِ السُّدِّيِّ: هُوَ الصَّخْرَةُ الَّتِي تَحْتَ الأرض السَّابِعَةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة الْمَائِدَةَ، الآية 64.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[1]

أَيْ: يَعْلَمُ مَا أَسْرَرْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ وَأَخْفَى مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ مَا أَخْطَرْتَهُ بِبَالِكَ، أَوْ مَا أَسْرَرْتَهُ فِي نَفْسِكَ.

﴿وَأَخْفَى﴾[2]: مِنْهُ، وَهُوَ مَا سَتُسِرُّهُ فِيهَا، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ أَخْفَى فِعْلٌ، يَعْنِي: أَنَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَ الْعِبَادِ وَأَخْفَى عَنْهُمْ مَا يَعْلَمُهُ؛ هُوَ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[3]، وَلَيْسَ بِذَاكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَابَقَ الْجَزَاءَ الشَّرْطُ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَإِنْ تَجْهَرْ بِذِكْرِ اللَّهِ مِنْ دُعَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ جَهْرِكَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ نَهْيًا عَنِ الْجَهْرِ؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[4]، وَإِمَّا تَعْلِيمًا لِلْعِبَادِ أَنَّ الْجَهْرَ لَيْسَ لِإِسْمَاعِ اللَّهِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ لِغَرَضٍ آخَرَ.

﴿الْحُسْنَى﴾[5]: تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ، وُصِفَتْ بِهَا الْأَسْمَاءُ؛ لِأَنَّ حُكْمَهَا حُكْمُ الْمُؤَنَّثِ؛ كَقَوْلِكَ: الْجَمَاعَةُ الْحُسْنَى، وَمِثْلُهَا: ﴿مَأَرِبُ أُخْرَى﴾[6]، وَ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[7]، وَالَّذِي فُضِّلَتْ بِهِ أَسْمَاؤُهُ فِي الْحُسْنِ سَائِرَ الْأَسْمَاءِ: دَلَالَتُهَا عَلَى مَعَانِي التَّقْدِيسِ وَالتَّمْجِيدِ وَالتَّعْظِيمِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأَفْعَالُ الَّتِي هِيَ النِّهَايَةُ فِي الْحُسْنِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 205.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية 18.

[7] سورة طَهَ، الآية 23.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[1]

قَفَّاهُ بِقِصَّةِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِيَتَأَسَّى بِهِ فِي تَحَمُّلِ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ وَتَكَالِيفِ الرِّسَالَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى مُقَاسَاةِ الشَّدَائِدِ؛ حَتَّى يَنَالَ عِنْدَ اللَّهِ الْفَوْزَ وَالْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

يَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ: ﴿إِذْ﴾[2] ظَرْفًا لِلْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُ حَدَثَ، أَوْ لِمُضْمَرٍ، أَيْ: حِينَ ﴿رَأَى نَارًا﴾[3]: كَانَ كَيْتَ وَكَيْتَ، أَوْ مَفْعُولًا لِاذْكُرِ اسْتَأْذَنَ مُوسَى شُعَيْبًا –عَلَيْهِمَا السَّلَامُ– فِي الْخُرُوجِ إِلَى أُمِّهِ وَخَرَجَ بِأَهْلِهِ، فَوُلِدَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ ابْنٌ فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ مُظْلِمَةٍ مُثْلِجَةٍ؛ وَقَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَفَرَّقَتْ مَاشِيَتُهُ وَمَاءٌ عِنْدَهُ، وَقَدَحٌ فَصَلَدَ زِنْدُهُ، فَرَأَى النَّارَ عِنْدَ ذَلِكَ، قِيلَ: كَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ.

﴿امْكُثُوا﴾[4]: أَقِيمُوا فِي مَكَانِكُمْ.

الْإِينَاسُ: الْإِبْصَارُ الْبَيِّنُ الَّذِي لَا شُبْهَةَ فِيهِ، وَمِنْهُ إِنْسَانُ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّهُ يَتَبَيَّنُ بِهِ الشَّيْءَ.

وَالْإِنْسُ: لِظُهُورِهِمْ، كَمَا قِيلَ: الْجِنُّ لِاسْتِتَارِهِمْ.

وَقِيلَ: هُوَ إِبْصَارُ مَا يُؤْنَسُ بِهِ؛ لَمَّا وَجَدَ مِنْهُ الْإِينَاسَ فَكَانَ مَقْطُوعًا مُتَيَقَّنًا، حَقَّقَهُ لَهُمْ بِكَلِمَةِ: ﴿إِنَّ﴾[5] لِيُوَطِّنَ أَنْفُسَهُمْ، وَلَمَّا كَانَ الْإِتْيَانُ بِالْقَبَسِ وَوُجُودُ الْهُدَى مُتَرَقَّبَيْنِ مُتَوَقَّعَيْنِ، بُنِيَ الْأَمْرُ فِيهِمَا عَلَى الرَّجَاءِ وَالطَّمَعِ، وَقَالَ ﴿لَعَلِّي﴾[6]، وَلَمْ يَقْطَعْ، فَيَقُولُ: إِنِّي ﴿آتِيكُمْ﴾[7] لِئَلَّا يَعِدَ مَا لَيْسَ بِمُسْتَيْقِنِ الْوَفَاءَ بِهِ، الْقَبَسُ: النَّارُ الْمُقْتَبَسَةُ فِي رَأْسِ عُودٍ أَوْ فَتِيلَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَمِنْهُ قِيلَ: الْمِقْبَسَةُ، لِمَا يُقْتَبَسُ فِيهِ مِنْ سَعَفَةٍ أَوْ نَحْوِهَا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

﴿هُدًى﴾[1]، أَيْ: قَوْمًا يَهْدُونَنِي الطَّرِيقَ أَوْ يَنْفَعُونَنِي بِهُدَاهُمْ فِي أَبْوَابِ الدِّينِ.

عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ: وَذَلِكَ لِأَنَّ أَفْكَارَ الْأَبْرَارِ مَغْمُورَةٌ بِالْهِمَّةِ الدِّينِيَّةِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ لَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا شَاغِلٌ، وَالْمَعْنَى: ذَوِي هُدًى، أَوْ إِذَا وُجِدَ الْهُدَاةُ فَقَدْ وُجِدَ الْهُدَى.

وَمَعْنَى الِاسْتِعْلَاءِ فِي: ﴿عَلَى النَّارِ﴾[2]: أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَسْتَعْلُونَ الْمَكَانَ الْقَرِيبَ مِنْهَا، كَمَا قَالَ سِيبَوَيْهِ فِي مَرَرْتُ بِزَيْدٍ: إِنَّهُ لَصُوقٌ يَقْرُبُ مِنْ زَيْدٍ، أَوْ لِأَنَّ الْمُصْطَلِينَ بِهَا وَالْمُسْتَمْتِعِينَ بِهَا إِذَا تَكَنَّفُوهَا قِيَامًا وَقُعُودًا كَانُوا مُشْرِفِينَ عَلَيْهَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْشَى:

وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّــقُ

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[3]

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَابْنُ كَثِيرٍ "أَنِّي": بِالْفَتْحِ، أَيْ: نُودِيَ بِأَنِّي، ﴿أَنَا رَبُّكَ﴾[4]، وَكَسَرَ الْبَاقُونَ، أَيْ: نُودِيَ فَقِيلَ: يَا مُوسَى، أَوْ لِأَنَّ النِّدَاءَ ضَرْبٌ مِنَ الْقَوْلِ فَعُومِلَ مُعَامَلَتَهُ، تَكْرِيرُ الضَّمِيرِ فِي:﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾[5]؛ لِتَوْكِيدِ الدَّلَالَةِ، وَتَحْقِيقِ الْمَعْرِفَةِ وَإِمَاطَةِ الشُّبْهَةِ.

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نُودِيَ: ﴿مُوسَى﴾، قَالَ: مَنِ الْمُتَكَلِّمُ؟ فَقَالَ لَهُ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾[6]، وَأَنَّ إِبْلِيسَ وَسْوَسَ إِلَيْهِ قَالَ: لَعَلَّكَ تَسْمَعُ كَلَامَ شَيْطَانٍ، فَقَالَ: أَنَا عَرَفْتُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ بِأَنِّي أَسْمَعُهُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِي السِّتِّ، وَأَسْمَعُهُ بِجَمِيعِ أَعْضَائِي.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ حِينَ انْتَهَى رَأَى شَجَرَةً خَضْرَاءَ مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا، كَأَنَّهَا نَارٌ بَيْضَاءُ تَتَّقِدُ، وَسَمِعَ تَسْبِيحَ الْمَلَائِكَةِ، وَرَأَى نُورًا عَظِيمًا، فَخَافَ وَبَهِتَ، فَأُلْقِيَتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ثُمَّ نُودِيَ؛ وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ عَوْسَجَةً.

وَرُوِيَ: كُلَّمَا دَنَا أَوْ بَعُدَ لَمْ يَخْتَلِفْ مَا كَانَ يَسْمَعُ مِنَ الصَّوْتِ.

وَعَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: لَمَّا دَنَا اسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، رَجَعَ وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً.

فَلَمَّا أَرَادَ الرَّجْعَةَ دَنَتْ مِنْهُ، ثُمَّ كُلِّمَ، قِيلَ: أُمِرَ بِخَلْعِ النَّعْلَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَتَا مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ غَيْرِ مَدْبُوغٍ عَنِ السُّدِّيِّ وَقَتَادَةَ.

وَقِيلَ: لِيُبَاشِرَ الْوَادِيَ بِقَدَمَيْهِ مُتَبَرِّكًا بِهِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّ الْحَفْوَةَ تَوَاضُعٌ لِلَّهِ، وَمِنْ ثَمَّ طَافَ السَّلَفُ بِالْكَعْبَةِ حَافِينَ، وَمِنْهُمْ مَنِ اسْتَعْظَمَ دُخُولَ الْمَسْجِدِ بِنَعْلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا نَذَرَ مِنْهُ الدُّخُولَ مُنْتَعِلًا تَصَدَّقَ، وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ احْتِرَامٌ لِلْبُقْعَةِ، وَتَعْظِيمٌ لَهَا، وَتَشْرِيفٌ لِقُدُسِهَا.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ خَلَعَ نَعْلَيْهِ وَأَلْقَاهُمَا مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي.

﴿طُوًى﴾[1]: بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ مُنْصَرِفٌ وَغَيْرُ مُنْصَرِفٍ بِتَأْوِيلِ الْمَكَانِ وَالْبُقْعَةِ.

وَقِيلَ: مَرَّتَيْنِ؛ نَحْوَ: ثَنَى، أَيْ: نُودِيَ نِدَاءَيْنِ أَوْ قُدِّسَ الْوَادِي كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾[2]: اصْطَفَيْتُكَ لِلنُّبُوَّةِ.

وَقَرَأَ حَمْزَةُ: "وَإِنَّا اخْتَرْنَاكَ"، ﴿لِمَا يُوحَى﴾[3] لِلَّذِي يُوحَى. أَوْ لِلْوَحْيِ، تَعَلَّقَ اللَّامُ بِاسْتَمِعْ، أَوْ بِاخْتَرْتُكَ.

﴿لِذِكْرِي﴾[4]: لِتَذْكُرَنِي؛ فَإِنَّ ذِكْرِي أَنْ أُعْبَدَ وَيُصَلَّى لِي، أَوْ لِتَذْكُرَنِي فِيهَا لِاشْتِمَالِ الصَّلَاةِ عَلَى الْأَذْكَارِ.

عَنْ مُجَاهِدٍ، أَوْ: لِأَنِّي ذَكَرْتُهَا فِي الْكُتُبِ وَأَمَرْتُ بِهَا، أَوْ لِأَنْ أَذْكُرَكَ بِالْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَأَجْعَلَ لَكَ لِسَانَ صِدْقٍ، أَوْ لِذِكْرِي خَاصَّةً لَا تَشُوبُهُ بِذِكْرِ غَيْرِي أَوْ لِإِخْلَاصِ ذِكْرِي وَطَلَبِ

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

وَجْهِي لَا تُرَائِي بِهَا وَلَا تَقْصِدُ بِهَا غَرَضًا آخَرَ، أَوْ لِتَكُونَ لِي ذَاكِرًا غَيْرَ نَاسٍ فِعْلَ الْمُخْلِصِينَ فِي جَعْلِهِمْ ذِكْرَ رَبِّهِمْ عَلَى بَالٍ مِنْهُمْ وَتَوْكِيلِ هِمَمِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ بِهِ، قَالَ: ﴿لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]، أَوْ لِأَوْقَاتِ ذِكْرِي، وَهِيَ مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[2].

وَاللَّامُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: جِئْتُكَ لِوَقْتِ كَذَا، وَكَانَ ذَلِكَ لَسْتٍّ لَيَالٍ خَلَوْنَ، وَقَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[3]، وَقَدْ حُمِلَ عَلَى ذِكْرِ الصَّلَاةِ بَعْدَ نِسْيَانِهَا مِنْ قَوْلِهِ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا"، وَكَانَ حَقُّ الْعِبَارَةِ أَنْ يُقَالَ: لِذِكْرِهَا، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِذَا ذَكَرَهَا" حَ، وَمَنْ يَتَمَحَّلُ لَهُ يَقُولُ: إِذَا ذَكَرَ الصَّلَاةَ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ، أَوْ بِتَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: لِذِكْرِ صَلَاتِي، أَوْ لِأَنَّ الذِّكْرَ وَالنِّسْيَانَ مِنَ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فِي الْحَقِيقَةِ.

وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "لِلذِّكْرَى".

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[4]

أَيْ: أَكَادُ أُخْفِيهَا فَلَا أَقُولُ هِيَ آتِيَةٌ؛ لِفَرْطِ إِرَادَتِي إِخْفَاءَهَا.

وَلَوْلَا مَا فِي الْإِخْبَارِ بِإِتْيَانِهَا مَعَ تَعْمِيَةِ وَقْتِهَا مِنَ اللُّطْفِ، لَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي، وَلَا دَلِيلَ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْمَحْذُوفِ، وَمَحْذُوفٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مُطْرَحٌ، وَالَّذِي غَرَّهُمْ مِنْهُ أَنَّ فِي مُصْحَفِ أُبَيٍّ: "أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي".

وَفِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ: "أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْهَا".

---

[1] سورة النُّورَ، الآية 37.

[2] سورة النِّسَاءَ، الآية 103.

[3] سورة الْفَجْرَ، الآية 24.

[4] سورة طَهَ، الآية.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: "أُخْفِيهَا": بِالْفَتْحِ: مِنْ خَفَاهُ إِذَا أَظْهَرَهُ، أَيْ: قَرُبَ إِظْهَارُهَا؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[1]، وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ: "أَخْفَاهُ": بِمَعْنَى خَفَاهُ؛ وَبِهِ فُسِّرَ بَيْتُ امْرِئِ الْقَيْسِ:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعُدِ

فَـ ﴿كَادُ أُخْفِيهَا﴾ [2]مُحْتَمِلٌ لِلْمَعْنَيَيْنِ، ﴿لِتُجْزَى﴾[3]: مُتَعَلِّقٌ بِآيَةٍ، ﴿بِمَا تَسْعَى﴾[4]: بِسَعْيِهَا.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[5]

أَيْ: لَا يَصُدَّنَّكَ عَنْ تَصْدِيقِهَا.

وَالضَّمِيرُ: لِلْقِيَامَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلصَّلَاةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْعِبَارَةُ لِنَهْيِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ عَنْ صَدِّ مُوسَى، وَالْمَقْصُودُ نَهْيُ مُوسَى عَنِ التَّكْذِيبِ بِالْبَعْثِ أَوْ أَمْرِهِ بِالتَّصْدِيقِ، فَكَيْفَ صَلَحَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ لِأَدَاءِ هَذَا الْمَقْصُودِ؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّ صَدَّ الْكَافِرِ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهَا سَبَبٌ لِلتَّكْذِيبِ، فَذُكِرَ السَّبَبُ لِيَدُلَّ عَلَى الْمُسَبَّبِ.

- وَالثَّانِي: أَنَّ صَدَّ الْكَافِرِ مُسَبَّبٌ عَنْ رَخَاوَةِ الرَّجُلِ فِي الدِّينِ وَلِينِ شَكِيمَتِهِ، فَذُكِرَ الْمُسَبَّبُ لِيَدُلَّ عَلَى السَّبَبِ؛ كَقَوْلِهِمْ: لَا أَرَيَنَّكَ هَا هُنَا.

الْمُرَادُ: نَهْيُهُ عَنْ مُشَاهَدَتِهِ وَالْكَوْنِ بِحَضْرَتِهِ؛ وَذَلِكَ سَبَبُ رُؤْيَتِهِ إِيَّاهُ، فَكَانَ ذِكْرُ الْمُسَبَّبِ دَلِيلًا عَلَى السَّبَبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَكُنْ شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ صَلِيبَ الْمَعْجَمِ، حَتَّى لَا

---

[1] سورة الْقَمَرَ، الآية 11.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

يَتَلَوَّحَ مِنْكَ لِمَنْ يَكْفُرُ بِالْبَعْثِ أَنَّهُ يَطْمَعُ فِي صَدِّكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، يَعْنِي: أَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ هُمُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ؛ إِذْ لَا شَيْءَ أَطَمُّ عَلَى الْكَفَرَةِ، وَلَا هُمْ أَشَدُّ لَهُ نَكِيرًا مِنَ الْبَعْثِ.

فَلَا يَهُولَنَّكَ وُفُورُ دَهْمَائِهِمْ وَلَا عِظَمَ سَوَادِهِمْ، وَلَا تَجْعَلِ الْكَثْرَةَ مَزَلَّةَ قَدَمِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا تِلْكَ الْكَثْرَةَ، فَقُدْوَتُهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ هُوَ الْهَوَى وَاتِّبَاعُهُ، لَا الْبُرْهَانُ وَتَدَبُّرُهُ.

وَفِي هَذَا حَثٌّ عَظِيمٌ عَلَى الْعَمَلِ بِالدَّلِيلِ، وَزَجْرٌ بَلِيغٌ عَنِ التَّقْلِيدِ، وَإِنْذَارٌ بِأَنَّ الْهَلَاكَ وَالرَّدَى مَعَ التَّقْلِيدِ وَأَهْلِهِ.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾[1]

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[2]، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[3]، فِي انْتِصَابِ الْحَالِ، بِمَعْنَى: الْإِشَارَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ: ﴿تِلْكَ﴾[4]: اسْمًا مَوْصُولًا صِلَتُهُ ﴿بِيَمِينِكَ﴾[5]؛ إِنَّمَا سَأَلَهُ لِيُرِيَهُ عِظَمَ مَا يَخْتَرِعُهُ -عَزَّ وَعَلَا- فِي الْخَشَبَةِ الْيَابِسَةِ مِنْ قَلْبِهَا حَيَّةً نَضْنَاضَةً، وَلِيُقَرِّرَ فِي نَفْسِهِ الْمُبَايَنَةَ الْبَعِيدَةَ بَيْنَ الْمَقْلُوبِ عَنْهُ وَالْمَقْلُوبِ إِلَيْهِ، وَيُنَبِّهَهُ عَلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ؛ وَنَظِيرُهُ أَنْ يُرِيَكَ الزَّرَّادُ زَبْرَةً مِنْ حَدِيدٍ وَيَقُولَ لَكَ: مَا هِيَ؟ فَتَقُولُ: زَبْرَةُ حَدِيدٍ، ثُمَّ يُرِيكَ بَعْدَ أَيَّامٍ لَبُوسًا مُسْرَدًا، فَيَقُولُ لَكَ: هِيَ تِلْكَ الزَّبْرَةُ صَيَّرْتُهَا إِلَى مَا تَرَى مِنْ عَجِيبِ الصَّنْعَةِ وَأَنِيقِ السَّرْدِ.

قَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ: "عَصِيَّ": عَلَى لُغَةِ هُذَيْلٍ؛ وَمِثْلُهُ: ﴿يَا بُشْرَى﴾[6]، أَرَادُوا كَسْرَ مَا قَبْلَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَقَلَبُوا الْأَلِفَ إِلَى أُخْتِ الْكَسْرَةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة هُودَ، الآية 72.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة يُوسُفَ، الآية 19.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "عَصَايِ": بِكَسْرِ الْيَاءِ؛ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَهُوَ مِثْلُ قِرَاءَةِ حَمْزَةَ: ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾[1].

وَعَنِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ: سُكُونُ الْيَاءِ.

﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾[2]: أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا إِذَا أَعْيَيْتُ أَوْ وَقَفْتُ عَلَى رَأْسِ الْقَطِيعِ وَعِنْدَ الطَّفْرَةِ، هَشُّ الْوَرَقِ: خَبْطُهُ، أَيْ: أَخْبِطُهُ عَلَى رُؤُوسِ غَنَمِي تَأْكُلَهُ.

وَعَنْ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ: أَكَلْتُ حُقًّا وَابْنَ لَبُونٍ وَجَذَعٍ، وَهَشَّةَ نَخْبٍ وَسَيْلَا دَفْعٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ شِبَعٍ، سَمِعْتُهُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْعَرَبِ، وَنَخْبٌ: وَادٍ قَرِيبٌ مِنَ الطَّائِفِ كَثِيرُ السِّدْرِ.

وَفِي قِرَاءَةِ النَّخَعِيِّ: "أَهُشُّ"، وَكِلَاهُمَا مِنْ هَشَّ الْخُبْزَ يَهُشُّ: إِذَا كَانَ يَنْكَسِرُ لِهَشَاشَتِهِ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: أَهُسُّ بِالسِّينِ، أَيْ: أُنَحِّي عَلَيْهَا زَاجِرًا لَهَا، وَالْهَسُّ: زَجْرُ الْغَنَمِ، ذَكَرَ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ الْمَنَافِعَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْعَصَا، كَأَنَّهُ أَحَسَّ بِمَا يَعْقُبُ هَذَا السُّؤَالُ مِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ يُحَدِّثُهُ اللَّهُ –تَعَالَى–، فَقَالَ: مَا هِيَ إِلَّا عَصَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا مَنَافِعَ بَنَاتِ جِنْسِهَا وَكَمَا تَنْفَعُ الْعِيدَانُ؛ لِيَكُونَ جَوَابُهُ مُطَابِقًا لِلْغَرَضِ الَّذِي فَهِمَهُ مِنْ فَحْوَى كَلَامِ رَبِّهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يُعَدِّدَ الْمَرَافِقَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي عَلَّقَهَا بِالْعَصَا وَيَسْتَكْثِرَهَا وَيَسْتَعْظِمَهَا، ثُمَّ يُرِيهِ عَلَى عَقِبِ ذَلِكَ الْآيَةَ الْعَظِيمَةَ، كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ عَنْ هَذِهِ الْمَنْفَعَةِ الْعُظْمَى، وَالْمَأْرَبَةِ الْكُبْرَى، الْمَنْسِيَّةِ عِنْدَهَا كُلُّ مَنْفَعَةٍ وَمَأْرَبَةٍ كُنْتَ تَعْتَدُّ بِهَا وَتَحْتَفِلُ بِشَأْنِهَا، وَقَالُوا: إِنَّمَا سَأَلَهُ لِيَبْسُطَ مِنْهُ وَيُقَلِّلَ هَيْبَتَهُ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَجْمَلَ مُوسَى لِيَسْأَلَهُ عَنْ تِلْكَ الْمَآرِبِ فَيَزِيدَ فِي إِكْرَامِهِ، وَقَالُوا: انْقَطَعَ لِسَانُهُ بِالْهَيْبَةِ فَأَجْمَلَ، وَقَالُوا: اسْمُ الْعَصَا نَبْعَةُ.

وَقِيلَ فِي الْمَآرِبِ: كَانَتْ ذَاتَ شُعْبَتَيْنِ وَمِحْجَنٍ؛ فَإِذَا طَالَ الْغُصْنُ حَنَاهُ بِالْمِحْجَنِ، وَإِذَا طَلَبَ كَسْرَهُ لَوَاهُ بِالشُّعْبَتَيْنِ؛ وَإِذَا سَارَ أَلْقَاهَا عَلَى عَاتِقِهِ، فَعَلَّقَ بِهَا أَدَوَاتِهِ مِنَ الْقَوْسِ وَالْكِنَانَةِ وَالْحِلَابِ وَغَيْرِهَا. وَإِذَا كَانَ فِي الْبَرِيَّةِ، رَكَزَهَا وَعَرَّضَ الزِّنْدَيْنِ عَلَى شُعْبَتَيْهَا، وَأَلْقَى عَلَيْهَا الْكِسَاءَ وَاسْتَظَلَّ. وَإِذَا قَصُرَ رِشَاؤُهُ، وَصَلَهُ بِهَا؛ وَكَانَ يُقَاتِلُ بِهَا السِّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية 22.

[2] سورة طَهَ، الآية.

وَقِيلَ: كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَقِي بِهَا، فَتَطُولُ بِطُولِ الْبِئْرِ وَتَصِيرُ شُعْبَتَاهَا دَلْوًا، وَتَكُونَانِ شَمْعَتَيْنِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا ظَهَرَ عَدُوٌّ حَارَبَتْ عَنْهُ. وَإِذَا اشْتَهَى ثَمَرَةً، رَكَزَهَا فَأَوْرَقَتْ وَأَثْمَرَتْ، وَكَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهَا زَادَهُ وَسِقَاءَهُ فَجَعَلَتْ تُمَاشِيهِ، وَيَرْكُزُهَا فَيَنْبُعُ الْمَاءُ. فَإِذَا رَفَعَهَا، نَضَبَ، وَكَانَتْ تَقِيهِ الْهَوَامَّ.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[1]

السَّعْيُ: الْمَشْيُ بِسُرْعَةٍ وَخِفَّةِ حَرَكَةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ ذُكِرَتْ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ: بِالْحَيَّةِ، وَالْجَانِّ، وَالثُّعْبَانِ؟

قُلْتُ: أَمَّا الْحَيَّةُ: فَاسْمُ جِنْسٍ، يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ.

وَأَمَّا الثُّعْبَانُ وَالْجَانُّ: فَبَيْنَهُمَا تَنَافٍ؛ لِأَنَّ الثُّعْبَانَ الْعَظِيمَ مِنَ الْحَيَّاتِ، وَالْجَانُّ الدَّقِيقُ، وَفِي ذَلِكَ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا كَانَتْ وَقْتَ انْقِلَابِهَا حَيَّةً تَنْقَلِبُ حَيَّةً صَفْرَاءَ دَقِيقَةً، ثُمَّ تَتَوَرَّمُ وَيَتَزَايَدُ جِرْمُهَا حَتَّى تَصِيرَ ثُعْبَانًا، فَأُرِيدَ بِالْجَانِّ أَوَّلُ حَالِهَا، وَبِالثُّعْبَانِ مَآلُهَا.

– الثَّانِي: أَنَّهَا كَانَتْ فِي شَخْصِ الثُّعْبَانِ وَسُرْعَةِ حَرَكَةِ الْجَانِّ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾[2].

وَقِيلَ: كَانَ لَهَا عُرْفٌ كَعُرْفِ الْفَرَسِ.

وَقِيلَ: كَانَ بَيْنَ لَحْيَيْهَا أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾[3]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة النَّمْلَ، الآية 10.

[3] سورة طَهَ، الآية.

لَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْأَمْرَ الْعَجِيبَ الْهَائِلَ، مَلَكَهُ مِنَ الْفَزَعِ وَالنِّفَارِ مَا يَمْلِكُ الْبَشَرَ عِنْدَ الْأَهْوَالِ وَالْمَخَاوِفِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: انْقَلَبَتْ ثُعْبَانًا ذَكَرًا يَبْتَلِعُ الصَّخْرَ وَالشَّجَرَ. فَلَمَّا رَآهُ يَبْتَلِعُ كُلَّ شَيْءٍ خَافَ وَنَفَرَ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: إِنَّمَا خَافَهَا، لِأَنَّهُ عَرَفَ مَا لَقِيَ آدَمُ مِنْهَا.

وَقِيلَ: لَمَّا قَالَ لَهُ رَبُّهُ: ﴿لَا تَخَفْ﴾[1]: بَلَغَ مِنْ ذَهَابِ خَوْفِهِ وَطُمَأْنِينَةِ نَفْسِهِ أَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِهَا وَأَخَذَ بِلَحْيَيْهَا، السِّيرَةُ مِنَ السَّيْرِ: كَالرِّكْبَةِ مِنَ الرُّكُوبِ، يُقَالُ: سَارَ فُلَانٌ سِيرَةً حَسَنَةً، ثُمَّ اتُّسِعَ فِيهَا فَنُقِلَتْ إِلَى مَعْنَى الْمَذْهَبِ وَالطَّرِيقَةِ.

وَقِيلَ: سِيَرُ الْأَوَّلِينَ، فَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ: سَنُعِيدُهَا فِي طَرِيقَتِهَا الْأُولَى، أَيْ: فِي حَالِ مَا كَانَتْ عَصَا، وَأَنْ يَكُونَ "أَعَادَ": مَنْقُولًا مِنْ "عَادَهُ"، بِمَعْنَى: عَادَ إِلَيْهِ، وَمِنْهُ بَيْتُ زُهَيْرٍ:

وَعَادَكَ أَنْ تُلَاقِيَهَا عِدَاءً

فَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَوَجْهٌ ثَالِثٌ حَسَنٌ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ: ﴿سَنُعِيدُهَا﴾[2]: مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ غَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بِسِيرَتِهَا، بِمَعْنَى: أَنَّهَا أُنْشِئَتْ أَوَّلَ مَا أُنْشِئَتْ عَصَا، ثُمَّ ذَهَبَتْ وَبَطَلَتْ بِالْقَلْبِ حَيَّةً، فَسَنُعِيدُهَا بَعْدَ ذَهَابِهَا كَمَا أَنْشَأْنَاهَا أَوَّلًا، وَنُصِبَ سِيرَتَهَا بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ، أَيْ: تَسِيرُ سِيرَتَهَا الْأُولَى، يَعْنِي: سَنُعِيدُهَا سَائِرَةً سِيرَتَهَا الْأُولَى؛ حَيْثُ كُنْتَ تَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَلَكَ فِيهَا الْمَآرِبُ الَّتِي عَرَفْتَهَا.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[3]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

قِيلَ لِكُلِّ نَاحِيَتَيْنِ: جَنَاحَانِ، كَجَنَاحَيِ الْعَسْكَرِ لِمَجْنَبَتَيْهِ، وَجَنَاحَا الْإِنْسَانِ: جَنْبَاهُ، وَالْأَصْلُ الْمُسْتَعَارُ مِنْهُ جَنَاحَا الطَّائِرِ، سُمِّيَا جَنَاحَيْنِ، لِأَنَّهُ يَجْنَحُهُمَا عِنْدَ الطَّيَرَانِ، وَالْمُرَادُ: إِلَى جَنْبِكَ تَحْتَ الْعَضُدِ؛ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿تَخْرُجْ﴾[1].

السُّوءُ: الرَّدَاءَةُ وَالْقُبْحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَكُنِّيَ بِهِ عَنِ الْبَرَصِ كَمَا كُنِّيَ عَنِ الْعَوْرَةِ بِالسَّوْأَةِ، وَكَانَ جَذِيمَةُ صَاحِبُ الزَّبَّاءِ أَبْرَصَ فَكَنَّوْا عَنْهُ بِالْأَبْرَشِ.

وَالْبَرَصُ: أَبْغَضُ شَيْءٍ إِلَى الْعَرَبِ، وَبِهِمْ عَنْهُ نَفْرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَأَسْمَاعُهُمْ لِاسْمِهِ مَجَّاجَةٌ، فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُكَنَّى عَنْهُ، وَلَا نَرَى أَحْسَنَ وَلَا أَلْطَفَ وَلَا أَحَزَّ لِلْمَفَاصِلِ مِنْ كِنَايَاتِ الْقُرْآنِ وَآدَابِهِ.

يُرْوَى: أَنَّهُ كَانَ آدَمَ فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ مَدْرَعَتِهِ بَيْضَاءَ لَهَا شُعَاعٌ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ يُعَشِّي الْبَصَرَ.

﴿بَيْضَاءَ﴾[2]، وَ﴿آيَةً﴾[3]: حَالَانِ مَعًا.

وَ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[4]: ﴿مِنْ﴾ صِلَةٌ لِبَيْضَاءَ، كَمَا تَقُولُ: ابْيَضَّتْ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.

وَفِي نَصْبِ: ﴿آيَةً﴾[5]: وَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ بِإِضْمَارٍ نَحْوَ: خُذْ، وَدُونَكَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ حُذِفَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ، وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهَذَا الْمَحْذُوفِ.

﴿لِنُرِيَكَ﴾[6]، أَيْ: خُذْ هَذِهِ الْآيَةَ أَيْضًا– بَعْدَ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً لِنُرِيَكَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَعْضَ آيَاتِنَا الْكُبْرَى، أَوْ لِنُرِيَكَ بِهِمَا الْكُبْرَى مِنْ آيَاتِنَا، أَوْ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى فَعَلْنَا ذَلِكَ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[1]

لَمَّا أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ الطَّاغِي –لَعَنَهُ اللَّهُ– عَرَفَ أَنَّهُ كُلِّفَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَخَطْبًا جَسِيمًا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى احْتِمَالِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا ذُو جَأْشٍ رَابِطٍ وَصَدْرٍ فَسِيحٍ، فَاسْتَوْهَبَ رَبَّهُ أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ وَيُفْسِحَ قَلْبَهُ، وَيَجْعَلَهُ حَلِيمًا حَمُولًا، يَسْتَقْبِلُ مَا عَسَى يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّدَائِدِ الَّتِي يَذْهَبُ مَعَهَا صَبْرُ الصَّابِرِ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الثَّبَاتِ، وَأَنْ يُسَهِّلَ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ أَمْرَهُ الَّذِي هُوَ خِلَافَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَمَا يَصْحَبُهَا مِنْ مُزَاوَلَةِ مَعَاظِمِ الشُّؤُونِ وَمُقَاسَاةِ جَلَائِلِ الْخُطُوبِ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿لِي﴾[2] فِي قَوْلِهِ:﴿ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[3]، مَا جَدْوَاهُ وَالْكَلَامُ بِدُونِهِ مُسْتَتِبٌّ؟

قُلْتُ: قَدْ أُبْهِمَ الْكَلَامُ أَوَّلًا، فَقِيلَ: اشْرَحْ لِي وَيَسِّرْ لِي، فَعُلِمَ أَنَّ ثَمَّ مَشْرُوحًا وَمُيَسَّرًا، ثُمَّ بُيِّنَ وَرُفِعَ الْإِبْهَامُ بِذِكْرِهِمَا، فَكَانَ آكَدَ لِطَلَبِ الشَّرْحِ وَالتَّيْسِيرِ لِصَدْرِهِ وَأَمْرِهِ، مِنْ أَنْ يَقُولَ: اشْرَحْ صَدْرِي، وَيَسِّرْ أَمْرِي عَلَى الْإِيضَاحِ السَّاذَجِ؛ لِأَنَّهُ تَكْرِيرٌ لِلْمَعْنَى الْوَاحِدِ مِنْ طَرِيقَيِ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ فِي لِسَانِهِ رَتَّةٌ لِمَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ الْجَمْرَةِ.

وَيُرْوَى أَنَّ يَدَهُ احْتَرَقَتْ، وَأَنَّ فِرْعَوْنَ اجْتَهَدَ فِي عِلَاجِهَا فَلَمْ تَبْرَأْ؛ وَلَمَّا دَعَاهُ قَالَ: إِلَى أَيِّ رَبٍّ تَدْعُونِي؟ قَالَ: إِلَى الَّذِي أَبْرَأَ يَدِي وَقَدْ عَجَزْتَ عَنْهَا.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: إِنَّمَا لَمْ تَبْرَأْ يَدُهُ؛ لِئَلَّا يُدْخِلَهَا مَعَ فِرْعَوْنَ فِي قَصْعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَتَنْعَقِدَ بَيْنَهُمَا حُرْمَةُ الْمُوَاكَلَةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

وَاخْتُلِفَ فِي زَوَالِ الْعُقْدَةِ بِكَمَالِهَا، فَقِيلَ: ذَهَبَ بَعْضُهَا وَبَقِيَ بَعْضُهَا؛ لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[1]، وَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾[2].

وَكَانَ فِي لِسَانِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– رَتَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "وَرِثَهَا مِنْ عَمِّهِ مُوسَى".

وَقِيلَ: زَالَتْ بِكَمَالِهَا؛ لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[3].

وَفِي تَنْكِيرِ الْعُقْدَةِ –وَإِنْ لَمْ يَقُلْ عُقْدَةُ لِسَانِي–: أَنَّهُ طَلَبَ حَلَّ بَعْضِهَا؛ إِرَادَةَ أَنْ يُفْهَمَ عَنْهُ فَهْمًا جَيِّدًا، وَلَمْ يَطْلُبِ الْفَصَاحَةَ الْكَامِلَةَ.

وَ﴿مِنْ لِسَانِي﴾[4]: صِفَةٌ لِلْعُقْدَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: عُقْدَةٌ مِنْ عُقَدِ لِسَانِي.

الْوَزِيرُ: مِنَ الْوِزْرِ؛ لِأَنَّهُ يَتَحَمَّلُ عَنِ الْمَلِكِ أَوْزَارَهُ وَمُؤْنَهُ، أَوْ مِنَ الْوَزَرِ؛ لِأَنَّ الْمَلِكَ يَعْتَصِمُ بِرَأْيِهِ وَيُلْجِئُ إِلَيْهِ أُمُورَهُ، أَوْ مِنَ الْمُؤَازَرَةِ وَهِيَ الْمُعَاوَنَةُ.

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: وَكَانَ الْقِيَاسُ أَزِيرًا، فَقُلِبَتِ الْهَمْزَةُ إِلَى الْوَاوِ.

وَوَجْهُ قَلْبِهَا: أَنَّ فَعِيلًا جَاءَ فِي مَعْنَى: مُفَاعِلٍ مَجِيئًا صَالِحًا؛ كَقَوْلِهِمْ: عَشِيرٌ، وَجَلِيسٌ، وَقَعِيدٌ، وَخَلِيلٌ، وَصَدِيقٌ، وَنَدِيمٌ.

فَلَمَّا قُلِبَتْ فِي أَخِيهِ قُلِبَتْ فِيهِ، وَحَمْلُ الشَّيْءِ عَلَى نَظِيرِهِ لَيْسَ بِعَزِيزٍ، وَنَظَرًا إِلَى يُوَازِرُ وَأَخَوَاتِهِ، وَإِلَى الْمُوَازَرَةِ.

﴿وَزِيرًا﴾[5] وَ﴿هَارُونَ﴾[6]: مَفْعُولَا قَوْلِهِ: ﴿وَاجْعَلْ﴾[7]، قُدِّمَ ثَانِيهِمَا عَلَى أَوَّلِهِمَا؛ عِنَايَةً بِأَمْرِ الْوِزَارَةِ، أَوْ ﴿لِي وَزِيرًا﴾[8]: مَفْعُولَاهُ.

---

[1] سورة الْقَصَصَ، الآية 34.

[2] سورة الزُّخْرُفَ، الآية 52.

[3] سورة طَهَ، الآية 366.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

[8] سورة طَهَ، الآية.

وَ﴿هَارُونَ﴾[1] عَطْفُ بَيَانٍ لِلْوَزِيرِ، وَ﴿أَخِي﴾[2]: فِي الْوَجْهَيْنِ بَدَلٌ مِنْ ﴿هَارُونَ﴾[3]، وَإِنْ جُعِلَ عَطْفَ بَيَانٍ آخَرَ جَازَ وَحَسُنَ، قَرَؤُوا جَمِيعًا ﴿اشْدُدْ﴾.

﴿وَأَشْرِكْهُ﴾: عَلَى الدُّعَاءِ.

وَابْنُ عَامِرٍ وَحْدَهُ: "أَشْدُدْ"، وَ"أُشْرِكْهُ": عَلَى الْجَوَابِ.

وَفِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "أَخِي وَاشْدُدْ".

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي"، "وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي".

وَيَجُوزُ فِيمَنْ قَرَأَ عَلَى لَفْظِ الْأَمْرِ: أَنْ يَجْعَلَ: ﴿أَخِي﴾[4] مَرْفُوعًا عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَ﴿اشْدُدْ بِهِ﴾[5]: خَبَرُهُ. وَيُوقَفُ عَلَى:

﴿هَارُونَ﴾[6]، الْأَزْرُ: الْقُوَّةُ، وَأَزَّرَهُ: قَوَّاهُ، أَيِ: اجْعَلْهُ شَرِيكِي فِي الرِّسَالَةِ حَتَّى نَتَعَاوَنَ عَلَى عِبَادَتِكَ وَذِكْرِكَ، فَإِنَّ التَّعَاوُنَ –لِأَنَّهُ مُهَيِّجُ الرَّغَبَاتِ– يَتَزَايَدُ بِهِ الْخَيْرُ وَيَتَكَاثَرُ.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[7]، أَيْ: عَالِمًا بِأَحْوَالِنَا وَبِأَنَّ التَّعَاضُدَ مِمَّا يُصْلِحُنَا، وَأَنَّ هَارُونَ نِعْمَ الْمُعِينُ وَالشَّادُّ لِعَضُدِي، بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنِّي سِنًّا وَأَفْصَحُ لِسَانًا.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[8]

السُّؤْلُ: الطِّلْبَةُ، فُعْلٌ بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ؛ كَقَوْلِكَ: خُبْزٌ، بِمَعْنَى: مَخْبُوزٍ، وَأُكْلٌ، بِمَعْنَى: مَأْكُولٍ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

[8] سورة طَهَ، الآية.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[1]

الْوَحْيُ إِلَى أُمِّ مُوسَى: إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِ نَبِيٍّ فِي وَقْتِهَا؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾[2]، أَوْ يَبْعَثُ إِلَيْهَا مَلَكًا لَا عَلَى وَجْهِ النُّبُوَّةِ، كَمَا بَعَثَ إِلَى مَرْيَمَ، أَوْ يُرِيهَا ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ فَتَتَنَبَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ يُلْهِمُهَا؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[3]، أَيْ: أَوْحَيْنَا إِلَيْهَا أَمْرًا لَا سَبِيلَ إِلَى التَّوَصُّلِ إِلَيْهِ وَلَا إِلَى الْعِلْمِ بِهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَفِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ فَوَجَبَ أَنْ يُوحِيَ وَلَا يَخْلُ بِهِ، أَيْ: هُوَ مِمَّا يُوحِي لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، مِثْلُهُ يَحِقُّ بِأَنْ يُوحِيَ "أَنَّ": هِيَ الْمُفَسِّرَةُ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ بِمَعْنَى الْقَوْلِ، الْقَذْفُ مُسْتَعْمَلٌ فِي مَعْنَى الْإِلْقَاءِ وَالْوَضْعِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[4]، وَكَذَلِكَ الرَّمْيُ.

قَالَ:

غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا

أَيْ: حَصَلَ فِيهِ الْحُسْنُ وَوَضَعَهُ فِيهِ، وَالضَّمَائِرُ كُلُّهَا رَاجِعَةٌ إِلَى مُوسَى، وَرُجُوعُ بَعْضِهَا إِلَيْهِ وَبَعْضِهَا إِلَى التَّابُوتِ: فِيهِ هُجْنَةٌ؛ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنْ تَنَافُرِ النَّظْمِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْمَقْذُوفُ فِي الْبَحْرِ هُوَ التَّابُوتُ، وَكَذَلِكَ الْمُلْقَى إِلَى السَّاحِلِ.

قُلْتُ: مَا ضَرَّكَ لَوْ قُلْتَ: الْمَقْذُوفُ وَالْمُلْقَى هُوَ مُوسَى فِي جَوْفِ التَّابُوتِ؛ حَتَّى لَا تُفَرِّقَ الضَّمَائِرَ، فَيَتَنَافَرُ عَلَيْكَ النَّظْمُ الَّذِي هُوَ أُمُّ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَالْقَانُونُ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ التَّحَدِّي، وَمُرَاعَاتُهُ أَهَمُّ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُفَسِّرِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْمَائِدَةَ، الآية 11.

[3] سورة النَّحْلَ، الآية 68.

[4] سورة الْحَشْرَ، الآية 26.

لَمَّا كَانَتْ مَشِيئَةُ اللَّهِ –تَعَالَى– وَإِرَادَتُهُ أَلَّا تُخْطِئَ جَرْيَةُ مَاءِ الْيَمِّ الْوُصُولَ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ وَأَلْقَاهُ إِلَيْهِ، سَلَكَ فِي ذَلِكَ سَبِيلَ الْمَجَازِ، وَجَعَلَ الْيَمَّ كَأَنَّهُ ذُو تَمْيِيزٍ، أُمِرَ بِذَلِكَ لِيُطِيعَ الْأَمْرَ يَمْتَثِلُ رَسْمَهُ، فَقِيلَ:﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾[1].

رُوِيَ أَنَّهَا جَعَلَتْ فِي التَّابُوتِ قُطْنًا مَحْلُوجًا، فَوَضَعَتْهُ فِيهِ وَجَصَّصَتْهُ وَقَيَّرَتْهُ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، وَكَانَ يَشْرَعُ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانِ فِرْعَوْنَ نَهْرٌ كَبِيرٌ، فَبَيْنَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ بِرْكَةٍ مَعَ آسِيَةَ إِذَا بِالتَّابُوتِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ فَفُتِحَ، فَإِذَا صَبِيٌّ أَصْبَحُ النَّاسِ وَجْهًا، فَأَحَبَّهُ عَدُوُّ اللَّهِ حُبًّا شَدِيدًا لَا يَتَمَالَكُ أَنْ يَصْبِرَ عَنْهُ.

وَظَاهِرُ اللَّفْظِ أَنَّ الْبَحْرَ أَلْقَاهُ بِسَاحِلِهِ وَهُوَ شَاطِئُهُ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ يَسْحَلُهُ، أَيْ: يَقْشُرُهُ، وَقَذَفَ بِهِ ثَمَّةَ فَالْتَقَطَ مِنَ السَّاحِلِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَلْقَاهُ الْيَمُّ بِمَوْضِعٍ مِنَ السَّاحِلِ فِيهِ فُوَّهَةُ نَهْرِ فِرْعَوْنَ، ثُمَّ أَدَّاهُ النَّهْرُ إِلَى حَيْثُ الْبِرْكَةِ.

﴿التَّابُوتِ﴾[2]: لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَلْقَيْتُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى: أَنِّي أَحْبَبْتُكَ وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَحَبَّتْهُ الْقُلُوبُ، وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَحْذُوفٍ هُوَ صِفَةٌ لِمَحَبَّةٍ، أَيْ: مَحَبَّةٌ حَاصِلَةٌ أَوْ وَاقِعَةٌ مِنِّي، قَدْ رَكَزْتُهَا أَنَا فِي الْقُلُوبِ وَزَرَعْتُهَا فِيهَا؛ فَلِذَلِكَ أَحَبَّكَ فِرْعَوْنُ وَكُلُّ مَنْ أَبْصَرَكَ.

رُوِيَ أَنَّهُ كَانَتْ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةُ جَمَالٍ، وَفِي عَيْنَيْهِ مِلَاحَةٌ، لَا يَكَادُ يَصْبِرُ عَنْهُ مَنْ رَآهُ.

﴿عَلَى عَيْنِي﴾[3]: لِتُرَبَّى وَيُحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَنَا مُرَاعِيكَ وَرَاقِبُكَ، كَمَا يُرَاعِي الرَّجُلُ الشَّيْءَ بِعَيْنَيْهِ إِذَا اعْتَنَى بِهِ، وَتَقُولُ لِلصَّانِعِ: اصْنَعْ هَذَا عَلَى عَيْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ لِئَلَّا تُخَالِفَ بِهِ عَنْ مُرَادِي وَبُغْيَتِي.

﴿وَلِتُصْنَعَ﴾[4]: مَعْطُوفٌ عَلَى عِلَّةٍ مُضْمَرَةٍ، مِثْلَ: لِيُتَعَطَّفَ عَلَيْكَ وَتُرْأَمَ، وَنَحْوَهُ، أَوْ حُذِفَ مُعَلَّلُهُ، أَيْ: وَلِتُصْنَعَ فَعَلْتُ ذَلِكَ.

وَقُرِئَ: "وَلِتُصْنَعَ" بِكَسْرِ اللَّامِ وَسُكُونِهَا، وَالْجَزْمُ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

وَقُرِئَ: "وَلِتَصْنَعَ": بِفَتْحِ التَّاءِ وَالنَّصْبِ، أَيْ: وَلِيَكُونَ عَمَلُكَ وَتَصَرُّفُكَ عَلَى عَيْنٍ مِنِّي.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[1]

الْعَامِلُ فِي ﴿إِذْ تَمْشِي﴾[2]، ﴿أَلْقَيْتُ﴾[3]، أَوْ ﴿تُصْنَعَ﴾[4]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾.[5]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَصِحُّ الْبَدَلُ وَالْوَقْتَانِ مُخْتَلِفَانِ مُتَبَاعِدَانِ؟

قُلْتُ: كَمَا يَصِحُّ -وَإِنِ اتَّسَعَ الْوَقْتُ وَتَبَاعَدَ طَرَفَاهُ- أَنْ يَقُولَ لَكَ الرَّجُلُ: لَقِيتُ فُلَانًا سَنَةَ كَذَا، فَتَقُولُ: وَأَنَا لَقِيتُهُ إِذْ ذَاكَ، وَرُبَّمَا لَقِيَهُ هُوَ فِي أَوَّلِهَا وَأَنْتَ فِي آخِرِهَا، يُرْوَى أَنَّ أُخْتَهُ وَاسْمُهَا مَرْيَمُ جَاءَتْ مُتَعَرِّفَةً خَبَرَهُ، فَصَادَفَتْهُمْ يَطْلُبُونَ لَهُ مُرْضِعَةً يَقْبَلُ ثَدْيَهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْبَلُ ثَدْيَ امْرَأَةٍ، فَقَالَتْ: هَلْ أَدُلُّكُمْ؟ فَجَاءَتْ بِالْأُمِّ، فَقَبِلَ ثَدْيَهَا.

وَيُرْوَى أَنَّ آسِيَةَ اسْتَوْهَبَتْهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَتَبَنَّتْهُ، وَهِيَ الَّتِي أَشْفَقَتْ عَلَيْهِ وَطَلَبَتْ لَهُ الْمَرَاضِعَ.

هِيَ نَفْسُ الْقِبْطِيِّ الَّذِي اسْتَغَاثَهُ عَلَيْهِ الْإِسْرَائِيلِيُّ، قَتَلَهُ وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً: اغْتَمَّ بِسَبَبِ الْقَتْلِ؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَمِنَ اقْتِصَاصِ فِرْعَوْنَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ بِاسْتِغْفَارِهِ حِينَ قَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾[6]، وَنَجَّاهُ مِنْ فِرْعَوْنَ أَنْ يُنْشِبَ فِيهِ أَظْفَارَهُ حِينَ هَاجَرَ بِهِ إِلَى مَدْيَنَ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة الْقَصَصَ، الآية 16.

﴿فُتُونًا﴾[1]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا عَلَى فُعُولٍ فِي الْمُتَعَدِّي، كَالثُّبُورِ وَالشُّكُورِ وَالْكُفُورِ، وَجَمْعُ فِتْنٍ أَوْ فِتْنَةٍ، عَلَى تَرْكِ الِاعْتِدَادِ بِتَاءِ التَّأْنِيثِ، كَحُجُورٍ وَبُدُورٍ، فِي حُجْزَةٍ وَبُدْرَةٍ، أَيْ: فَتَنَّاكَ ضُرُوبًا مِنَ الْفِتَنِ.

سَأَلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ابْنَ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَقَالَ: خَلَّصْنَاكَ مِنْ مِحْنَةٍ بَعْدَ مِحْنَةٍ: وُلِدَ فِي عَامٍ كَانَ يُقْتَلُ فِيهِ الْوِلْدَانُ، فَهَذِهِ فِتْنَةٌ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ، وَأَلْقَتْهُ أُمُّهُ فِي الْبَحْرِ، وَهَمَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ، وَقَتَلَ قِبْطِيًّا، وَأَجَّرَ نَفْسَهُ عَشْرَ سِنِينَ، وَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَتَفَرَّقَتْ غَنَمُهُ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدَةٍ: فَهَذِهِ فِتْنَةٌ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ.

وَالْفِتْنَةُ: الْمِحْنَةُ، وَكُلُّ مَا يَشُقُّ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَكُلُّ مَا يَبْتَلِي اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ: فِتْنَةٌ؛ قَالَ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[2].

"خَامِدِينَ": عَلَى ثَمَانِي مَرَاحِلَ مِنْ مِصْرَ.

وَعَنْ وَهْبٍ: أَنَّهُ لَبِثَ عِنْدَ شُعَيْبٍ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، مِنْهَا مَهْرُ ابْنَتِهِ، وَقَضَى أَوْفَى الْأَجَلَيْنِ، أَيْ: سَبَقَ فِي قَضَائِي وَقَدَرِي أَنْ أُكَلِّمَكَ وَأَسْتَنْبِئَكَ، وَفِي وَقْتٍ بِعَيْنِهِ قَدْ وَقَّتُّهُ لِذَلِكَ، فَمَا جِئْتَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ الْقَدَرِ غَيْرَ مُسْتَقْدِمٍ وَلَا مُسْتَأْخِرٍ.

وَقِيلَ: عَلَى مِقْدَارٍ مِنَ الزَّمَانِ يُوحَى فِيهِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ رَأْسُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

هَذَا تَمْثِيلٌ لِمَا خَوَّلَهُ مِنْ مَنْزِلَةِ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّكْلِيمِ، مِثْلَ حَالِهِ بِحَالِ مَنْ يَرَاهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِجَوَامِعِ خِصَالٍ فِيهِ وَخَصَائِصَ؛ أَهَّلَا لِئَلَّا يَكُونَ أَحَدَ أَقْرَبِ مَنْزِلَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَلَا أَلْطَفَ مَحَلًّا، فَيَصْطَنِعُهُ بِالْكَرَامَةِ وَالْأَثَرَةِ، وَيَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بِعَيْنِهِ وَأُذُنِهِ، وَلَا يَأْتَمِنُ عَلَى مَكْنُونِ سِرِّهِ إِلَّا سَوَاءُ ضَمِيرِهِ.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[3]

الْوَنَى: الْفُتُورُ وَالتَّقْصِيرُ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 35.

[3] سورة طَهَ، الآية.

وَقُرِئَ: "تنيا": بِكَسْرِ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ لِلْإِتْبَاعِ، أَيْ: لَا تَنْسَيَانِي وَلَا أَزَالُ مِنْكُمَا عَلَى ذِكْرٍ حَيْثُمَا تَقَلَّبْتُمَا، وَاتَّخِذَا ذِكْرِي جَنَاحًا تَصِيرَانِ بِهِ مُسْتَمَدَّيْنِ بِذَلِكَ الْعَوْنَ وَالتَّأْيِيدَ مِنِّي، مُعْتَقَدَيْنِ أَنَّ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ لَا يَتَمَشَّى لِأَحَدٍ إِلَّا بِذِكْرِي.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِالذِّكْرِ: تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَقَعُ عَلَى سَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَتَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ مِنْ أَجَلِّهَا وَأَعْظَمِهَا، فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمُ الذِّكْرِ.

رُوِيَ: أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– أَوْحَى إِلَى هَارُونَ، وَهُوَ بِمِصْرَ أَنْ يَتَلَقَّى مُوسَى.

وَقِيلَ: سَمِعَ بِمَقْبَلِهِ.

وَقِيلَ: أُلْهِمَ ذَلِكَ.

قُرِئَ: "لِينًا": بِالتَّخْفِيفِ وَالْقَوْلِ اللَّيِّنِ؛ نَحْوَ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾[1]، لِأَنَّ ظَاهِرَهُ الِاسْتِفْهَامُ وَالْمَشُورَةُ، وَعَرْضُ مَا فِيهِ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَقِيلَ: عَدَاهُ شَبَابًا لَا يَهْرَمُ بَعْدَهُ، وَمُلْكًا لَا يُنْزَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْمَوْتِ، وَأَنْ تَبْقَى لَهُ لَذَّةُ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَنْكَحِ إِلَى حِينِ مَوْتِهِ.

وَقِيلَ: لَا تَجْبَهَاهُ بِمَا يَكْرَهُ، وَأَلْطِفَا لَهُ فِي الْقَوْلِ؛ لِمَا لَهُ مِنْ حَقِّ تَرْبِيَةِ مُوسَى، وَلِمَا ثَبَتَ لَهُ مِنْ مِثْلِ حَقِّ الْأُبُوَّةِ.

وَقِيلَ: كَنِّيَاهُ، وَهُوَ مِنْ ذَوِي الْكُنَى الثَّلَاثِ: أَبُو الْعَبَّاسِ، وَأَبُو الْوَلِيدِ، وَأَبُو مُرَّةَ، وَالتَّرَجِّي لَهُمَا، أَيِ: اذْهَبَا عَلَى رَجَائِكُمَا وَطَمَعِكُمَا، وَبَاشِرَا الْأَمْرَ مُبَاشَرَةَ مَنْ يَرْجُو وَيَطْمَعُ أَنْ يُثْمِرَ عَمَلُهُ وَلَا يَخِيبَ سَعْيُهُ، فَهُوَ يَجْتَهِدُ بِطَوْقِهِ، وَيَحْتَشِدُ بِأَقْصَى وُسْعِهِ، وَجَدْوَى إِرْسَالِهِمَا إِلَيْهِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ إِلْزَامُ الْحُجَّةِ وَقَطْعُ الْمَعْذِرَةِ.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾[2]، أَيْ: يَتَذَكَّرُ وَيَتَأَمَّلُ فَيَبْذُلُ النَّصَفَةَ مِنْ نَفْسِهِ وَالْإِذْعَانَ لِلْحَقِّ.

﴿أَوْ يَخْشَى﴾[3]: أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفَانِ، فَيَجُرُّهُ إِنْكَارُهُ إِلَى الْهَلَكَةِ.

---

[1] سورة النَّازِعَاتِ، الآيتان 18–19.

[2] سورة الْقَصَصَ، الآية 47.

[3] سورة طَهَ، الآية.

﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا
أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[1]

فَرَطَ: سَبَقَ وَتَقَدَّمَ، وَمِنْهُ الْفَارِطُ: الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْوَارِدَةَ، وَفَرَسٌ فَرَطٌ: يَسْبِقُ الْخَيْلَ، أَيْ: نَخَافُ أَنْ يُعَجِّلَ عَلَيْنَا بِالْعُقُوبَةِ وَيُبَادِرَنَا بِهَا.

وَقُرِئَ "يَفْرُطُ": مِنْ أَفْرَطَهُ غَيْرُهُ إِذَا حَمَلَهُ عَلَى الْعَجَلَةِ، خَافَا أَنْ يَحْمِلَهُ حَامِلٌ عَلَى الْمُعَاجَلَةِ بِالْعِقَابِ مِنْ شَيْطَانٍ، أَوْ مِنْ جَبَرُوتِهِ وَاسْتِكْبَارِهِ وَادِّعَائِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، أَوْ مِنْ حُبِّهِ الرِّيَاسَةَ، أَوْ مِنْ قَوْمِهِ الْقِبْطِ الْمُتَمَرِّدِينَ الَّذِينَ حَكَى عَنْهُمْ رَبُّ الْعِزَّةِ: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾[2].

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾[3].

وَقُرِئَ: "يُفْرِطُ"؛ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْأَذِيَّةِ، أَيْ: نَخَافُ أَنْ يَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ بِالْمُعَاجَلَةِ، أَوْ يُجَاوِزُ الْحَدَّ فِي مُعَاقَبَتِنَا إِنْ لَمْ يُعَاجِلْ؛ بِنَاءً عَلَى مَا عَرَفَا وَجَرَّبَا مِنْ شَرَارَتِهِ وَعُتُوِّهِ.

﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾[4]: بِالتَّخَطِّي إِلَى أَنْ يَقُولَ فِيكَ مَا لَا يَنْبَغِي؛ لِجُرْأَتِهِ عَلَيْكَ وَقَسْوَةِ قَلْبِهِ، وَفِي الْمَجِيءِ بِهِ هَكَذَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَعَلَى سَبِيلِ الرَّمْزِ: بَابٌ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَتَحَاشٍ عَنِ التَّفَوُّهِ بِالْعَظِيمَةِ.

﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[5]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 60.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

﴿مَعَكُمَا﴾[1]، أَيْ: حَافِظُكُمَا وَنَاصِرُكُمَا.

﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[2]: مَا يَجْرِي بَيْنَكُمَا وَبَيْنَهُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، فَأَفْعَلُ مَا يُوجِبُهُ حِفْظِي وَنُصْرَتِي لَكُمَا، فَجَائِزٌ أَنْ يُقَدَّرَ أَقْوَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ، وَجَائِزٌ أَنْ لَا يُقَدَّرَ شَيْءٌ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَنَا حَافِظٌ لَكُمَا وَنَاصِرٌ سَامِعٌ مُبْصِرٌ، وَإِذَا كَانَ الْحَافِظُ وَالنَّاصِرُ كَذَلِكَ، تَمَّ الْحِفْظُ وَصَحَّتِ النُّصْرَةُ، وَذَهَبَتِ الْمُبَالَاةُ بِالْعَدُوِّ، كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي مَلَكَةِ فِرْعَوْنَ وَالْقِبْطِ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِتَكْلِيفِ الْأَعْمَالِ الصَّعْبَةِ: مِنَ الْحَفْرِ وَالْبِنَاءِ وَنَقْلِ الْحِجَارَةِ، وَالسُّخْرَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، مَعَ قَتْلِ الْوِلْدَانِ، وَاسْتِخْدَامِ النِّسَاءِ.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾[3]: جُمْلَةٌ جَارِيَةٌ مِنَ الْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَهِيَ: ﴿إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾[4]، مَجْرَى الْبَيَانِ وَالتَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّ دَعْوَى الرِّسَالَةِ تَثْبُتُ إِلَّا بِبَيِّنَتِهَا الَّتِي هِيَ الْمَجِيءُ بِالْآيَةِ؛ إِنَّمَا وَحَّدَ قَوْلَهُ: ﴿بِآيَةٍ﴾[5]، وَلَمْ يُثَنِّ وَمَعَهُ آيَتَانِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: تَثْبِيتُ الدَّعْوَى بِبُرْهَانِهَا؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: قَدْ جِئْنَاكَ بِمُعْجِزَةٍ وَبُرْهَانٍ وَحُجَّةٍ عَلَى مَا ادَّعَيْنَاهُ مِنَ الرِّسَالَةِ؛ وَكَذَلِكَ ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[6]، ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[7]، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾[8]، يُرِيدُ: وَسَلَامُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ عَلَى الْمُهْتَدِينَ، وَتَوْبِيخُ خَزَنَةِ النَّارِ وَالْعَابُ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[9]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية 47.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 105.

[7] سورة الشُّعَرَاءَ، الآية 7.

[8] سورة الشُّعَرَاءَ، الآية 30.

[9] سورة طَهَ، الآية.

خَاطَبَ الِاثْنَيْنِ، وَوَجَّهَ النِّدَاءَ إِلَى أَحَدِهِمَا وَهُوَ مُوسَى، لِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي النُّبُوَّةِ، وَهَارُونُ وَزِيرُهُ وَتَابِعُهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَحْمِلَهُ خُبْثُهُ وَدِعَارَتُهُ عَلَى اسْتِدْعَاءِ كَلَامِ مُوسَى دُونَ كَلَامِ أَخِيهِ؛ لِمَا عَرَفَ مِنْ فَصَاحَةِ هَارُونَ وَالرَّتَّةِ فِي لِسَانِ مُوسَى؛ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ﴾[1].

"خَلَقَهُنَّ": أَوَّلُ مَفْعُولَيْ أَعْطَى، أَيْ: أَعْطَى خَلِيقَتَهُ كُلَّ شَيْءٍ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ، أَوْ ثَانِيهِمَا، أَيْ: أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ صُورَتَهُ وَشَكْلَهُ الَّذِي يُطَابِقُ الْمَنْفَعَةَ الْمَنُوطَةَ بِهِ، كَمَا أَعْطَى الْعَيْنَ الْهَيْئَةَ الَّتِي تُطَابِقُ الْإِبْصَارَ، وَالْأُذُنَ الشَّكْلَ الَّذِي يُوَافِقُ الِاسْتِمَاعَ؛ وَكَذَلِكَ الْأَنْفُ وَالْيَدُ وَالرِّجْلُ وَاللِّسَانُ: كَلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُطَابِقٌ لِمَا عُلِّقَ بِهِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ، غَيْرُ نَابٍ عَنْهُ، أَوْ أَعْطَى كُلَّ حَيَوَانٍ نَظِيرَهُ فِي الْخَلْقِ وَالصُّورَةِ، حَيْثُ جُعِلَ الْحِصَانُ وَالْحِجْرُ زَوْجَيْنِ، وَالْبَعِيرُ وَالنَّاقَةُ، وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، فَلَمْ يُزَاوِجْ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرُ جِنْسِهِ وَمَا هُوَ عَلَى خِلَافِ خَلْقِهِ.

وَقُرِئَ: "خَلَقَهُ": صِفَةٌ لِلْمُضَافِ أَوْ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ لَمْ يُخَلِّهِ مِنْ عَطَائِهِ وَإِنْعَامِهِ.

﴿ثُمَّ هَدَى﴾[2]، أَيْ: عَرَفَ كَيْفَ يُرْتَفَقُ بِمَا أَعْطَى، وَكَيْفَ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ، وَلِلَّهِ دَرُّ هَذَا الْجَوَابِ مَا أَخْصَرَهُ وَمَا أَجْمَعَهُ، وَمَا أَبْيَنَهُ لِمَنْ أَلْقَى الذِّهْنَ وَنَظَرَ بِعَيْنِ الْإِنْصَافِ، وَكَانَ طَالِبًا لِلْحَقِّ!

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾[3]

---

[1] سورة الزُّخْرُف، الآية 52.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

سَأَلَهُ عَنْ حَالِ مَنْ تَقَدَّمَ وَخَلَا مِنَ الْقُرُونِ، وَعَنْ شَقَاءِ مَنْ شَقِيَ مِنْهُمْ وَسَعَادَةِ مَنْ سَعِدَ، فَأَجَابَهُ بِأَنَّ هَذَا سُؤَالٌ عَنِ الْغَيْبِ، وَقَدِ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، وَمَا أَنَا إِلَّا عَبْدٌ مِثْلُكَ لَا أَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا مَا أَخْبَرَنِي بِهِ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، وَعِلْمُ أَحْوَالِ الْقُرُونِ مَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُخْطِئَ شَيْئًا أَوْ يَنْسَاهُ، يُقَالُ: ضَلَلْتُ الشَّيْءَ: إِذَا أَخْطَأْتُهُ فِي مَكَانِهِ فَلَمْ تَهْتَدِ لَهُ؛ كَقَوْلِكَ: ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ وَالْمَنْزِلَ.

وَقُرِئَ: "يَضِلُّ": مِنْ أَضَلَّهُ إِذَا ضَيَّعَهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا يَتْرُكُ مَنْ كَفَرَ بِهِ حَتَّى يَنْتَقِمَ مِنْهُ، وَلَا يَتْرُكَ مَنْ وَحَّدَهُ حَتَّى يُجَازِيَهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ قَدْ نَازَعَهُ فِي إِحَاطَةِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَتَبَيُّنِهِ لِكُلِّ مَعْلُومٍ، فَتَعَنَّتَ وَقَالَ: مَا تَقُولُ فِي سَوَالِفِ الْقُرُونِ، وَتَمَادِي كَثْرَتِهِمْ، وَتَبَاعُدِ أَطْرَافِ عَدَدِهِمْ، كَيْفَ أَحَاطَ بِهِمْ وَبِأَجْزَائِهِمْ وَجَوَاهِرِهِمْ؟

فَأَجَابَ: بِأَنَّ كُلَّ كَائِنٍ مُحِيطٌ بِهِ عِلْمُهُ، وَهُوَ مُثْبَتٌ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ، كَمَا يَجُوزَانِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الذَّلِيلُ وَالْبَشَرُ الضَّئِيلُ، أَيْ: لَا يَضِلُّ كَمَا تَضِلُّ أَنْتَ، وَلَا يَنْسَى كَمَا تَنْسَى يَا مُدَّعِي الرُّبُوبِيَّةِ بِالْجَهْلِ وَالْوَقَاحَةِ.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾[1]: مَرْفُوعٌ صِفَةٌ لِرَبِّي، أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ أَوْ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَدْحِ؛ وَهَذَا مِنْ مَظَانِّهِ وَمَجَازِهِ.

﴿مَهْدًا﴾[2]: قِرَاءَةُ أَهْلِ الْكُوفَةِ، أَيْ: مَهَدَهَا مَهْدًا، أَوْ يَتَمَهَّدُونَهَا، فَهِيَ لَهُمْ كَالْمَهْدِ، وَهُوَ مَا يُمَهَّدُ لِلصَّبِيِّ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

﴿وَسَلَكَ﴾[1]: مِنْ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[2]، ﴿سَلَكْنَاهُ﴾[3]، ﴿نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[4]، أَيْ: حَصَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَوَسَّطَهَا بَيْنَ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْبَرَارِي.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾[5]: انْتَقَلَ فِيهِ مِنْ لَفْظِ الْغَيْبَةِ إِلَى لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُطَاعِ، لِمَا ذَكَرْتُ مِنْ الِافْتِنَانِ، وَالْإِيذَانِ بِأَنَّهُ مُطَاعٌ تَنْقَادُ الْأَشْيَاءُ الْمُخْتَلِفَةُ لِأَمْرِهِ، وَتُذْعِنُ الْأَجْنَاسُ الْمُتَفَاوِتَةُ لِمَشِيئَتِهِ، لَا يَمْتَنِعُ شَيْءٌ عَلَى إِرَادَتِهِ؛ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[6]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾[7]، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[8]، وَفِيهِ تَخْصِيصٌ أَيْضًا– بِأَنَّا نَحْنُ نَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ قُدْرَةِ أَحَدٍ.

﴿أَزْوَاجًا﴾[9]: أَصْنَافًا؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا مُزْدَوِجَةٌ وَمُقْتَرِنَةٌ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ.

﴿شَتَّى﴾[10]: صِفَةٌ لِلْأَزْوَاجِ، جَمْعُ شَتِيتٍ، كَمَرِيضٍ وَمَرْضَى.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِلنَّبَاتِ، وَالنَّبَاتُ مَصْدَرٌ سُمِّيَ بِهِ النَّابِتُ كَمَا سُمِّيَ بِالنَّبْتِ، فَاسْتَوَى فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، يَعْنِي: أَنَّهَا شَتَّى مُخْتَلِفَةُ النَّفْعِ وَالطَّعْمِ وَاللَّوْنِ وَالرَّائِحَةِ وَالشَّكْلِ، بَعْضُهَا يَصْلُحُ لِلنَّاسِ وَبَعْضُهَا لِلْبَهَائِمِ، قَالُوا: مِنْ نِعْمَتِهِ –عَزَّ وَعَلَا– أَنَّ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِعَمَلِ الْأَنْعَامِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْمُدَّثِّرَ، الآية 42.

[3] سورة الشُّعَرَاءَ، الآية 200.

[4] سورة الْحِجْرَ، الآية 12.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة الْأَنْعَامَ، الآية 99.

[7] سورة فَاطِرَ، الآية 27.

[8] سورة النَّمْلَ، الآية 60.

[9] سورة طَهَ، الآية.

[10] سورة طَهَ، الآية.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَفَهَا مِمَّا يَفْضُلُ عَنْ حَاجَتِهِمْ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَكْلِهِ، أَيْ قَائِلِينَ: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾[1]: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾[2]، الْمَعْنَى: أَخْرَجْنَا أَصْنَافَ النَّبَاتِ آذِنِينَ فِي الِانْتِفَاعِ بِهَا، مُبِيحِينَ أَنْ تَأْكُلُوا بَعْضَهَا وَتَعْلِفُوا بَعْضَهَا.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[3]

أَرَادَ بِخَلْقِهِمْ مِنَ الأرض خَلْقَ أَصْلِهِمْ هُوَ آدَمُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مِنْهَا.

وَقِيلَ: إِنَّ الْمَلَكَ لَيَنْطَلِقُ فَيَأْخُذُ مِنْ تُرْبَةِ الْمَكَانِ الَّذِي يُدْفَنُ فِيهِ فَيُبَدِّدُهَا عَلَى النُّطْفَةِ فَيُخْلَقُ مِنَ التُّرَابِ وَالنُّطْفَةِ مَعًا، وَأَرَادَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْهَا أَنَّهُ يُؤَلِّفُ أَجْزَاءَهُمُ الْمُتَفَرِّقَةَ الْمُخْتَلِطَةَ بِالتُّرَابِ، وَيَرُدُّهُمْ كَمَا كَانُوا أَحْيَاءَ، وَيُخْرِجُهُمْ إِلَى الْمَحْشَرِ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾[4]، عَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا عَلَقَ بِالأرض مِنْ مَرَافِقِهِمْ؛ حَيْثُ جَعَلَهَا لَهُمْ فِرَاشًا وَمِهَادًا يَتَقَبَّلُونَ عَلَيْهَا؛ وَسَوَّى لَهُمْ فِيهَا مَسَالِكَ يَتَرَدَّدُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا، وَأَنْبَتَ فِيهَا أَصْنَافَ النَّبَاتِ الَّتِي مِنْهَا أَقْوَاتُهُمْ وَعُلُوفَاتُ بَهَائِمِهِمْ، وَهِيَ أَصْلُهُمُ الَّذِي مِنْهُ تَفَرَّعُوا، وَأُمُّهُمُ الَّتِي مِنْهَا وُلِدُوا، ثُمَّ هِيَ كِفَاتُهُمْ إِذَا مَاتُوا، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "تَمَسَّحُوا بِالأرض، فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ".

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾[5]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة الْمَعَارِجَ، الآية 43.

[5] سورة طَهَ، الآية.

﴿أَرَيْنَاهُ﴾[1]: بَصَّرْنَاهُ أَوْ عَرَّفْنَاهُ صِحَّتَهَا وَيَقَّنَّاهُ بِهَا؛ وَإِنَّمَا كَذَّبَ لِظُلْمِهِ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2]، وَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض بَصَائِرَ﴾[3]، وَفِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾[4] وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَحْذِيَ بِهَذَا التَّعْرِيفِ الْإِضَافِيِّ حَذْوَ التَّعْرِيفِ بِاللَّامِ لَوْ قِيلَ الْآيَاتُ كُلُّهَا، أَعْنِي: أَنَّهَا كَانَتْ لَا تُعْطِي إِلَّا تَعْرِيفَ الْعَهْدِ.

وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْآيَاتِ الْمَعْلُومَةِ الَّتِي هِيَ تِسْعُ الْآيَاتِ الْمُخْتَصَّةُ بِمُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: الْعَصَا، وَالْيَدُ، وَفَلْقُ الْبَحْرِ، وَالْحَجَرِ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، وَنَتْقُ الْجَبَلِ.

– وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مُوسَى قَدْ أَرَاهُ آيَاتِهِ وَعَدَّدَ عَلَيْهِ مَا أُوتِيَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ آيَاتِهِمْ وَمُعْجِزَاتِهِمْ، وَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ، لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا يُخْبِرُ عَنْهُ وَبَيْنَ مَا يُشَاهِدُ بِهِ، فَكَذَّبَهَا جَمِيعًا.

﴿وَأَبَى﴾[5]: أَنْ يَقْبَلَ شَيْئًا مِنْهَا، وَقِيلَ: فَكَذَّبَ الْآيَاتِ وَأَبَى قَبُولَ الْحَقِّ.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾[6]

يَلُوحُ مِنْ جَيْبِ قَوْلِهِ: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾[7]: أَنَّ فَرَائِصَهُ كَانَتْ تُرْعِدُ خَوْفًا مِمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِعِلْمِهِ وَإِيقَانِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّ الْمُحِقَّ لَوْ أَرَادَ قَوْدَ الْجِبَالِ لَانْقَادَتْ، وَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يُخْذَلُ وَلَا يَقِلُّ نَاصِرُهُ، وَأَنَّهُ غَالِبُهُ عَلَى مُلْكِهِ لَا مَحَالَةَ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة النَّمْلَ، الآية 14.

[3] سورة الْإِسْرَاءَ، الآية 12.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسِحْرِكَ﴾[1]: تَعَلُّلٌ وَتَحَيُّرٌ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَنَّ سَاحِرًا لَا يَقْدِرُ أَنْ يُخْرِجَ مَلِكًا مِثْلَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَيَغْلِبَهُ عَلَى مُلْكِهِ بِالسِّحْرِ؟!

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾[2]

لَا يَخْلُو الْمَوْعِدُ فِي قَوْلِهِ:﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾[3] مِنْ أَنْ يُجْعَلَ زَمَانًا أَوْ مَكَانًا أَوْ مَصْدَرًا، فَإِنْ جَعَلْتَهُ زَمَانًا نَظَرًا فِي أَنَّ قَوْلَهُ –تَعَالَى–: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾[4]: مُطَابِقٌ لَهُ، لَزِمَكَ شَيْئَانِ: أَنْ تَجْعَلَ الزَّمَانَ مُخْلَفًا؛ وَأَنْ يَعْضُلَ عَلَيْكَ نَاصِبُ مَكَانًا: وَإِنْ جَعَلْتَهُ مَكَانًا؛ لِقَوْلِهِ –تَعَالَى–:﴿ مَكَانًا سُوًى﴾[5]، لَزِمَكَ أَيْضًا– أَنْ تُوقِعَ الْإِخْلَافَ عَلَى الْمَكَانِ، وَأَلَّا يُطَابِقَ قَوْلُهُ: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾[6].

وَقِرَاءَةُ الْحَسَنِ غَيْرُ مُطَابِقَةٍ لَهُ مَكَانًا وَزَمَانًا جَمِيعًا؛ لِأَنَّهُ قَرَأَ: "يَوْمَ الزِّينَةِ": بِالنَّصْبِ، فَبَقِيَ أَنْ يُجْعَلَ مَصْدَرًا، بِمَعْنَى: الْوَعْدِ، وَيُقَدَّرُ: مُضَافٌ مَحْذُوفٌ، أَيْ: مَكَانُ مَوْعِدٍ.

وَيُجْعَلُ الضَّمِيرُ فِي ﴿نُخْلِفُهُ﴾[7]: لِلْمَوْعِدِ، وَ﴿مَكَانًا﴾[8]: بَدَلٌ مِنَ الْمَكَانِ الْمَحْذُوفِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية 58.

[6] سورة طَهَ، الآية 59.

[7] سورة طَهَ، الآية.

[8] سورة طَهَ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ طَابَقَهُ قَوْلُهُ: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾[1]، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَجْعَلَهُ زَمَانًا، وَالسُّؤَالُ وَاقِعٌ عَنِ الْمَكَانِ لَا عَنِ الزَّمَانِ؟

قُلْتُ: هُوَ مُطَابِقٌ مَعْنًى، وَإِنْ لَمْ يُطَابِقْ لَفْظًا، لِأَنَّهُمْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يَجْتَمِعُوا يَوْمَ الزِّينَةِ فِي مَكَانٍ بِعَيْنِهِ، مُشْتَهِرٍ بِاجْتِمَاعِهِمْ فِيهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَبِذِكْرِ الزَّمَانِ عُلِمَ الْمَكَانُ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْحَسَنِ: فَالْمَوْعِدُ فِيهَا مَصْدَرٌ لَا غَيْرَ.

وَالْمَعْنَى: إِنْجَازُ وَعْدِكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ، وَطِبَاقُ هَذَا أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنَى.

وَيَجُوزُ أَنْ لَا يُقَدَّرُ مُضَافٌ مَحْذُوفٌ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَعْدًا لَا نُخْلِفُهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فِيمَ يَنْتَصِبُ مَكَانًا؟

قُلْتُ: بِالْمَصْدَرِ، أَوْ بِفِعْلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَصْدَرُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ يُطَابِقُهُ الْجَوَابُ؟

قُلْتُ: أَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْحَسَنِ فَظَاهِرٌ؛ وَأَمَّا عَلَى قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، فَعَلَى تَقْدِيرِ: وَعَدَكُمْ وَعْدَ يَوْمِ الزِّينَةِ.

وَيَجُوزُ عَلَى قِرَاءَةِ الْحَسَنِ أَنْ يَكُونَ: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾[2]: مُبْتَدَأً، بِمَعْنَى: الْوَقْتِ، وَ﴿ضُحًى﴾[3]: خَبَرَهُ، عَلَى نِيَّةِ التَّعْرِيفِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ ضُحَى ذَلِكَ الْيَوْمِ بِعَيْنِهِ.

وَقِيلَ: فِي يَوْمِ الزِّينَةِ: يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَيَوْمُ النَّيْرُوزِ، وَيَوْمُ عِيدٍ كَانَ لَهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ، وَيَوْمٌ كَانُوا يَتَّخِذُونَ فِيهِ سُوقًا وَيَتَزَيَّنُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.

قُرِئَ: "نُخْلِفُهُ": بِالرَّفْعِ عَلَى الْوَصْفِ لِلْمَوْعِدِ، وَبِالْجَزْمِ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ.

وَقُرِئَ: "سِوَى"، وَسُوَى: بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ، وَمُنَوَّنًا وَغَيْرَ مُنَوَّنٍ.

وَمَعْنَاهُ: مُنْصِفًا بَيْنَنَا، وَبَيْنَكَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَهُوَ مِنَ الِاسْتِوَاءِ؛ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ مِنَ الْوَسَطِ إِلَى الطَّرَفَيْنِ مُسْتَوِيَةٌ لَا تَفَاوُتَ فِيهَا، وَمَنْ لَمْ يُنَوِّنْ، فَوَجْهُهُ أَنْ يُجْرِيَ الْوَصْلَ مَجْرَى الْوَقْفِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

قُرِئَ: "وَأَنْ تَحْشُرَ النَّاسَ": بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، يُرِيدُ: وَأَنْ تَحْشُرَ يَا فِرْعَوْنُ، وَأَنْ يَحْشُرَ الْيَوْمَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ضَمِيرُ فِرْعَوْنَ ذُكِرَهُ بِلَفْظِ الْغَيْبَةِ إِمَّا عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي يُخَاطَبُ بِهَا الْمُلُوكُ، أَوْ خَاطَبَ الْقَوْمَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾[1]، وَجَعَلَ: ﴿يُحْشَرَ﴾[2]: لِفِرْعَوْنَ.

وَمَحَلُّ: "وَأَنْ يُحْشَرُوا": الرَّفْعُ أَوِ الْجَرُّ، عَطْفًا عَلَى الْيَوْمِ أَوِ الزِّينَةِ.

وَإِنَّمَا وَاعَدَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ، لِيَكُونَ عُلُوُّ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَظُهُورُ دِينِهِ، وَكَبْتُ الْكَافِرِ، وَزَهُوقُ الْبَاطِلِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ وَفِي الْمَجْمَعِ الْغَاصِّ، لِتَقْوَى رَغْبَةُ مَنْ رَغِبَ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَيَكِلَّ حَدُّ الْمُبْطِلِينَ وَأَشْيَاعِهِمْ، وَيَكْثُرَ الْمُحَدِّثُ بِذَلِكَ الْأَمْرِ الْعَلَمِ فِي كُلِّ بَدْوٍ وَحَضَرٍ، وَيَشِيعُ فِي جَمِيعِ أَهْلِ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾[3]

﴿لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[4]، أَيْ: لَا تَدَّعُوا آيَاتِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ سِحْرًا.

قُرِئَ: "فَيُسْحِتَكُمْ"، وَالسُّحْتُ: لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ.

وَالْإِسْحَاتُ: لُغَةُ أَهْلِ نَجْدٍ وَبَنِي تَمِيمٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ:

إِلَّا مُسْحِتًا أَوْ مُجَلَّـــــفُ

فِي بَيْتٍ لَا تَزَالُ الرِّكَبُ تَصْطَكُّ فِي تَسْوِيَةِ إِعْرَابِهِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَجْوَاهُمْ: إِنْ غَلَبَنَا مُوسَى اتَّبَعْنَاهُ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: إِنْ كَانَ سَاحِرًا فَسَنَغْلِبُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ السَّمَاءِ فَلَهُ أَمْرٌ.

وَعَنْ وَهْبٍ لَمَّا قَالَ: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ ...[2]الْآيَةَ، قَالُوا: مَا هَذَا بِقَوْلِ سَاحِرٍ.

وَالظَّاهِرُ: أَنَّهُمْ تَشَاوَرُوا فِي السِّرِّ، وَتَجَاذَبُوا أَهْدَابَ الْقَوْلِ، ثُمَّ قَالُوا: إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ؛ فَكَانَتْ نَجْوَاهُمْ فِي تَلْفِيقِ هَذَا الْكَلَامِ وَتَزْوِيرِهِ، خَوْفًا مِنْ غَلَبَتِهِمَا، وَتَثْبِيطًا لِلنَّاسِ عَنِ اتِّبَاعِهِمَا.

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: "إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ": عَلَى الْجِهَةِ الظَّاهِرَةِ الْمَكْشُوفَةِ؛ وَابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ: "إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ"، عَلَى قَوْلِكَ: إِنْ زَيْدٌ لَمُنْطَلِقٌ.

وَاللَّامُ هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ إِنِ النَّافِيَةِ وَالْمُخَفَّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ.

وَقَرَأَ أُبَيٌّ: "إِنْ ذَانِ إِلَّا سَاحِرَانِ".

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "أَنْ هَذَانِ سَاحِرَانِ": بِفَتْحِ أَنْ وَبِغَيْرِ لَامٍ، بَدَلٌ مِنَ النَّجْوَى.

وَقِيلَ فِي الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةِ: "إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" هِيَ لُغَةُ بِلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، جَعَلُوا الِاسْمَ الْمُثَنَّى نَحْوَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي آخِرُهَا أَلِفٌ، كَعَصَا وَسُعْدَى، فَلَمْ يَقْلِبُوهَا يَاءً فِي الْجَرِّ وَالنَّصْبِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: "أَنْ" بِمَعْنَى: نَعَمْ، وَ"سَاحِرَانِ": خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، وَاللَّامُ دَاخِلَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ. تَقْدِيرُهُ: لَهُمَا سَاحِرَانِ.

وَقَدْ أُعْجِبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ سَمُّوا مَذْهَبَهُمُ الطَّرِيقَةَ: ﴿الْمُثْلَى﴾[3]، وَالسُّنَّةَ: الْفُضْلَى، وَكُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة، الآية.

وَقِيلَ: أَرَادُوا أَهْلَ طَرِيقَتِهِمُ الْمُثْلَى، وَهُمْ: بَنُو إِسْرَائِيلَ؛ لِقَوْلِ مُوسَى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[1].

وَقِيلَ: "الطَّرِيقَةُ": اسْمٌ لِوُجُوهِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمُ الَّذِينَ هُمْ قُدْوَةٌ لِغَيْرِهِمْ، يُقَالُ: هُمْ طَرِيقَةُ قَوْمِهِمْ، وَيُقَالُ لِلْوَاحِدِ أَيْضًا: هُوَ طَرِيقَةُ قَوْمِهِ.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾[2]، يُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾[3].

وَقُرِئَ: "فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ"، أَيْ: أَزْمِعُوهُ وَاجْعَلُوهُ مُجْمَعًا عَلَيْهِ، حَتَّى لَا تَخْتَلِفُوا وَلَا يَخْلُفُ عَنْهُ وَاحِدٌ مِنْكُمْ، كَالْمَسْأَلَةِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا، أُمِرُوا بِأَنْ يَأْتُوا صَفًّا؛ لِأَنَّهُ أَهِيبَ فِي صُدُورِ الرَّائِينَ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُمْ كَانُوا سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَبْلٌ وَعَصَا، وَقَدْ أَقْبَلُوا إِقْبَالَةً وَاحِدَةً.

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ فَسَّرَ الصَّفَّ بِالْمُصَلَّى؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ لِعِيدِهِمْ وَصِلَاتِهِمْ مُصْطَفِّينَ، وَوَجْهُ صِحَّتِهِ: أَنْ يَقَعَ عَلَمًا لِمُصَلَّى بِعَيْنِهِ، فَأُمِرُوا بِأَنْ يَأْتُوهُ.

أَوْ يُرَادُ: ائْتُوا مُصَلَّى مِنَ الْمُصَلَّيَاتِ.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾[4]: اعْتِرَاضٌ، يَعْنِي: وَقَدْ فَازَ مَنْ غَلَبَ.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[5]

﴿أَنْ﴾: مَعَ مَا بَعْدَهُ إِمَّا مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ، أَوْ مَرْفُوعٌ بِأَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مَحْذُوفٍ، مَعْنَاهُ: اخْتَرْ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ، أَوِ الْأَمْرُ إِلْقَاؤُكَ أَوْ إِلْقَاؤُنَا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية 47.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

وَهَذَا التَّخْيِيرُ مِنْهُمْ: اسْتِعْمَالُ أَدَبٍ حَسَنٍ مَعَهُ، وَتَوَاضُعٌ لَهُ وَخَفْضُ جَنَاحٍ، وَتَنْبِيهٌ عَلَى إِعْطَائِهِمُ النَّصَفَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَأَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَعَلَا– أَلْهَمَهُمْ ذَلِكَ، وَعَلَّمَ مُوسَى – صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– اخْتِيَارَ إِلْقَائِهِمْ أَوَّلًا، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُقَابَلَةِ أَدَبٍ بِأَدَبٍ، حَتَّى يُبْرِزُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ مَكَايِدِ السِّحْرِ، وَيَسْتَنْفِدُوا أَقْصَى طَوْقِهِمْ وَمَجْهُودِهِمْ. فَإِذَا فَعَلُوا، أَظْهَرَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ وَقَذَفَ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَدَمَغَهُ، وَسَلَّطَ الْمُعْجِزَةَ عَلَى السِّحْرِ فَمَحَقَتْهُ، وَكَانَتْ آيَةً نَيِّرَةً لِلنَّاظِرِينَ، وَعِبْرَةً بَيِّنَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ. يُقَالُ:

فِي "إِذَا" هَذِهِ: إِذَا الْمُفَاجَأَةُ.

وَالتَّحْقِيقُ فِيهَا: أَنَّهَا إِذَا الْكَائِنَةُ بِمَعْنَى: الْوَقْتُ، الطَّالِبَةُ نَاصِبًا لَهَا وَجُمْلَةً تُضَافُ إِلَيْهَا، خُصَّتْ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ بِأَنْ يَكُونَ نَاصِبُهَا فِعْلًا مَخْصُوصًا، وَهُوَ فِعْلُ الْمُفَاجَأَةِ. وَالْجُمْلَةُ ابْتِدَائِيَّةٌ لَا غَيْرَ.

فَتَقْدِيرُ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾[1]: فَفَاجَأَ مُوسَى وَقْتَ تَخْيِيلِ سَعْيِ حِبَالِهِمْ وَعِصِيِّهِمْ، وَهَذَا تَمْثِيلٌ.

وَالْمَعْنَى: عَلَى مُفَاجَأَتِهِ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ مُخَيَّلَةً إِلَيْهِ السَّعْيَ.

وَقُرِئَ: "عُصِيِّهِمْ": بِالضَّمِّ وَهُوَ الْأَصْلُ، بِالْكَسْرِ إِتْبَاعٌ؛ وَنَحْوُهُ: دُلِيٌّ وَدِلِيٌّ، وَقُسِيٌّ وَقِسِيٌّ.

وَقُرِئَ: "تُخَيَّلُ": عَلَى إِسْنَادِهِ إِلَى ضَمِيرِ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ، وَإِبْدَالُ قَوْلِهِ: ﴿أَنَّهَا تَسْعَى﴾[2]: مِنَ الضَّمِيرِ بَدَلَ الِاشْتِمَالِ؛ كَقَوْلِكَ: أَعْجَبَنِي زَيْدٌ كَرَمُهُ، وَتُخَيَّلَ عَلَى كَوْنِ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ مُخَيَّلَةً سَعْيَهَا.

وَتُخَيِّلَ بِمَعْنَى: تَتَخَيَّلُ، وَطَرِيقُهُ طَرِيقُ تَخَيُّلٍ، وَنُخَيِّلُ: عَلَى أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– هُوَ الْمُخَيِّلُ لِلْمِحْنَةِ وَالِابْتِلَاءِ: يُرْوَى أَنَّهُمْ لَطَّخُوهَا بِالزِّئْبَقِ، فَلَمَّا ضَرَبَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ، اضْطَرَبَتْ وَاهْتَزَّتْ، فَخُيِّلَتْ ذَلِكَ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾[1]

إِيجَاسُ الْخَوْفِ: إِضْمَارُ شَيْءٍ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ تَوَجَّسَ الصَّوْتَ: تَسَمَّعَ نَبْأَةً يَسِيرَةً مِنْهُ؛ وَكَانَ ذَلِكَ لِطَبْعِ الْجِبِلَّةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا يَكَادُ يُمْكِنُ الْخُلُوُّ مِنْ مِثْلِهِ.

وَقِيلَ: خَافَ أَنْ يُخَالِجَ النَّاسَ شَكٌّ فَلَا يَتَّبِعُوهُ.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾[2]: فِيهِ تَقْرِيرٌ لِغَلَبَتِهِ وَقَهْرِهِ، وَتَوْكِيدٌ بِالِاسْتِئْنَافِ، وَبِكَلِمَةِ التَّشْدِيدِ، وَبِتَكْرِيرِ الضَّمِيرِ، وَبِلَامِ التَّعْرِيفِ، وَبِلَفْظِ الْعُلُوِّ؛ وَهُوَ الْغَلَبَةُ الظَّاهِرَةُ وَبِالتَّفْضِيلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾[3]، وَلَمْ يَقُلْ: عَصَاكَ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرًا لَهَا، أَيْ: لَا تُبَالِ بِكَثْرَةِ حِبَالِهِمْ وَعِصِيِّهِمْ، وَأَلْقِ الْعُوَيْدَ الْفَرْدَ الصَّغِيرَ الْجِرْمِ الَّذِي فِي يَمِينِكَ؛ فَإِنَّهُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ يَتَلَقَّفُهَا عَلَى وَحْدَتِهِ وَكَثْرَتِهَا، وَصِغَرِهِ وَعِظَمِهَا، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ تَعْظِيمًا لَهَا، أَيْ: لَا تَحْتَفِلْ بِهَذِهِ الْأَجْرَامِ الْكَبِيرَةِ الْكَثِيرَةِ؛ فَإِنَّ فِي يَمِينِكَ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنْهَا كُلِّهَا، وَهَذِهِ عَلَى كَثْرَتِهَا أَقَلُّ شَيْءٍ وَأَنْزَرُهُ عِنْدَهُ، فَأَلْقِهِ يَتَلَقَّفْهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَمْحَقْهَا.

وَقُرِئَ: "تَلْقَفُ": بِالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، أَوْ عَلَى الْحَالِ، أَيْ أَلْقِهَا مُتَلَقِّفَةً.

وَقُرِئَ: "تَلْقَفْ": بِالتَّخْفِيفِ، "صَنَعُوا": هَا هُنَا بِمَعْنَى: زَوَّرُوا وَافْتَعَلُوا؛ كَقَوْلِهِ – تَعَالَى –: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[4].

قُرِئَ: "كَيْدُ سَاحِرٍ": بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ؛ فَمَنْ رَفَعَ فَعَلَى أَنَّ ﴿مَا﴾[5] مَوْصُولَةٌ، وَمَنْ نَصَبَ فَعَلَى أَنَّهَا كَافَّةٌ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 117.

[5] سورة طَهَ، الآية.

وَقُرِئَ: "كَيْدُ سِحْرٍ"، بِمَعْنَى: ذِي سِحْرٍ، أَوْ ذَوِي سِحْرٍ، أَوْ هُمْ لِتَوَغُّلِهِمْ فِي سِحْرِهِمْ، كَأَنَّهُمُ السِّحْرُ بِعَيْنِهِ وَبِذَاتِهِ، أَوْ بَيِّنُ الْكَيْدِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ سِحْرًا وَغَيْرُ سِحْرٍ، كَمَا تَبِينُ الْمِائَةُ بِدِرْهَمٍ؛ وَنَحْوُهُ: عِلْمُ فِقْهٍ، وَعِلْمُ نَحْوٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ وُحِّدَ سَاحِرٌ وَلَمْ يُجْمَعْ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْقَصْدَ فِي هَذَا الْكَلَامِ إِلَى مَعْنَى الْجِنْسِيَّةِ، لَا إِلَى مَعْنَى الْعَدَدِ؛ فَلَوْ جُمِعَ، لَخُيِّلَ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْعَدَدُ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾[1]، أَيْ: هَذَا الْجِنْسُ؟!

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ نُكِّرَ أَوَّلًا وَعُرِّفَ ثَانِيًا؟

قُلْتُ: إِنَّمَا نُكِّرَ مِنْ أَجْلِ تَنْكِيرِ الْمُضَافِ، لَا مِنْ أَجْلِ تَنْكِيرِهِ فِي نَفْسِهِ؛ كَقَوْلِ الْعَجَّاجِ:

فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مَدَّتْ

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "لَا فِي أَمْرِ دُنْيَا وَلَا فِي أَمْرِ آخَرَ"، الْمُرَادُ: تَنْكِيرُ الْأَمْرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّ مَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرِيٌّ، وَفِي سَعْيٍ دُنْيَوِيٍّ، وَأَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ وَآخِرِيٍّ؛ ﴿حَيْثُ أَتَى﴾[2]، كَقَوْلِهِمْ: حَيْثُ سَيَّرَ، وَأَيَّةُ سِلْكٍ، وَأَيْنَمَا كَانَ.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[3]

سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أَعْجَبَ أَمْرَهُمْ! قَدْ أَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ لِلْكُفْرِ وَالْجُحُودِ؛ ثُمَّ أَلْقَوْا رُءُوسَهُمْ بَعْدَ سَاعَةٍ لِلشُّكْرِ وَالسُّجُودِ، فَمَا أَعْظَمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْإِلْقَاءَيْنِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ حَتَّى رَأَوْا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَرَأَوْا ثَوَابَ أَهْلِهَا.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: لَمَّا خَرُّوا سُجَّدًا أَرَاهُمُ اللَّهُ فِي سُجُودِهِمْ مَنَازِلَهُمُ الَّتِي يَصِيرُونَ إِلَيْهَا فِي الْجَنَّةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[1]

﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾[2]: لَعَظِيمُكُمْ، يُرِيدُ: أَنَّهُ أَسْحَرُهُمْ وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةً فِي صِنَاعَتِهِمْ، أَوْ لَمُعَلِّمُكُمْ؛ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ مَكَّةَ لِلْمُعَلِّمِ: أَمَرَنِي كَبِيرِي، وَقَالَ لِي كَبِيرِي: كَذَا، يُرِيدُونَ: مُعَلِّمُهُمْ وَأُسْتَاذُهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ.

قُرِئَ: "فَلْأَقْطَعَنَّ" "وَلَأَصْلِبَنَّ" بِالتَّخْفِيفِ، وَالْقَطْعُ مِنْ خِلَافٍ: أَنْ تُقْطَعَ الْيَدُ الْيُمْنَى وَالرِّجْلُ الْيُسْرَى؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْعُضْوَيْنِ خَالَفَ الْآخَرَ، بِأَنَّ هَذَا يَدٌ وَذَاكَ رِجْلٌ، وَهَذَا يَمِينٌ وَذَاكَ شِمَالٌ.

وَ﴿مِنْ﴾[3]: لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ؛ لِأَنَّ الْقَطْعَ مُبْتَدَأٌ وَنَاشِئٌ مِنْ مُخَالَفَةِ الْعُضْوِ الْعُضْوَ، لَا مِنْ وَفَاقِهِ إِيَّاهُ.

وَمَحَلُّ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: لَأُقَطِّعَنَّهَا مُخْتَلِفَاتٍ؛ لِأَنَّهَا إِذَا خَالَفَ بَعْضُهَا بَعْضًا فَقَدِ اتَّصَفَتْ بِالِاخْتِلَافِ، شَبَّهَ تَمَكُّنَ الْمَصْلُوبِ فِي الْجِذْعِ بِتَمَكُّنِ الشَّيْءِ الْمُوعَى فِي وِعَائِهِ؛ فَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[4].

﴿أَيُّنَا﴾[5]: يُرِيدُ نَفْسَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ وَمُوسَى –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾[6].

وَاللَّامُ مَعَ الْإِيمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ لِغَيْرِ اللَّهِ –تَعَالَى–، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[7]؛ وَفِيهِ نَفَاجَةٌ بِاقْتِدَارِهِ وَقَهْرِهِ، وَمَا أَلَفَهُ وَضُرِّي بِهِ: مِنْ تَعْذِيبِ النَّاسِ

---

[1] سورة طَهَ، الآية.
[2] سورة طَهَ، الآية.
[3] سورة طَهَ، الآية.
[4] سورة طَهَ، الآية.
[5] سورة طَهَ، الآية.
[6] سورة طَهَ، الآية.
[7] سورة التَّوْبَةَ، الآية 61.

بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَتَوْضِيعٍ لِمُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَاسْتِضْعَافٍ لَهُ مَعَ الْهَزْءِ بِهِ؛ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يَكُنْ قَطُّ مِنَ التَّعْذِيبِ فِي شَيْءٍ.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾[1]

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى مَا جَاءَنَا أَوْ قَسَمٌ.

قُرِئَ: تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

وَوَجْهُهَا أَنَّ الْحَيَاةَ فِي الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةِ مُنْتَصِبَةٌ عَلَى الظَّرْفِ، فَاتَّسَعَ فِي الظَّرْفِ بِإِجْرَائِهِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ؛ كَقَوْلِكَ فِي "صُمْتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ": "صِيمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ".

وَرُوِيَ أَنَّ السَّحَرَةَ –يَعْنِي رُؤُوسَهُمْ– كَانُوا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ: الِاثْنَانِ مِنَ الْقِبْطِ، وَالسَّائِرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ فِرْعَوْنُ أَكْرَهَهُمْ عَلَى تَعَلُّمِ السِّحْرِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ: أَرِنَا مُوسَى نَائِمًا فَفَعَلَ، فَوَجَدُوهُ تَحْرُسُهُ عَصَاهُ، فَقَالُوا: مَا هَذَا بِسِحْرِ السَّاحِرِ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَ إِذَا نَامَ بَطَلَ سِحْرُهُ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُعَارِضُوهُ.

﴿تَزَكَّى﴾[3]: تَطَهَّرَ مِنْ أَدْنَاسِ الذُّنُوبِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

قِيلَ: فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ: هِيَ حِكَايَةُ قَوْلِهِمْ.

وَقِيلَ: خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْحِكَايَةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[1]

﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾[2]: فَاجْعَلْ لَهُمْ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَرَبَ لَهُ فِي مَالِهِ سَهْمًا، وَضَرَبَ اللَّبِنَ: عَمِلَهُ، الْيُبْسُ: مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ، يُقَالُ: يَبِسَ يَبَسًا وُيُبْسًا؛ وَنَحْوُهُمَا: الْعَدَمُ وَالْعُدْمُ، وَمِنْ ثَمَّ وُصِفَ بِهِ الْمُؤَنَّثُ، فَقِيلَ؛ شَاتُنَا يُبْسٌ، وَنَاقَتُنَا يُبْسٌ: إِذَا جَفَّ لَبَنُهَا.

وَقُرِئَ: "يُبْسًا" وَ "يَابِسًا".

وَلَا يَخْلُو الْيُبْسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُخَفَّفًا عَنِ الْيَبَسِ، أَوْ صِفَةً عَلَى فُعْلٍ، أَوْ جَمْعَ يَابِسٍ، كَصَاحِبٍ وَصَحْبٍ، وُصِفَ بِهِ الْوَاحِدُ تَأْكِيدًا؛ كَقَوْلِهِ:

وَمَعَى جِيَاعٌ

جَعَلَهُ لِفَرْطِ جُوعِهِ كَجَمَاعَةٍ جِيَاعٍ ﴿لا تَخَافُ﴾[3]: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿فَاضْرِبْ﴾[4].

وَقُرِئَ: "لَا تَخَفْ": عَلَى الْجَوَابِ.

وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: "دَرْكًا" بِالسُّكُونِ، وَالدَّرَكُ وَالدَّرْكُ: اسْمَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ، أَيْ: لَا يُدْرِكُكَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَلَا يَلْحَقُونَكَ.

فِي ﴿وَلا تَخْشَى﴾[5]: إِذَا قُرِئَ: "لَا تَخَفْ": ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

– أَنْ يُسْتَأْنَفَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَنْتَ لَا تَخْشَى، أَيْ: وَمِنْ شَأْنِكَ أَنَّكَ آمِنٌ لَا تَخْشَى؛

وَأَنْ لَا تَكُونَ الْأَلِفُ الْمُنْقَلِبَةُ عَنِ الْيَاءِ هِيَ لَامُ الْفِعْلِ، وَلَكِنْ: زَائِدَةٌ لِلْإِطْلَاقِ مِنْ أَجْلِ الْفَاصِلَةِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[6]، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[7]، وَأَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ قَوْلَهُ:

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة الْأَحْزَابَ، الآية 67.

كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾[1]: مِنْ بَابِ الِاخْتِصَارِ، وَمِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي تَسْتَقِلُّ مَعَ قِلَّتِهَا بِالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ، أَيْ: غَشِيَهُمْ مَا لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ.

وَقُرِئَ: "فَغَشَّاهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّاهُمْ".

وَالتَّغْشِيَةُ: التَّغْطِيَةُ.

وَفَاعِلُ غَشَّاهُمْ: إِمَّا اللَّهُ -سُبْحَانَهُ-، أَوْ مَا غَشَّاهُمْ، أَوْ فِرْعَوْنُ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي وَرَّطَ جُنُودَهُ وَتَسَبَّبَ لِهَلَاكِهِمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هَدَى﴾[2]: تَهَكَّمَ بِهِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[3] لَ.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[4]

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[5] خِطَابٌ لَهُمْ بَعْدَ إِنْجَائِهِمْ مِنَ الْبَحْرِ، وَإِهْلَاكِ آلِ فِرْعَوْنَ.

وَقِيلَ: هُوَ لِلَّذِينِ كَانُوا مِنْهُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا فَعَلَ بِآبَائِهِمْ وَالْوَجْهُ هُوَ الْأَوَّلُ، أَيْ: قُلْنَا: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَحَذْفُ الْقَوْلِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ.

وَقُرِئَ: "أَنْجَيْتُكُمْ" إِلَى "رَزَقْتُكُمْ"، وَعَلَى لَفْظِ الْوَعْدِ وَالْمُوَاعَدَةِ.

وَقُرِئَ: "الْأَيْمَانِ": بِالْجَرِّ عَلَى الْجِوَارِ؛ نَحْوَ: "جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ"، ذَكَّرَهُمُ النِّعْمَةَ فِي نَجَاتِهِمْ وَهَلَاكِ عَدُوِّهِمْ، وَفِيمَا وَاعَدَ مُوسَى -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ- مِنَ الْمُنَاجَاةِ بِجَانِبِ الطُّورِ، وَكَتْبِ التَّوْرَاةِ فِي الْأَلْوَاحِ.

---

7 سورة الْأَحْزَاب، الآية 100.

1 سورة طَهَ، الآية.

2 سورة طَهَ، الآية.

3 سورة غَافِر، الآية 29.

4 سورة طَهَ، الآية.

5 سورة طَهَ، الآية.

وَإِنَّمَا عَدَّى الْمُوَاعِدَةَ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا لَابَسَتْهُمْ وَاتَّصَلَتْ بِهِمْ؛ حَيْثُ كَانَتْ لِنَبِيِّهِمْ وَنُقَبَائِهِمْ، وَإِلَيْهِمْ رَجَعَتْ مَنَافِعُهَا الَّتِي قَامَ بِهَا دِينُهُمْ وَشَرْعُهُمْ، وَفِيمَا أَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ نِعَمِهِ وَأَرْزَاقِهِ، طُغْيَانُهُمْ فِي النِّعْمَةِ: أَنْ يَتَعَدَّوْا حُدُودَ اللَّهِ فِيهَا بِأَنْ يَكْفُرُوهَا وَيَشْغَلَهُمُ اللَّهْوُ وَالتَّنَعُّمُ عَنِ الْقِيَامِ بِشُكْرِهَا، وَأَنْ يُنْفِقُوهَا فِي الْمَعَاصِي، وَأَنْ يَزْوُوا حُقُوقَ الْفُقَرَاءِ فِيهَا، وَأَنْ يُسْرِفُوا فِي إِنْفَاقِهَا، وَأَنْ يَبْطُرُوا فِيهَا وَيَأْشُرُوا وَيَتَكَبَّرُوا.

قُرِئَ: "فَيَحِلَّ" وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ: "لَا يَحِلَّنَّ".

﴿وَمَنْ يَحْلِلْ﴾[1]: الْمَكْسُورُ فِي مَعْنَى: الْوُجُوبِ، مِنْ حَلِّ الدِّينِ يَحِلُّ: إِذَا وَجَبَ أَدَاؤُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[2]؛ وَالْمَضْمُومُ فِي مَعْنَى النُّزُولِ، وَغَضَبُ اللَّهِ عُقُوبَاتُهُ؛ وَلِذَلِكَ وُصِفَ بِالنُّزُولِ.

﴿هَوَى﴾[3]: هَلَكَ، وَأَصْلُهُ: أَنْ يَسْقُطَ مِنْ جَبَلٍ فَيَهْلَكَ.

قَالَتْ:

هَوَى مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ فَفُتَّتَ تَحْتَهَا كَبِـــدُهْ

وَيَقُولُونَ: هَوَتْ أُمُّهُ، أَوْ سَقَطَ سُقُوطًا لَا نُهُوضَ بَعْدَهُ.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[4]

الِاهْتِدَاءُ: هُوَ الِاسْتِقَامَةُ وَالثَّبَاتُ عَلَى الْهُدَى الْمَذْكُورِ وَهُوَ التَّوْبَةُ وَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[5] .

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْبَقَرَة، الآية 196.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة فُصِّلَتْ، الآية 30.

وَكَلِمَةُ التَّرَاخِي دَلَّتْ عَلَى تَبَايُنِ الْمُنْزِلَتَيْنِ دَلَالَتَهَا عَلَى تَبَايُنِ الْوَقْتَيْنِ فِي "جَاءَنِي زَيْدٌ ثُمَّ عَمْرٌو"، أَعْنِي: أَنَّ مُنَزَّلَةَ الِاسْتِقَامَةِ عَلَى الْخَيْرِ مُبَايَنَةٌ لِمَنْزِلَةِ الْخَيْرِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهَا أَعْلَى مِنْهَا وَأَفْضَلُ.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[1]

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾[2]، أَيُّ شَيْءٍ عَجَّلَ بِكَ عَنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ، وَكَانَ قَدْ مَضَى مَعَ النُّقَبَاءِ إِلَى الطُّورِ عَلَى الْمَوْعِدِ الْمَضْرُوبِ، ثُمَّ تَقَدَّمَهُمْ شَوْقًا إِلَى كَلَامِ رَبِّهِ وَتَنَجُّزَ مَا وُعِدَ بِهِ؛ بِنَاءً عَلَى اجْتِهَادِهِ وَظَنِّهِ أَنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى رِضَا اللَّهِ –تَعَالَى–، وَزَلَّ عَنْهُ أَنَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– مَا وَقَّتَ أَفْعَالَهُ إِلَّا نَظَرًا إِلَى دَوَاعِي الْحِكْمَةِ، وَعِلْمًا بِالْمَصَالِحِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكُلِّ وَقْتٍ، فَالْمُرَادُ بِالْقَوْمِ: النُّقَبَاءُ.

وَلَيْسَ لِقَوْلِ مَنْ جَوَّزَ أَنْ يُرَادَ جَمِيعُ قَوْمِهِ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ فَارَقَهُمْ قَبْلَ الْمِيعَادِ وَجْهٌ صَحِيحٌ، يَأْبَاهُ قَوْلُهُ: ﴿هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي﴾[3].

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو وَيَعْقُوبَ: "إِثْرِي": بِالْكَسْرِ.

وَعَنْ عِيسَى بْنِ عُمَرَ "أُثْرِي": بِالضَّمِّ، وَعَنْهُ أَيْضًا–: "أَوْلَى بِالْقَصْرِ".

وَالْإِثْرُ: أَفْصَحُ مِنَ الْأَثَرِ.

وَأَمَّا الْأَثَرُ، فَمَسْمُوعٌ فِي فَرْنَدِ السَّيْفِ مُدَوَّنٌ فِي الْأُصُولِ؛ يُقَالُ: إِثْرُ السَّيْفِ وَأَثَرُهُ، وَهُوَ بِمَعْنَى: الْأَثَرِ غَرِيبٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: "مَا أَعْجَلَكَ" سُؤَالٌ عَنْ سَبَبِ الْعَجَلَةِ، فَكَانَ الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَابِ أَنْ يُقَالَ: طَلَبُ زِيَادَةِ رِضَاكَ أَوِ الشَّوْقُ إِلَى كَلَامِكَ وَتَنَجُّزُ مَوْعِدِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي﴾[4] كَمَا تَرَى غَيْرُ مُنْطَبِقٍ عَلَيْهِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

قُلْتُ: قَدْ تَضَمَّنَ مَا وَاجَهَهُ بِهِ رَبُّ الْعِزَّةِ شَيْئَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: إِنْكَارُ الْعَجَلَةِ فِي نَفْسِهَا،

– وَالثَّانِي: السُّؤَالُ عَنْ سَبَبِ الْمُسْتَنْكَرِ وَالْحَامِلِ عَلَيْهِ.

فَكَانَ أَهَمُّ الْأَمْرَيْنِ إِلَى مُوسَى بَسْطَ الْعُذْرِ وَتَمْهِيدَ الْعِلَّةِ فِي نَفْسِ مَا أُنْكِرَ عَلَيْهِ، فَاعْتَلَّ بِأَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ مِنِّي إِلَّا تَقَدُّمٌ يَسِيرٌ، مِثْلُهُ لَا يَعْتَدُّ بِهِ فِي الْعَادَةِ وَلَا يُحْتَفَلُ بِهِ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ سَبَقْتُهُ إِلَّا مَسَافَةٌ قَرِيبَةٌ يَتَقَدَّمُ بِمِثْلِهَا الْوَفْدُ رَأْسُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ.

ثُمَّ عَقَّبَهُ بِجَوَابِ السُّؤَالِ عَنِ السَّبَبِ، فَقَالَ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[1].

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: حَارَ لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ التَّهَيُّبِ لِعِتَابِ اللَّهِ، فَأَذْهَلَهُ ذَلِكَ عَنِ الْجَوَابِ الْمُنْطَبِقِ الْمُرَتَّبِ عَلَى حُدُودِ الْكَلَامِ.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[2]

أَرَادَ بِالْقَوْمِ الْمَفْتُونِينَ: الَّذِينَ خَلَّفَهُمْ مَعَ هَارُونَ، وَكَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ، مَا نَجَا مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ مِنْهُمْ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا.

فَإِنْ قُلْتَ: فِي الْقِصَّةِ أَنَّهُمْ أَقَامُوا بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَحَسِبُوهَا أَرْبَعِينَ مَعَ أَيَّامِهَا، وَقَالُوا: قَدْ أَكْمَلْنَا الْعِدَّةَ، ثُمَّ كَانَ أَمْرُ الْعِجْلِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ –تَعَالَى– لِمُوسَى عِنْدَ مَقْدِمِهِ: "إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ"؟!

قُلْتُ: قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ –تَعَالَى– عَنِ الْفِتْنَةِ الْمُتَرَقَّبَةِ، بِلَفْظِ الْمَوْجُودَةِ الْكَائِنَةِ عَلَى عَادَتِهِ، أَوِ افْتَرَصَ السَّامِرِيُّ غَيْبَتَهُ، فَعَزَمَ عَلَى إِضْلَالِهِمْ غِبَّ انْطِلَاقِهِ، وَأَخَذَ فِي تَدْبِيرِ ذَلِكَ، فَكَانَ بَدْءُ الْفِتْنَةِ مَوْجُودًا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

قُرِئَ:﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[1]، أَيْ: هُوَ أَشَدُّهُمْ ضَلَالًا؛ لِأَنَّهُ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهَا: السَّامِرَةُ.

وَقِيلَ: السَّامِرَةُ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يُخَالِفُونَهُمْ فِي بَعْضِ دِينِهِمْ.

وَقِيلَ: كَانَ مِنْ أَهْلِ بَاجِرْمَا.

وَقِيلَ: كَانَ عِلْجًا مِنْ كَرْمَانَ.

وَاسْمُهُ: مُوسَى بْنُ ظَفَرَ، وَكَانَ مُنَافِقًا قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَكَانَ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[2]

الْأَسِفُ: الشَّدِيدُ الْغَضَبِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فِي مَوْتِ الْفَجْأَةِ: "رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَخْذَةُ أَسِفٍ لِلْكَافِرِ".

وَقِيلَ: الْحَزِينُ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَتَى رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ؟

قُلْتُ: بَعْدَ مَا اسْتَوْفَى الْأَرْبَعِينَ: ذَا الْقِعْدَةِ، وَعَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ، وَعَدَهُمُ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ– أَنْ يُعْطِيَهُمُ التَّوْرَاةَ الَّتِي فِيهَا هُدًى وَنُورٌ، وَلَا وَعْدَ أَحْسَنَ مِنْ ذَاكَ وَأَجْمَلَ، حُكِيَ لَنَا أَنَّهَا كَانَتْ أَلْفَ سُورَةٍ كُلُّ سُورَةٍ أَلْفُ آيَةٍ، يَحْمِلُ أَسْفَارَهَا سَبْعُونَ جَمَلًا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

﴿الْعَهْدُ﴾[1]: الزَّمَانُ، يُرِيدُ: مُدَّةَ مُفَارَقَتِهِ لَهُمْ، يُقَالُ: طَالَ عَهْدِي بِكَ، أَيْ: طَالَ زَمَانِي بِسَبَبِ مُفَارَقَتِكَ، وَعَدُوهُ أَنْ يُقِيمُوا عَلَى أَمْرِهِ وَمَا تَرَكَهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَخْلَفُوا مَوْعِدَهُ بِعِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ.

﴿بِمَلْكِنَا﴾[2]: قُرِئَ بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ، أَيْ: مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِأَنْ مَلَكْنَا أَمْرَنَا، أَيْ: لَوْ مَلَكْنَا أَمْرَنَا وَخُلِّينَا وَرَاءَنَا لَمَا أَخْلَفْنَاهُ، وَلَكِنَّا غُلِبْنَا مِنْ جِهَةِ السَّامِرِيِّ وَكَيْدِهِ، أَيْ: حَمَلْنَا أَحْمَالًا مِنْ حُلِيِّ الْقِبْطِ الَّتِي اسْتَعَرْنَاهَا مِنْهُمْ، أَوْ أَرَادُوا بِالْأَوْزَارِ: أَنَّهَا آثَامٌ وَتَبِعَاتٌ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مَعَهُمْ فِي حُكْمِ الْمُسْتَأْمَنِينَ فِي دَارِ الْحَرْبِ، وَلَيْسَ لِلْمُسْتَأْمَنِ أَنْ يَأْخُذَ مَالَ الْحَرْبِيِّ، عَلَى أَنَّ الْغَنَائِمَ لَمْ تَكُنْ تَحُلُّ حِينَئِذٍ.

﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾[3]: فِي نَارِ السَّامِرِيِّ، الَّتِي أَوْقَدَهَا فِي الْحُفْرَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَطْرَحَ فِيهَا الْحُلِيَّ.

وَقُرِئَ: "حَمَلْنَا".

﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾[4]: أَرَاهُمْ أَنَّهُ يُلْقِي حُلِيًّا فِي يَدِهِ مِثْلَ مَا أَلْقَوْا؛ وَإِنَّمَا أَلْقَى التُّرْبَةَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ مَوْطِئِ حَيْزُومَ فَرَسِ جِبْرِيلَ، أَوْحَى إِلَيْهِ وَلَيَّهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهَا إِذَا خَالَطَتْ مَوَاتًا صَارَ حَيَوَانًا.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾[5]: السَّامِرِيُّ مِنَ الْحُفْرَةِ عِجْلًا خَلَقَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُلِيِّ الَّتِي سَبَكَتْهَا النَّارُ يَخُورُ، كَمَا تَخُورُ الْعَجَاجِيلُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ أَثَّرَتْ تِلْكَ التُّرْبَةُ فِي إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ؟!

قُلْتُ: أَمَا يَصِحُّ أَنْ يُؤْثِرَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- رُوحَ الْقُدُسِ بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ الْخَاصَّةِ كَمَا آثَرَهُ بِغَيْرِهَا مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَهِيَ: أَنْ يُبَاشِرَ فَرَسُهُ بِحَافِرِهِ تُرْبَةً إِذَا لَاقَتْ تِلْكَ التُّرْبَةُ جَمَادًا أَنْشَأَهُ اللَّهُ إِنْ شَاءَ عِنْدَ مُبَاشَرَتِهِ حَيَوَانًا؛ أَلَا تَرَى كَيْفَ أَنْشَأَ الْمَسِيحَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ عِنْدَ نَفْخِهِ فِي الدِّرْعِ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ خَلَقَ اللَّهُ الْعِجْلَ مِنَ الْحُلِيِّ حَتَّى صَارَ فِتْنَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَضَلَالًا؟

قُلْتُ: لَيْسَ بِأَوَّلِ مِحْنَةٍ مَحَنَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ لِيُثَبِّتَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلَّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ، وَمِنْ عَجِبَ مِنْ خَلْقِ الْعِجْلِ، فَلْيَكُنْ مِنْ خَلْقِ إِبْلِيسَ أَعْجَبَ.

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾[1]: هُوَ خَلْقُ الْعِجْلِ لِلِامْتِحَانِ، أَيِ: امْتَحَنَّاهُمْ بِخَلْقِ الْعِجْلِ، وَحَمَلَهُمُ السَّامِرِيُّ عَلَى الضَّلَالِ، وَأَوْقَعَهُمْ فِيهِ حِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[2]، أَيْ: فَنَسِيَ مُوسَى أَنْ يَطْلُبَهُ هَا هُنَا، وَذَهَبَ يَطْلُبُهُ عِنْدَ الطُّورِ، أَوْ فَنَسِيَ السَّامِرِيُّ: أَيْ تَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ الظَّاهِرِ.

﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾[3]

﴿يَرْجِعُ﴾[4]: مَنْ رَفَعَهُ فَعَلَى أَنَّ أَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَمَنْ نَصَبَ فَعَلَى أَنَّهَا النَّاصِبَةُ لِلْأَفْعَالِ.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾[5]: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُولَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ مَا قَالَ، كَأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ أَبْصَارُهُمْ حِينَ طَلَعَ مِنَ الْحُفْرَةِ افْتَتَنُوا بِهِ وَاسْتَحْسَنُوهُ، فَقَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ السَّامِرِيُّ بَادَرَهُمْ هَارُونُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾.[6]

---

1 سورة طَهَ، الآية.

2 سورة طَهَ، الآية.

3 سورة طَهَ، الآية.

4 سورة طَهَ، الآية.

5 سورة طَهَ، الآية.

6 سورة طَهَ، الآية.

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾[1]

لَا مَزِيدَةٌ.

وَالْمَعْنَى: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَّبِعَنِي فِي الْغَضَبِ لِلَّهِ وَشِدَّةِ الزَّجْرِ عَنِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي؟ وَهَلَّا قَاتَلْتَ مَنْ كَفَرَ بِمَنْ آمَنَ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تُبَاشِرِ الْأَمْرَ كَمَا كُنْتُ أُبَاشِرُهُ أَنَا لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا؟ أَوْ مَا لَكَ لَمْ تَلْحَقْنِي؟

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[2]

قُرِئَ: "بِلَحْيَتِي": بِفَتْحِ اللَّامِ، وَهِيَ لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، كَانَ مُوسَى –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– رَجُلًا حَدِيدًا مَجْبُولًا عَلَى الْحِدَّةِ وَالْخُشُونَةِ وَالتَّصَلُّبِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، شَدِيدَ الْغَضَبِ لِلَّهِ وَلِدِينِهِ، فَلَمْ يَتَمَالَكْ حِينَ رَأَى قَوْمَهُ يَعْبُدُونَ عِجْلًا مِنْ دُونِ اللَّهِ بَعْدَ مَا رَأَوْا مِنَ الْآيَاتِ الْعِظَامِ، أَنْ أَلْقَى أَلْوَاحَ التَّوْرَاةِ لِمَا غَلَبَ ذِهْنَهُ مِنَ الدَّهْشَةِ الْعَظِيمَةِ؛ غَضَبًا لِلَّهِ وَاسْتِنْكَافًا وَحَمِيَّةً، وَعَنَّفَ بِأَخِيهِ وَخَلِيفَتِهِ عَلَى قَوْمِهِ؛ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِقْبَالَ الْعَدُوِّ الْمُكَاشِفِ قَابِضًا عَلَى شَعَرِ رَأْسِهِ –وَكَانَ أَقْرَعَ– وَعَلَى شَعَرِ وَجْهِهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ، أَيْ: لَوْ قَاتَلْتُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَتَفَرَّقُوا وَتَفَانَوْا، فَاسْتَأْنَيْتُكَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمُدَارِكَ بِنَفْسِكَ، الْمُتَلَافِي بِرَأْيِكَ، وَخَشِيتُ عِتَابَكَ عَلَى إِطْرَاحِ مَا وَصَّيْتَنِي بِهِ مِنْ ضَمِّ النَّشْرِ وَحِفْظِ الدَّهْمَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنْ رُقْبَةِ وَصِيَّتِكَ وَالْعَمَلِ عَلَى مُوجِبِهَا.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[3]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

الْخَطْبُ: مَصْدَرُ خَطَبَ الْأَمْرَ إِذَا طَلَبَهُ، فَإِذَا قِيلَ لِمَنْ يَفْعَلُ شَيْئًا: مَا خَطْبُكَ؟ فَمَعْنَاهُ: مَا طَلَبُكَ لَهُ؟

قُرِئَ: بَصِرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ بِالْكَسْرِ، وَالْمَعْنَى: عَلِمْتُ مَا لَمْ تَعْلَمُوهُ، وَفَطِنْتُ مَا لَمْ تَفْطَنُوا لَهُ.

قَرَأَ الْحَسَنُ "قُبْضَةً": بِضَمِّ الْقَافِ، وَهِيَ اسْمُ الْمَقْبُوضِ، كَالْغُرْفَةِ وَالْمُضْغَةِ.

وَأَمَّا الْقَبْضَةُ فَالْمَرَّةُ مِنَ الْقَبْضِ، وَإِطْلَاقُهَا عَلَى الْمَقْبُوضِ مِنْ تَسْمِيَةِ الْمَفْعُولِ بِالْمَصْدَرِ، كَضَرْبِ الْأَمِيرِ.

وَقَرَأَ -أَيْضًا-: فَقَبَصْتُ قَبْصَةً، بِالصَّادِ الْمُهْمَلَةِ، الضَّادُ: بِجَمِيعِ الْكَفِّ.

وَالصَّادُ: بِأَطْرَافِ الْأَصَابِعِ؛ وَنَحْوُهُمَا: الْخَضْمُ، وَالْقَضْمُ: الْخَاءُ بِجَمِيعِ الْفَمِ، وَالْقَافُ بِمُقَدَّمِهِ.

قَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الرَّسُولِ".

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ سَمَّاهُ الرَّسُولَ دُونَ جِبْرِيلَ وَرُوحِ الْقُدُسِ؟

قُلْتُ: حِينَ حَلَّ مِيعَادُ الذَّهَابِ إِلَى الطُّورِ، أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَى مُوسَى جِبْرِيلَ رَاكِبًا حَيْزُومَ فَرَسَ الْحَيَاةِ؛ لِيَذْهَبَ بِهِ، فَأَبْصَرَهُ السَّامِرِيُّ، فَقَالَ: إِنَّ لِهَذَا شَأْنًا، فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرْبَةِ مَوْطِئِهِ. فَلَمَّا سَأَلَهُ مُوسَى عَنْ قِصَّتِهِ، قَالَ: قَبَضْتُ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ الْمُرْسَلِ إِلَيْكَ يَوْمَ حُلُولِ الْمِيعَادِ.

وَلَعَلَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ جِبْرِيلُ.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[1]

[1] سورة طَهَ، الآية.

عُوقِبَ فِي الدُّنْيَا بِعُقُوبَةٍ لَا شَيْءَ أَطَمَّ مِنْهَا وَأَوْحَشَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ مُنِعَ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّاسِ مَنْعًا كُلِّيًّا، وَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ مُلَاقَاتُهُ وَمُكَالَمَتُهُ وَمُبَايَعَتُهُ وَمُوَاجَهَتُهُ، وَكُلُّ مَا يُعَايِشُ بِهِ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ يُمَاسَّ أَحَدًا رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً، حُمَّ الْمَاسُّ وَالْمَمْسُوسُ، فَتَحَامَى النَّاسُ وَتَحَامَوْهُ، وَكَانَ يَصِيحُ: لَا مِسَاسَ، وَعَادَ فِي النَّاسِ أَوْحَشَ مِنَ الْقَاتِلِ اللَّاجِئِ إِلَى الْحَرَمِ.

وَمِنَ الْوَحْشِيِّ النَّافِرِ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّ قَوْمَهُ بَاقٍ فِيهِمْ ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ.

وَقُرِئَ: "لَا مُسَاسَ": بِوَزْنِ فُجَارَ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ فِي الظِّبَاءِ، إِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ: فَلَا عُبَابَ، وَإِنْ فَقَدَتْهُ: فَلَا أُبَابَ، وَهِيَ أَعْلَامٌ لِلْمَسَّةِ وَالْعَبَّةِ وَالْأَبَّةِ، وَهِيَ الْمَرَّةُ مِنَ الْأَبِّ، وَهُوَ الطَّلَبُ.

﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾[1]، أَيْ: لَنْ يُخْلِفَكَ اللَّهُ مَوْعِدَهُ الَّذِي وَعَدَكَ عَلَى الشِّرْكِ وَالْفَسَادِ فِي الأرض، يُنْجِزُهُ لَكَ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ مَا عَاقَبَكَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْتَ مِمَّنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ؛ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

وَقُرِئَ: "لَنْ تَخْلُفَهُ"، وَهَذَا مِنْ أَخْلَفْتُ الْمَوْعِدَ إِذَا وَجَدْتُهُ خَلْفًا.

قَالَ الْأَعْشَى:

أَثْوَى وَأَقْصَرَ لَيْلَهُ لِيُـــــزَوَّدَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةَ مَوْعِدَا

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ "نَخْلُفُهُ": بِالنُّونِ، أَيْ: لَنْ يُخْلِفَهُ اللَّهُ، كَأَنَّهُ حَكَى قَوْلَهُ –عَزَّ وَجَلَّ –، كَمَا مَرَّ فِي ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾[2].

﴿ظَلْتَ﴾[3] وَظِلْتَ، وَظَلِلْتَ وَالْأَصْلُ: ظَلِلْتَ، فَحَذَفُوا اللَّامَ الْأُولَى، وَنَقَلُوا حَرَكَتَهَا إِلَى الظَّاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَنْقُلْ: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ [4]وَلَنَحْرُقَنَّهُ، وَلَنَحْرِقَنَّهُ.

وَفِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "لَنَذْبَحَنَّهُ".

وَ"لَنَحْرِقَنَّهُ" وَ"لَنَحْرُقَنَّهُ": الْقِرَاءَتَانِ مِنَ الْإِحْرَاقِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية 19.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ فِي لَنَحْرِقَنَّهُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حُرِّقَ مُبَالَغَةً فِي حُرِقَ إِذَا بُرِدَ بِالْمِبْرَدِ، وَعَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ الثَّالِثَةُ، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– "لَنَنْسِفَنَّهُ": بِكَسْرِ السِّينِ وَضَمِّهَا، وَهَذِهِ عُقُوبَةٌ ثَالِثَةٌ، وَهِيَ: إِبْطَالُ مَا افْتَتَنَ بِهِ وَفَتَنَ، وَإِهْدَارُ سَعْيِهِ، وَهَدْمُ مِكْرِهِ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[2]

قَرَأَ طَلْحَةُ: اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ رَبُّ الْعَرْشِ، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[3].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ: ﴿وَسِعَ﴾[4]. وَوَجْهُهُ: أَنَّ وَسِعَ مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ.

وَأَمَّا: ﴿عِلْمًا﴾[5]: فَانْتِصَابُهُ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى فَاعِلٌ؛ فَلَمَّا ثَقُلَ، نُقِلَ إِلَى التَّعْدِيَةِ إِلَى مَفْعُولَيْنِ، فَنَصَبَهُمَا مَعًا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُمَيَّزَ فَاعِلٌ فِي الْمَعْنَى، كَمَا تَقُولُ فِي "خَافَ زَيْدٌ عَمْرًا": خَوَّفْتُ زَيْدًا عَمْرًا، فَتَرُدُّ بِالنَّقْلِ مَا كَانَ فَاعِلًا مَفْعُولًا.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[6]

---

1 سورة آلَ عِمْرَانَ، الآية 54.

2 سورة طَهَ، الآية.

3 سورة طَهَ، الآية.

4 سورة طَهَ، الآية.

5 سورة طَهَ، الآية.

6 سورة طَهَ، الآية.

الْكَافُ فِي ﴿كَذَلِكَ﴾[1] مَنْصُوبُ الْمَحَلِّ.

وَهَذَا مَوْعِدٌ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيْ: مِثْلُ ذَلِكَ الِاقْتِصَاصِ؛ وَنَحْوُ مَا اقْتَصَصْنَا عَلَيْكَ قِصَّةَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ، نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ سَائِرِ أَخْبَارِ الْأُمَمِ وَقِصَصِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، تَكْثِيرًا لِبَيِّنَاتِكَ؛ وَزِيَادَةً فِي مُعْجِزَاتِكَ، وَلِيَعْتَبِرَ السَّامِعُ وَيَزْدَادَ الْمُسْتَبْصِرُ فِي دِينِهِ بَصِيرَةً، وَتَتَأَكَّدَ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ عَانَدَ وَكَابَرَ، وَأَنَّ هَذَا الذِّكْرَ الَّذِي آتَيْنَاكَ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ، مَشْتَمِلًا عَلَى هَذِهِ الْأَقَاصِيصِ وَالْأَخْبَارِ الْحَقِيقَةِ بِالتَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ؛ لَذِكْرٌ عَظِيمٌ وَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِيهِ النَّجَاةُ وَالسَّعَادَةُ لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ؛ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَدْ هَلَكَ وَشَقِيَ.

يُرِيدُ بِالْوِزْرِ: الْعُقُوبَةَ الثَّقِيلَةَ الْبَاهِظَةَ؛ سَمَّاهَا وِزْرًا تَشْبِيهًا فِي ثِقَلِهَا عَلَى الْمُعَاقَبِ وَصُعُوبَةِ احْتِمَالِهَا بِالْحِمْلِ الَّذِي يَفْدَحُ لِحَامِلٍ، وَيَنْقُضِ ظَهْرِهِ، وَيُلْقِي عَلَيْهِ بِهِرِّهِ، أَوْ لِأَنَّهَا جَزَاءُ الْوِزْرِ وَهُوَ الْإِثْمُ.

وَقُرِئَ: "يَحْمِلُ" وَجُمِعَ، "خَالِدِينَ" عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ "مَنْ" مُعَلَّقٌ مُتَنَاوِلٌ لِغَيْرِ مُعْرِضٍ وَاحِدٍ، وَتَوْحِيدُ الضَّمِيرِ فِي أَعْرَضَ وَمَا بَعْدَهُ لِلْحِمْلِ عَلَى اللَّفْظِ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[2].

﴿فِيهِ﴾[3]، أَيْ: فِي ذَلِكَ الْوِزْرِ، أَوْ فِي احْتِمَالِهِ، "سَاءَ": فِي حُكْمِ بِئْسَ، وَالضَّمِيرُ الَّذِي فِيهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُبْهَمًا يُفَسِّرُهُ.

﴿حِمْلا﴾[4] وَالْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مَحْذُوفٌ، لِدَلَالَةِ الْوِزْرِ السَّابِقِ عَلَيْهِ؛ تَقْدِيرُهُ: سَاءَ حِمْلًا وِزْرُهُمْ، كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[5]: أَيُّوبُ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[6]، أَيْ: وَسَاءَتْ مَصِيرًا جَهَنَّمُ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْجِنَّ، الآية 23.

[3] سورة، الآية.

[4] سورة، الآية.

[5] سورة، الآية.

[6] سورة، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: اللَّامُ فِي: ﴿لَهُمْ﴾[1] مَا هِيَ؟ وَبِمَ تَتَعَلَّقُ؟

قُلْتُ: هِيَ لِلْبَيَانِ، كَمَا فِي ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: مَا أَنْكَرْتَ أَنْ يَكُونَ فِي سَاءَ ضَمِيرُ الْوِزْرِ؟

قُلْتُ: لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي سَاءَ وَحُكْمُهُ حُكْمُ بِئْسَ ضَمِيرُ شَيْءٍ بِعَيْنِهِ غَيْرُ مُبْهَمٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلَا يَكُنْ سَاءَ الَّذِي حُكْمُهُ حُكْمُ بِئْسَ، وَلْيَكُنْ سَاءَ الَّذِي مِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3]، بِمَعْنَى: أَهَمَّ وَأَحْزَنَ؟

قُلْتُ: كَفَاكَ صَادًّا عَنْهُ أَنْ يُؤَوَّلَ كَلَامُ اللَّهِ إِلَى قَوْلِكَ: وَأَحْزَنُ الْوِزْرِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا؛ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَخْرُجَ عَنْ عُهْدَةِ هَذَا اللَّامِ وَعُهْدَةِ هَذَا الْمَنْصُوبِ.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾[4]

أَسْنَدَ النَّفْخَ إِلَى الْآمِرِ بِهِ فِيمَنْ قَرَأَ: "نَنْفُخُ" بِالنُّونِ، أَوْ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ وَإِسْرَافِيلَ مِنْهُمْ بِالْمَنْزِلَةِ الَّتِي هُمْ بِهَا مِنْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَصَحَّ لِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ وَقُرْبِهِمْ مِنْهُ أَنْ يُسْنَدَ مَا يَتَوَلَّوْنَهُ إِلَى ذَاتِهِ –تَعَالَى–.

وَقُرِئَ: "يُنْفَخُ": بِلَفْظِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ و"يَنْفُخُ"، و"يَحْشُرُ": بِالْيَاءِ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى الْغَيْبَةِ، وَالضَّمِيرُ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَوْ لِإِسْرَافِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

وَأَمَّا يُحْشَرُ الْمُجْرِمُونَ، فَلَمْ يَقْرَأْ بِهِ إِلَّا الْحَسَنُ.

وَقُرِئَ: "فِي الصُّوَرِ": بِفَتْحِ الْوَاوِ جَمْعُ صُورَةٍ؛ وَفِي الصُّورِ: قَوْلَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِمَعْنَى: الصُّوَرُ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَدُلُّ عَلَيْهِ.

– وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْقَرْنُ.

---

[1] سورة، الآية.

[2] سورة، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

قِيلَ: فِي الزُّرْقِ قَوْلَانِ.

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ الزُّرْقَةَ أَبْغَضُ شَيْءٍ مِنْ أَلْوَانِ الْعُيُونِ إِلَى الْعَرَبِ؛ لِأَنَّ الرُّومَ أَعْدَاؤُهُمْ، وَهُمْ زُرْقُ الْعُيُونِ؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي صِفَةِ الْعَدُوِّ: أَسْوَدُ الْكَبِدِ، أَصْهَبُ السِّبَالِ، أَزْرَقُ الْعَيْنِ.

– وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ: الْعَمَى؛ لِأَنَّ حَدَقَةَ مَنْ يَذْهَبُ نُورُ بَصَرِهِ تَزْرَاقُّ، تَخَافَتَهُمْ لِمَا يَمْلَأُ صُدُورَهُمْ مِنَ الرُّعْبِ وَالْهَوْلِ، يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ لُبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا: إِمَّا لِمَا يُعَايِنُونَ مِنَ الشَّدَائِدِ الَّتِي تُذَكِّرُهُمْ أَيَّامَ النِّعْمَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَتَأَسَّفُونَ عَلَيْهَا وَيَصِفُونَهَا بِالْقِصَرِ؛ لِأَنَّ أَيَّامَ السُّرُورِ قِصَارٌ، وَإِمَّا لِأَنَّهَا ذَهَبَتْ عَنْهُمْ وَتَقَضَّتْ، وَالذَّاهِبُ وَإِنْ طَالَتْ مُدَّتُهُ قَصِيرٌ بِالِانْتِهَاءِ.

وَمِنْهُ: تَوْقِيعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِّ تَحْتَ: "أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ": "كَفَى بِالِانْتِهَاءِ قِصَرًا"، وَإِمَّا لِاسْتِطَالَتِهِمُ الْآخِرَةَ، وَأَنَّهَا أَبَدٌ سَرْمَدٌ يَسْتَقْصِرُ إِلَيْهَا عُمْرُ الدُّنْيَا، وَيَتَقَالُّ لُبْثُ أَهْلِهَا فِيهَا بِالْقِيَاسِ إِلَى لُبْثِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَدِ اسْتَرْجَحَ اللَّهُ قَوْلَ مَنْ يَكُونُ أَشَدَّ تَقَاوُلًا مِنْهُمْ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا يَوْمًا﴾[1]؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[2].

وَقِيلَ: الْمُرَادُ لُبْثُهُمْ فِي الْقُبُورِ، وَيُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[3]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾[4].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾[5]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآيتان 112–113.

[3] سورة الرُّومَ، الآية 55.

[4] سورة الرُّومَ، الآية 56.

[5] سورة طَهَ، الآية.

﴿يَنْسِفُهَا﴾[1]: يَجْعَلُهَا كَالرَّمْلِ، ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْهَا الرِّيَاحَ فَتُفَرِّقُهَا كَمَا يَذْرِي الطَّعَامَ، ﴿فَيَذَرُهَا﴾[2]، أَيْ: فَيَذَرُ مَقَارَّهَا وَمَرَاكِزَهَا، أَوْ يُجْعَلُ الضَّمِيرُ لِلْأَرْضِ، وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَهَا ذِكْرٌ؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[3].

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ فَرَّقُوا بَيْنَ الْعِوَجِ وَالْعَوَجِ، فَقَالُوا: الْعِوَجُ بِالْكَسْرِ: فِي الْمَعَانِي، وَالْعَوَجُ بِالْفَتْحِ: فِي الْأَعْيَانِ، وَالأرض عَيْنٌ، فَكَيْفَ صَحَّ فِيهَا الْمَكْسُورُ الْعَيْنِ؟!

قُلْتُ: اخْتِيَارُ هَذَا اللَّفْظِ لَهُ مَوْقِعٌ حَسَنٌ بَدِيعٌ فِي وَصْفِ الأرض بِالِاسْتِوَاءِ وَالْمَلَاسَةِ، وَنَفْيِ الِاعْوِجَاجِ عَنْهَا عَلَى أَبْلَغِ مَا يَكُونُ؛ وَذَلِكَ أَنَّكَ لَوْ عَمَدْتَ إِلَى قِطْعَةِ أَرْضٍ فَسَوَّيْتَهَا وَبَالَغْتَ فِي التَّسْوِيَةِ عَلَى عَيْنِكَ وَعُيُونِ الْبُصَرَاءِ مِنَ الْفِلَاحَةِ، وَاتَّفَقْتُمْ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا اعْوِجَاجٌ قَطُّ، ثُمَّ اسْتَطْلَعْتَ رَأْيَ الْمُهَنْدِسِ فِيهَا وَأَمَرْتَهُ أَنْ يَعْرِضَ اسْتِوَاءَهَا عَلَى الْمَقَايِيسِ الْهَنْدَسِيَّةِ؛ لَعَثَرَ فِيهَا عَلَى عِوَجٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، لَا يُدْرَكُ ذَلِكَ بِحَاسَّةِ الْبَصَرِ وَلَكِنْ بِالْقِيَاسِ الْهَنْدَسِيِّ.

فَنَفَى اللَّهُ -عَزَّ وَعَلَا- ذَلِكَ الْعِوَجَ الَّذِي دَقَّ وَلَطُفَ عَنِ الْإِدْرَاكِ، اللَّهُمَّ إِلَّا بِالْقِيَاسِ الَّذِي يَعْرِفُهُ صَاحِبُ التَّقْدِيرِ وَالْهَنْدَسَةِ. وَذَلِكَ الِاعْوِجَاجُ لَمَّا لَمْ يُدْرَكْ إِلَّا بِالْقِيَاسِ دُونَ الْإِحْسَاسِ لَحِقَ بِالْمَعَانِي، فَقِيلَ فِيهِ: عِوَجٌ بِالْكَسْرِ.

الْأَمْتُ: النُّتُوُّ الْيَسِيرُ، يُقَالُ: مَدَّ حَبْلَهُ حَتَّى مَا فِيهِ أَمْتٌ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[4]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة فَاطِرَ، الآية 45.

[4] سورة طَهَ، الآية.

أَضَافَ الْيَوْمَ إِلَى وَقْتِ نَسْفِ الْجِبَالِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[1]، أَيْ: يَوْمَ إِذْ نُسِفَتْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا بَعْدَ بَدَلٍ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالْمُرَادُ: الدَّاعِي إِلَى الْمَحْشَرِ؛ قَالُوا: هُوَ إِسْرَافِيلُ قَائِمًا عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَدْعُو النَّاسَ، فَيُقْبِلُونَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَى صَوْبِهِ لَا يَعْدِلُونَ.

﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾[2]، أَيْ: لَا يَعْوَجُّ لَهُ مَدْعُوٌّ، بَلْ يَسْتَوُونَ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ انْحِرَافٍ مُتَّبِعِينَ لِصَوْتِهِ، أَيْ: خَفَضَتِ الْأَصْوَاتُ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ وَخَفَتَتْ.

﴿فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا﴾[3]: وَهُوَ الرِّكْزُ الْخَفِيُّ، وَمِنْهُ الْحُرُوفُ الْمَهْمُوسَةُ.

وَقِيلَ: هُوَ مِنْ هَمْسِ الْإِبِلِ وَهُوَ صَوْتُ أَخْفَافِهَا إِذَا مَشَتْ، أَيْ: لَا تَسْمَعُ إِلَّا خَفْقَ الْأَقْدَامِ وَنَقْلَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ، ﴿مَنْ﴾[4]: يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوعًا وَمَنْصُوبًا.

فَالرَّفْعُ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الشَّفَاعَةِ بِتَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا شَفَاعَةَ مَنْ، ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾[5]، وَالنَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ.

وَمَعْنَى أَذِنَ لَهُ: ﴿وَرَضِيَ لَهُ﴾[6]: لِأَجْلِهِ، أَيْ: أَذِنَ لِلشَّافِعِ وَرَضِيَ قَوْلَهُ لِأَجْلِهِ، وَنَحْوُ هَذِهِ اللَّامِ اللَّامُ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[7].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[8]

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة الْأَحْقَافَ، الآية 11.

[7] سورة طَهَ، الآية.

[8] سورة طَهَ، الآية.

أَيْ يَعْلَمُ مَا تَقَدَّمَهُمْ مِنَ الْأَحْوَالِ وَمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ، وَلَا يُحِيطُونَ بِمَعْلُومَاتِهِ عِلْمًا.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[1]

الْمُرَادُ بِالْوُجُوهِ: وُجُوهُ الْعُصَاةِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا عَايَنُوا -يَوْمَ الْقِيَامَةِ- الْخَيْبَةَ وَالشِّقْوَةَ وَسُوءَ الْحِسَابِ، صَارَتْ وُجُوهُهُمْ عَانِيَةً، أَيْ: ذَلِيلَةً خَاشِعَةً، مِثْلَ وُجُوهِ الْعُنَاةِ، وَهُمُ الْأَسَارَى؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2]، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[3]، وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾[4]، وَمَا بَعْدَهُ اعْتِرَاضٌ؛ كَقَوْلِكَ: خَابُوا وَخَسِرُوا، وَكُلُّ مَنْ ظَلَمَ، فَهُوَ خَائِبٌ خَاسِرٌ.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾[5]

الظُّلْمُ: أَنْ يَأْخُذَ مِنْ صَاحِبِهِ فَوْقَ حَقِّهِ.

وَالْهَضْمُ: أَنْ يَكْسِرَ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يُوَفِّيهِ لَهُ، كَصِفَةِ الْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ، يَسْتَوْفُونَ وَيَسْتَرْجِحُونَ؛ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ، يُخْسِرُونَ، أَيْ: فَلَا يَخَافُ جَزَاءَ ظُلْمٍ وَلَا هَضْمٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَظْلِمْ وَلَمْ يَهْضِمْ.

وَقُرِئَ: "فَلَا يَخَفْ": عَلَى النَّهْيِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة الْمُلْكَ، الآية 27.

[3] سورة الْقِيَامَةَ، الآية 24.

[4] سورة طَهَ، الآية 11.

[5] سورة طَهَ، الآية.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[1]

﴿وَكَذَلِكَ﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾[3]، أَيْ: وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِنْزَالِ، وَكَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ الْمُضَمَّنَةَ لِلْوَعِيدِ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ كُلَّهُ عَلَى هَذِهِ الْوَتِيرَةِ، مُكَرِّرِينَ فِيهِ آيَاتِ الْوَعِيدِ، لِيَكُونُوا بِحَيْثُ يُرَادُ مِنْهُمْ تَرْكُ الْمَعَاصِي أَوْ فِعْلُ الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ.

وَالذِّكْرُ –كَمَا ذَكَرْنَا–: يُطْلَقُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

وَقُرِئَ بِـ "نُحْدِثُ" وَ"تُحْدِثُ"، بِالنُّونِ وَالتَّاءِ، أَيْ: تُحْدِثُ أَنْتَ، وَسَكَّنَ بَعْضُهُمُ الثَّاءَ لِلتَّخْفِيفِ؛ كَمَا فِي:

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلِ

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4]

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[5]: اسْتِعْظَامٌ لَهُ وَلِمَا يَصْرِفُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ مِنْ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَالْإِدَارَةُ بَيْنَ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي عَلَيْهِ أَمْرُ مَلَكُوتِهِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ الْقُرْآنَ وَإِنْزَالَهُ، قَالَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِطْرَادِ: وَإِذَا لَقَّنَكَ جِبْرِيلُ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَتَأَنَّ عَلَيْكَ رَيْثَمَا يُسْمِعُكَ وَيُفْهِمُكَ، ثُمَّ أَقْبِلْ عَلَيْهِ بِالتَّحَفُّظِ بَعْدَ ذَلِكَ،

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

وَلَا تَكُنْ قِرَاءَتُكَ مُسَاوِقَةً لِقِرَاءَتِهِ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[1].

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا تُبَلِّغْ مَا كَانَ مِنْهُ مُجْمَلًا حَتَّى يَأْتِيَكَ الْبَيَانُ.

وَقُرِئَ: "حَتَّى تُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ".

وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]: مُتَضَمِّنٌ لِلتَّوَاضُعِ لِلَّهِ -تَعَالَى- وَالشُّكْرِ لَهُ عِنْدَمَا عُلِمَ مِنْ تَرْتِيبِ التَّعَلُّمِ، أَيْ: عَلَّمْتَنِي يَا رَبِّ لَطِيفَةً فِي بَابِ التَّعَلُّمِ وَأَدَبًا جَمِيلًا مَا كَانَ عِنْدِي، فَزِدْنِي عِلْمًا إِلَى عِلْمٍ؛ فَإِنَّ لَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حِكْمَةً وَعِلْمًا.

وَقِيلَ: مَا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي الْعِلْمِ.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[3]

يُقَالُ فِي أَوَامِرِ الْمُلُوكِ وَوَصَايَاهُمْ: تَقَدَّمَ الْمَلِكُ إِلَى فُلَانٍ وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ، وَعَهِدَ إِلَيْهِ، عَطَفَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ- قِصَّةَ آدَمَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[4].

وَالْمَعْنَى: وَأُقْسِمُ قَسَمًا: لَقَدْ أَمَرْنَا أَبَاهُمْ آدَمَ وَوَصَّيْنَاهُ أَلَا يَقْرَبَ الشَّجَرَةَ، وَتَوَعَّدْنَاهُ بِالدُّخُولِ فِي جُمْلَةِ الظَّالِمِينَ إِنْ قَرَبَهَا؛ وَذَلِكَ مِنْ قَبْلِ وُجُودِهِمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَتَوَعَّدَهُمْ؛ فَخَالَفَ إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ، وَتُوُعِّدَ فِي ارْتِكَابِهِ مُخَالَفَتَهُمْ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْوَعِيدِ كَمَا لَا يَلْتَفِتُونَ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ أَسَاسَ أَمْرِ بَنِي آدَمَ عَلَى ذَلِكَ، وَعِرْقَهُمْ رَاسِخٌ فِيهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُرَادُ بِالنِّسْيَانِ؟

---

[1] سورة الْقِيَامَةَ، الآية 16.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية 113.

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ النِّسْيَانُ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الذِّكْرِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُعْنَ بِالْوَصِيَّةِ الْعِنَايَةَ الصَّادِقَةَ، وَلَمْ يَسْتَوْثِقْ مِنْهَا بِعَقْدِ الْقَلْبِ عَلَيْهَا وَضَبْطِ النَّفْسِ، حَتَّى تَوَلَّدَ مِنْ ذَلِكَ النِّسْيَانُ، وَأَنْ يُرَادَ التَّرْكُ وَأَنَّهُ تَرَكَ مَا وُصِّي بِهِ مِنَ الِاحْتِرَاسِ عَنِ الشَّجَرَةِ وَأَكْلِ ثَمَرَتِهَا.

وَقُرِئَ: "فَنُسِّيَ"، أَيْ: نَسَّاهُ الشَّيْطَانُ، الْعَزْمُ: التَّصْمِيمُ وَالْمُضِيُّ عَلَى تَرْكِ الْأَكْلِ، وَأَنْ يَتَصَلَّبَ فِي ذَلِكَ تَصَلُّبًا يُؤَيِّسُ الشَّيْطَانَ مِنَ التَّسْوِيلِ لَهُ.

وَالْوُجُودُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى: الْعِلْمِ، وَمَفْعُولَاهُ: ﴿لَهُ عَزْمًا﴾[1]، وَأَنْ يَكُونَ نَقِيضَ الْعَدَمِ كَأَنَّهُ قَالَ: وَعَدِمْنَا لَهُ عَزْمًا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾[2]

﴿وَإِذْ﴾[3]: مَنْصُوبٌ بِمُضْمَرٍ، أَيْ: وَاذْكُرْ وَقْتَ مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْ مُعَادَاةِ إِبْلِيسَ وَوَسْوَسَتِهِ إِلَيْهِ وَتَزْيِينِهِ لَهُ الْأَكْلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَطَاعَتِهِ لَهُ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَتْ مَعَهُ النَّصِيحَةُ وَالْمَوْعِظَةُ الْبَلِيغَةُ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ كَيْدِهِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ وَالثَّبَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِبْلِيسُ كَانَ جِنِّيًّا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[4]، فَمِنْ أَيْنَ تَنَاوَلَهُ الْأَمْرُ وَهُوَ لِلْمَلَائِكَةِ خَاصَّةً؟

قُلْتُ: كَانَ فِي صُحْبَتِهِمْ، وَكَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ -تَعَالَى- عِبَادَتَهُمْ؛ فَلَمَّا أُمِرُوا بِالسُّجُودِ لِآدَمَ وَالتَّوَاضُعِ لَهُ، كَرَامَةً لَهُ، كَانَ الْجِنِّيُّ الَّذِي مَعَهُمْ أَجْدَرَ بِأَنْ يَتَوَاضَعَ، كَمَا لَوْ قَامَ لِمُقْبِلٍ عَلَى الْمَجْلِسِ عِلْيَةُ أَهْلِهِ وَسُرَاتُهُمْ، كَانَ الْقِيَامُ عَلَى وَاحِدٍ بَيْنَهُمْ هُوَ دُونَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ أَوْجَبَ، حَتَّى إِنْ لَمْ يَقُمْ عُنِّفَ.

وَقِيلَ لَهُ: قَدْ قَامَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَمَنْ أَنْتَ حَتَّى تَتَرَفَّعَ عَنِ الْقِيَامِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: فَكَيْفَ صَحَّ اسْتِثْنَاؤُهُ، وَهُوَ جِنِّيٌّ عَنِ الْمَلَائِكَةِ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة الْكَهْفَ، الآية 50.

قُلْتُ: عَمِلَ عَلَى حُكْمِ التَّغْلِيبِ فِي إِطْلَاقِ اسْمِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ، فَأُخْرِجَ الِاسْتِثْنَاءُ عَلَى ذَلِكَ؛ كَقَوْلِكَ: خَرَجُوا إِلَّا فُلَانَةً، لِامْرَأَةٍ بَيْنَ الرِّجَالِ.

"وَأَبَى": جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، كَأَنَّهُ جَوَابُ قَائِلٍ قَالَ: لِمَ لَمْ يَسْجُدْ؟ وَالْوَجْهُ أَلَا يُقَدَّرَ لَهُ مَفْعُولٌ، وَهُوَ السُّجُودُ الْمَدْلُولُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَسَجَدُوا﴾[1]، وَأَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَظْهَرَ الْإِبَاءَ وَتَوَقَّفَ وَتَثَبَّطَ.

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[2]

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾[3]: فَلَا يَكُونَنَّ سَبَبًا لِإِخْرَاجِكُمَا؛ وَإِنَّمَا أُسْنِدَ إِلَى آدَمَ وَحْدَهُ فِعْلُ الشَّقَاءِ دُونَ حَوَّاءَ بَعْدَ إِشْرَاكِهِمَا فِي الْخُرُوجِ؛ لِأَنَّ فِي ضِمْنِ شَقَاءِ الرَّجُلِ، وَهُوَ قَيِّمُ أَهْلِهِ وَأَمِيرُهُمْ شَقَاءَهُمْ، كَمَا أَنَّ فِي ضِمْنِ سَعَادَتِهِ سَعَادَتَهُمْ، فَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ بِإِسْنَادِهِ إِلَيْهِ دُونَهَا، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ، أَوْ أُرِيدَ بِالشَّقَاءِ: التَّعَبُ فِي طَلَبِ الْقُوتِ؛ وَذَلِكَ مَعْصُوبٌ بِرَأْسِ الرَّجُلِ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ أُهْبِطَ إِلَى آدَمَ ثَوْرٌ أَحْمَرُ، فَكَانَ يَحْرُثُ عَلَيْهِ وَيَمْسَحُ الْعَرَقَ مِنْ جَبِينِهِ.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[4]

قُرِئَ: "وَإِنَّكَ": بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، وَوَجْهُ الْفَتْحِ الْعَطْفُ عَلَى ﴿أَلَا تَجُوعَ﴾[5].

---

1 سورة طَهَ، الآية.

2 سورة طَهَ، الآية.

3 سورة طَهَ، الآية.

4 سورة طَهَ، الآية.

5 سورة طَهَ، الآية.

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّ لَا تَدْخُلُ عَلَى أَنْ، فَلَا يُقَالُ: إِنَّ أَنْ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ، وَالْوَاوُ نَائِبَةٌ عَنْ إِنَّ وَقَائِمَةٌ مَقَامَهَا فَلِمَ أُدْخِلَتْ عَلَيْهَا؟

قُلْتُ: الْوَاوُ لَمْ تُوضَعْ لِتَكُونَ أَبَدًا نَائِبَةً عَنْ إِنَّ؛ إِنَّمَا هِيَ نَائِبَةٌ عَنْ كُلِّ عَامِلٍ، فَلَمَّا لَمْ تَكُنْ حَرْفًا مَوْضُوعًا لِلتَّحْقِيقِ خَاصَّةً كَإِنْ لَمْ يَمْتَنِعِ اجْتِمَاعُهُمَا كَمَا امْتَنَعَ اجْتِمَاعُ إِنَّ وَأَنْ.

الشِّبَعُ وَالرِّيُّ وَالْكِسْوَةُ وَالْكِنُّ: هِيَ الْأَقْطَابُ الَّتِي يَدُورُ عَلَيْهَا كَفَافُ الْإِنْسَانِ، فَذَكَّرَهُ اسْتِجْمَاعُهَا لَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ مَكْفِيٌّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى كِفَايَةِ كَافٍ وَلَا إِلَى كَسْبِ كَاسِبٍ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَذَكَرَهَا بِلَفْظِ النَّفْيِ لِنَقَائِضِهَا الَّتِي هِيَ الْجُوعُ وَالْعُرْيُ وَالظَّمَأُ وَالضَّحْوُ؛ لِيَطْرُقَ سَمْعَهُ بِأَسَامِي أَصْنَافِ الشِّقْوَةِ الَّتِي حَذَّرَهُ مِنْهَا، حَتَّى يَتَحَامَى السَّبَبَ الْمُوقِعَ فِيهَا كَرَاهَةً لَهَا.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ عَدَّى وَسْوَسَ تَارَةً بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾[2]، وَأُخْرَى بِإِلَى؟

قُلْتُ: وَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ كَوَلْوَلَةِ الثَّكْلَى، وَوَعْوَعَةِ الذِّئْبِ، وَوَقْوَقَةِ الدَّجَاجَةِ، فِي أَنَّهَا حِكَايَاتٌ لِلْأَصْوَاتِ وَحُكْمُهَا حُكْمُ صَوَّتَ وَأَجْرَسَ، وَمِنْهُ: وَسْوَسَ الْمُبَرْسِمُ، وَهُوَ مُوَسْوِسٌ بِالْكَسْرِ، وَالْفَتْحُ لَحْنٌ.

وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ:

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الْفَلَقْ

فَإِذَا قُلْتَ: وَسْوَسَ لَهُ، فَمَعْنَاهُ لِأَجْلِهِ؛ كَقَوْلِهِ:

أَجْرِسْ لَهَا يَا ابْنَ أَبِي كَبَـــــاشٍ

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

وَمَعْنَى "وَسْوَسَ إِلَيْهِ": أَنْهَى إِلَيْهِ الْوَسْوَسَةَ؛ كَقَوْلِكَ: حَدَّثَ إِلَيْهِ، وَأَسَرَّ إِلَيْهِ، أَضَافَ الشَّجَرَةَ إِلَى الْخُلْدِ وَهُوَ الْخُلُودُ؛ لِأَنَّ مَنْ أَكَلَ مِنْهَا خُلِّدَ بِزَعْمِهِ، كَمَا قِيلَ لِحَيْزُومَ: فَرَسُ الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّ مَنْ بَاشَرَ أَثَرَهُ حَيِيَ.

﴿وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾[1]: دَلِيلٌ عَلَى قِرَاءَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَابْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ –: "إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ": بِالْكَسْرِ.

﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[2]

﴿طَفِقَ يَفْعَلُ كَذَا﴾[3] مِثْلُ: جَعَلَ يَفْعَلُ، وَأَخَذَ، وَأَنْشَأَ، وَحُكْمُهَا حُكْمُ كَادَ فِي وُقُوعِ الْخَبَرِ فِعْلًا مُضَارِعًا، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مَسَافَةٌ قَصِيرَةٌ، هِيَ: لِلشُّرُوعِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَكَادَ لِمُشَارَفَتِهِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُ.

قُرِئَ: ﴿يَخْصِفَانِ﴾: لِلتَّكْثِيرِ وَالتَّكْرِيرِ، مِنْ خَصَفَ النَّعْلَ، وَهُوَ أَنْ يَخْرُزَ عَلَيْهَا الْخِصَافَ، أَيْ: يَلْزَقَانِ الْوَرَقَ بِسَوْآتِهِمَا لِلتَّسَتُّرِ، وَهُوَ وَرَقُ التِّينِ.

وَقِيلَ: كَانَ مُدَوَّرًا، فَصَارَ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِمَا.

وَقِيلَ: كَانَ لِبَاسُهُمَا الظُّفُرَ، فَلَمَّا أَصَابَا الْخَطِيئَةَ، نُزِعَ عَنْهُمَا وَتُرِكَتْ هَذِهِ الْبَقَايَا فِي أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ آدَمَ لَمْ يَمْتَثِلْ مَا رَسَمَ اللَّهُ لَهُ، وَتَخَطَّى فِيهِ سَاحَةَ الطَّاعَةِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعِصْيَانُ.

وَلَمَّا عَصَى، خَرَجَ فِعْلُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رُشْدًا وَخَيْرًا، فَكَانَ غَيًّا لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّ الْغَيَّ خِلَافَ الرُّشْدِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

وَلَكِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1]: بِهَذَا الْإِطْلَاقِ وَبِهَذَا التَّصْرِيحِ، وَحَيْثُ لَمْ يَقُلْ: وَزَلَّ آدَمُ وَأَخْطَأَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، مِمَّا يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْفُرُطَاتِ: فِيهِ لُطْفٌ بِالْمُكَلَّفِينَ وَمَزْجَرَةٌ بَلِيغَةٌ وَمَوْعِظَةٌ كَافَّةٌ، وَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: انْظُرُوا وَاعْتَبِرُوا كَيْفَ نَعَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ الْمَعْصُومِ حَبِيبِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ إِلَّا اقْتِرَافُ الصَّغِيرَةِ غَيْرِ الْمُنَفِّرَةِ زَلَّتَهُ بِهَذِهِ الْغَلْطَةِ بِهَذَا اللَّفْظِ الشَّنِيعِ، فَلَا تَتَهَاوَنُوا بِمَا يَفْرُطُ مِنْكُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَالصَّغَائِرِ، فَضْلًا أَنْ تَجْسُرُوا عَلَى التَّوَرُّطِ فِي الْكَبَائِرِ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: ﴿فَغَوَى﴾[2]: فَبَشِمَ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَهَذَا -وَإِنْ صَحَّ عَلَى لُغَةِ مَنْ يَقْلِبُ الْيَاءَ الْمَكْسُورَةَ مَا قَبْلَهَا أَلِفًا فَيَقُولُ فِي "فَنِيَ، وَبَقِيَ": "فَنَا، وَبَقَا"، وَهُمْ بَنُو طَيِّءٍ؛ تَفْسِيرٌ خَبِيثٌ.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[3]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾[4]؟

قُلْتُ: ثُمَّ قَبِلَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ، مِنْ جَبَى إِلَيَّ كَذَا فَاجْتَبَيْتُهُ؛ وَنَظِيرُهُ: جَلَيْتَ عَلَيَّ الْعَرُوسَ فَاجْتَلَيْتُهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾[5]، أَيْ: هَلَّا جَبَيْتُ إِلَيْكَ فَاجْتَبَيْتَهَا، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ: الْجَمْعُ، وَيَقُولُونَ: اجْتَبَتِ الْفُرْسُ نَفْسَهَا إِذَا اجْتَمَعَتْ نَفْسُهَا رَاجِعَةً بَعْدَ النِّفَارِ.

وَ﴿هُدًى﴾[6]، أَيْ: وَفَّقَهُ لِحِفْظِ التَّوْبَةِ وَغَيْرِهِ. مِنْ أَسْبَابِ الْعِصْمَةِ وَالتَّقْوَى.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 203.

[6] سورة طَهَ، الآية.

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾[1]

لَمَّا كَانَ آدَمُ وَحَوَّاءُ –عَلَيْهِمَا السَّلَامُ– أَصْلَيِ الْبَشَرِ، وَالسَّبَبَيْنِ اللَّذَيْنِ مِنْهَا نَشَؤُوا وَتَفَرَّعُوا: جُعِلَا كَأَنَّهُمَا الْبَشَرُ فِي أَنْفُسِهِمَا، فَخُوطِبَا مُخَاطَبَتَهُمْ، فَقِيلَ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾[2] عَلَى لَفْظِ الْجَمَاعَةِ. وَنَظِيرُهُ إِسْنَادُهُمُ الْفِعْلَ إِلَى السَّبَبِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْمُسَبِّبِ، "هَدَى": كِتَابٌ وَشَرِيعَةٌ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ضَمِنَ اللَّهُ لِمَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾[3].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّقَاءَ فِي الْآخِرَةِ هُوَ عِقَابُ مَنْ ضَلَّ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَرِيقِ الدِّينِ فَمَنِ اتَّبَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَامْتَثَلَ أَوَامِرَهُ وَانْتَهَى عَنْ نَوَاهِيهِ نَجَا مِنَ الضَّلَالِ وَمِنْ عِقَابِهِ.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[4]

الضَّنْكُ: مَصْدَرٌ يَسْتَوِي فِي الْوَصْفِ بِهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ.

وَقُرِئَ: "ضَنْكَى": عَلَى فَعْلَى.

وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ مَعَ الدِّينِ التَّسْلِيمَ وَالْقَنَاعَةَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى قِسْمَتِهِ، فَصَاحِبُهُ يُنْفِقُ مَا رَزَقَهُ بِسَمَاحٍ وَسُهُولَةٍ، فَيَعِيشُ عَيْشًا رَافِعًا؛ كَمَا قَالَ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[5]، وَالْمُعْرِضُ عَنِ الدِّينِ، مُسْتَوْلٍ عَلَيْهِ الْحِرْصُ الَّذِي لَا يَزَالُ يَطْمَحُ

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة النَّحْل، الآية 97.

بِهِ إِلَى الِازْدِيَادِ مِنَ الدُّنْيَا، مُسَلَّطٌ عَلَيْهِ الشُّحُّ الَّذِي يَقْبِضُ يَدَهُ عَنِ الْإِنْفَاقِ، فَعَيْشُهُ ضَنْكٌ وَحَالُهُ مُظْلِمَةٌ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُتَصَوِّفَةِ: لَا يُعْرِضُ أَحَدٌ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ إِلَّا أَظْلَمَ عَلَيْهِ وَقْتُهُ وَتَشَوَّشَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمِنَ الْكَفَرَةِ مَنْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الذِّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ؛ لِكُفْرِهِ، قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى–: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرض﴾[3]، وَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[4]، وَقَالَ: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[5].

وَعَنِ الْحَسَنِ: هُوَ الضَّرِيعُ وَالزَّقُّومُ فِي النَّارِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: "عَذَابُ الْقَبْرِ".

وَقُرِئَ: "وَنَحْشُرْهُ": بِالْجَزْمِ، عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[6]؛ لِأَنَّهُ جَوَابُ الشَّرْطِ.

وَقُرِئَ: "وَنَحْشُرُهْ": بِسُكُونِ الْهَاءِ عَلَى لَفْظِ الْوَقْفِ.

وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[7]، وَكَمَا فُسِّرَ الزُّرْقُ بِالْعَمَى.

﴿وَكَذَلِكَ﴾[8]، أَيْ: مِثْلُ ذَلِكَ فَعَلْتَ أَنْتَ، ثُمَّ فُسِّرَ بِأَنَّ آيَاتِنَا أَتَتْكَ وَاضِحَةً مُسْتَنِيرَةً، فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْمُعْتَبِرِ وَلَمْ تَتَبَصَّرْ، وَتَرَكْتَهَا وَعَمِيتَ عَنْهَا، فَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نَتْرُكُكَ عَلَى عَمَاكَ وَلَا نُزِيلُ غِطَاءَهُ عَنْ عَيْنَيْكَ.

---

1 سورة الْبَقَرَةَ، الآية.

2 سورة الْمَائِدَةَ، الآية.

3 سورة الْأَعْرَافَ، الآية 96.

4 سورة نُوحَ، الآية 11.

5 سورة الْجِنَّ، الآية 16.

6 سورة طَهَ، الآية.

7 سورة الْإِسْرَاءَ، الآية 97.

8 سورة طَهَ، الآية.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[1]

لَمَّا تَوَعَّدَ الْمُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِهِ بِعُقُوبَتَيْنِ: الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ فِي الدُّنْيَا، وَحَشْرُهُ أَعْمَى فِي الْآخِرَةِ خَتَمَ آيَاتِ الْوَعِيدِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[2]، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَلْحَشْرُ عَلَى الْعَمَى الَّذِي لَا يَزُولُ أَبَدًا أَشَدُّ مِنْ ضِيقِ الْعَيْشِ الْمُنْقَضِي، أَوْ أَرَادَ: وَلَتَرْكُنَا إِيَّاهُ فِي الْعَمَى أَشَدُّ وَأَبْقَى مِنْ تَرْكِهِ لِآيَاتِنَا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾[3]

فَاعِلُ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾[4]: الْجُمْلَةُ بَعْدَهُ يُرِيدُ: أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ هَذَا بِمَعْنَاهُ وَمَضْمُونِهِ؛ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[5]، أَيْ: تَرَكْنَا عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ضَمِيرُ اللَّهِ أَوِ الرَّسُولِ؛ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ بِالنُّونِ.

وَقُرِئَ: "يَمْشُونَ" يُرِيدُ: أَنَّ قُرَيْشًا يَتَقَلَّبُونَ فِي بِلَادِ عَادٍ وَثَمُودَ وَيَمْشُونَ.

﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾[6]: وَيُعَايِنُونَ آثَارَ هَلَاكِهِمْ.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾[7]

---

[1] سورة طَهَ، الآية 127.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة الصَّافَّاتِ، الآيتان 78–79.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

الْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ: هِيَ الْعِدَةُ بِتَأْخِيرِ جَزَائِهِمْ إِلَى الْآخِرَةِ، يَقُولُ: لَوْلَا هَذِهِ الْعِدَةُ لَكَانَ مِثْلُ إِهْلَاكِنَا عَادًا وَثَمُودًا لَازِمًا لِهَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ، وَاللِّزَامُ: إِمَّا مَصْدَرُ لَازَمَ وُصِفَ بِهِ، وَإِمَّا فِعَالٌ بِمَعْنَى مِفْعَلٍ، أَيْ: مِلْزَمٌ، كَأَنَّهُ آلَةُ اللُّزُومِ لِفَرْطِ لُزُومِهِ، كَمَا قَالُوا: لِزَازُ خَصْمٍ.

﴿مُسَمًّى﴾ [1]لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ﴿كَلِمَةٌ﴾[2]، أَوْ عَلَى الضَّمِيرِ فِي "كَانَ"، أَيْ: لَكَانَ الْأَخْذُ الْعَاجِلُ وَأَجَلٌ مُسَمًّى لَازِمَيْنِ لَهُمْ كَمَا كَانَا لَازِمَيْنِ لِعَادٍوَثَمُودَ، وَلَمْ يَنْفَرِدِ الْأَجَلُ الْمُسَمَّى دُونَ الْأَخْذِ الْعَاجِلِ.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[3]

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾[4]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: وَأَنْتَ حَامِدٌ لِرَبِّكَ عَلَى أَنْ وَفَّقَكَ لِلتَّسْبِيحِ وَأَعَانَكَ عَلَيْهِ، وَالْمُرَادُ بِالتَّسْبِيحِ: الصَّلَاةُ، أَوْ عَلَى ظَاهِرِهِ قُدِّمَ الْفِعْلُ عَلَى الْأَوْقَاتِ أَوَّلًا، وَالْأَوْقَاتُ عَلَى الْفِعْلِ آخِرًا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: صَلِّ لِلَّهِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، يَعْنِي: الْفَجْرَ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، يَعْنِي: الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ؛ لِأَنَّهُمَا وَاقِعَتَانِ فِي النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ النَّهَارِ بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا، وَتَعَمَّدْ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ مُخْتَصًّا لَهُمَا بِصَلَاتِكَ.

وَذَلِكَ أَنَّ أَفْضَلَ الذِّكْرِ مَا كَانَ بِاللَّيْلِ، لِاجْتِمَاعِ الْقَلْبِ وَهَدُوِّ الرِّجْلِ وَالْخُلُوِّ بِالرَّبِّ، وَقَالَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا﴾[5]، وَقَالَ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾[6]، وَلِأَنَّ اللَّيْلَ وَقْتُ السُّكُوتِ وَالرَّاحَةِ، فَإِذَا صُرِفَ إِلَى الْعِبَادَةِ، كَانَتْ عَلَى النَّفْسِ أَشَدَّ وَأَشَقَّ، وَلِلْبَدَنِ أَتْعَبَ وَأَنْصَبَ، فَكَانَتْ أَدْخَلَ فِي مَعْنَى

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة الْمُزَّمِّلَ، الآية 6.

[6] سورة الزُّمَرَ، الآية 9.

التَّكْلِيفِ وَأَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ تَنَاوَلَ التَّسْبِيحُ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ صَلَاةَ الْعَتَمَةِ، وَفِي أَطْرَافِ النَّهَارِ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ وَصَلَاةَ الْفَجْرِ عَلَى التَّكْرَارِ؛ إِرَادَةَ الِاخْتِصَاصِ، كَمَا اخْتُصَّتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ [1] عِنْدَ بَعْضِ الْمُفَسِّرِينَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [2] عَلَى الْجَمْعِ؛ وَإِنَّمَا هُمَا طَرَفَانِ كَمَا قَالَ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [3]؟

قُلْتُ: الْوَجْهُ أَمْنُ الْإِلْبَاسِ، وَفِي التَّثْنِيَةِ: زِيَادَةُ بَيَانٍ، وَنَظِيرُ مَجِيءِ الْأَمْرَيْنِ فِي الْآيَتَيْنِ: مَجِيئُهُمَا فِي قَوْلِهِ:

ظَهْرَاهُمَا مِثْلُ ظُهُورِ التُّرْسَيْـــنِ

وَقُرِئَ: "وَأَطْرَافَ النَّهَارِ" عَطْفًا عَلَى آنَاءِ اللَّيْلِ، وَلَعَلَّ لِلْمُخَاطَبِ، أَيِ: اذْكُرِ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ؛ طَمَعًا وَرَجَاءَ أَنْ تَنَالَ عِنْدَ اللَّهِ مَا بِهِ تُرْضِي نَفْسَكَ وَيَسُرُّ قَلْبَكَ.

وَقُرِئَ: "تُرْضَى"، أَيْ: يُرْضِيكَ رَبُّكَ.

﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [4]

﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [5]، أَيْ: نَظَرَ عَيْنَيْكَ، وَمَدُّ النَّظَرِ: تَطْوِيلُهُ، وَأَلَّا يَكَادَ يَرُدُّهُ؛ اسْتِحْسَانًا لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ وَإِعْجَابًا بِهِ، وَتَمَنِّيًا أَنْ يَكُونَ لَهُ، كَمَا فَعَلَ نَظَّارَةُ قَارُونَ حِينَ قَالُوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [6]، حَتَّى وَاجَهَهُمْ أُولُو الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ بِـ

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة الْقَصَصَ، الآية 79.

﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[1]، وَفِيهِ أَنَّ النَّظَرَ غَيْرَ الْمَمْدُودِ مَعْفُوٌّ عَنْهُ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ نَظَرِ مَنْ بَادَهَ الشَّيْءُ بِالنَّظَرِ ثُمَّ غَضَّ الطَّرْفَ.

وَلَمَّا كَانَ النَّظَرُ إِلَى الزَّخَارِفِ كَالْمَرْكُوزِ فِي الطِّبَاعِ، وَأَنَّ مَنْ أَبْصَرَ مِنْهَا شَيْئًا أَحَبَّ أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ نَظَرَهُ وَيَمْلَأَ مِنْهُ عَيْنَيْهِ قِيلَ: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[2]، أَيْ: لَا تَفْعَلْ مَا أَنْتَ مُعْتَادٌ لَهُ وَضَارٍ بِهِ، وَلَقَدْ شَدَّدَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى فِي وُجُوبِ غَضِّ الْبَصَرِ عَنْ أَبْنِيَةِ الظَّلَمَةِ وَعُدَدِ الْفَسَقَةِ فِي اللِّبَاسِ وَالْمَرَاكِبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا اتَّخَذُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لِعُيُونِ النَّظَّارَةِ، فَالنَّاظِرُ إِلَيْهَا مُحَصِّلٌ لِغَرَضِهِمْ، وَكَالْمُغْرِي لَهُمْ عَلَى اتِّخَاذِهَا، ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾[3]: أَصْنَافًا مِنَ الْكَفَرَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ حَالًا مِنْ هَاءِ الضَّمِيرِ، وَالْفِعْلُ وَاقِعٌ عَلَى: ﴿مِنْهُمْ﴾[4]، كَأَنَّهُ قَالَ: إِلَى الَّذِي مَتَّعْنَا بِهِ وَهُوَ أَصْنَافُ بَعْضِهِمْ وَنَاسًا مِنْهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ انْتَصَبَ ﴿زَهْرَةَ﴾[5]؟

قُلْتُ: عَلَى أَحَدِ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: عَلَى الذَّمِّ، وَهُوَ النَّصْبُ عَلَى الِاخْتِصَاصِ، وَعَلَى تَضْمِينِ: ﴿مَتَّعْنَا﴾[6]، مَعْنَى: أَعْطَيْنَا وَخَوَّلْنَا، وَكَوْنُهُ مَفْعُولًا ثَانِيًا لَهُ، وَعَلَى إِبْدَالِهِ مِنْ مَحَلِّ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ، وَعَلَى إِبْدَالِهِ مِنْ أَزْوَاجًا، عَلَى تَقْدِيرِ ذَوِي زَهْرَةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الزَّهْرَةِ فِيمَنْ حَرَّكَ.

قُلْتُ: مَعْنَى الزَّهْرَةِ بِعَيْنِهِ وَهُوَ الزِّينَةُ وَالْبَهْجَةُ، كَمَا جَاءَ فِي الْجَهْرَةِ الْجَهَرَةُ.

وَقُرِئَ: "أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً"، وَأَنْ تَكُونَ جَمْعَ زَاهِرٍ، وَصْفًا لَهُمْ بِأَنَّهُمْ زَاهَرُو هَذِهِ الدُّنْيَا، لِصَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ مِمَّا يَلْهُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ، وَتَهَلُّلِ وُجُوهِهِمْ، وَبَهَاءِ زِيِّهِمْ وَشَارَتِهِمْ، بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالصُّلَحَاءُ: مِنْ شُحُوبِ الْأَلْوَانِ وَالتَّقَشُّفِ فِي الثِّيَابِ، ﴿الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ﴾[7]: لِنَبْلُوَهُمْ حَتَّى يَسْتَوْجِبُوا الْعَذَابَ؛ لِوُجُودِ الْكُفْرَانِ مِنْهُمْ، أَوْ لِنُعَذِّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِسَبَبِهِ.

---

[1] سورة الْقَصَصَ، الآية 80.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية.

[7] سورة طَهَ، الآية.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾[1]: هُوَ مَا ادُّخِرَ لَهُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِي نَفْسِهِ وَأَدُومُ، وَأَوْ مَا رَزَقَهُ مِنْ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالنُّبُوَّةِ، أَوْ لِأَنَّ أَمْوَالَهُمُ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْغَصْبُ وَالسَّرِقَةُ وَالْحُرْمَةُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، وَالْحَلَالُ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[2]؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَنْسُبُ إِلَى نَفْسِهِ إِلَّا مَا حَلَّ وَطَابَ دُونَ مَا حَرُمَ وَخَبُثَ، وَالْحَرَامُ لَا يُسَمَّى رِزْقًا أَصْلًا.

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى يَهُودِيٍّ، وَقَالَ: "قُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ أَقْرِضْنِي إِلَى رَجَبٍ" فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا أَقْرَضْتُهُ إِلَّا بِرَهْنٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "إِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ، وَإِنِّي لَأَمِينٌ فِي الأرض، احْمِلْ إِلَيْهِ دِرْعِي الْحَدِيدَ"؛ فَنَزَلَتْ: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[3].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[4]

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾[5]، أَيْ: وَأَقْبِلْ أَنْتَ مَعَ أَهْلِكَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ، وَاسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى خَصَاصَتِكُمْ، وَلَا تَهْتَمَّ بِأَمْرِ الرِّزْقِ وَالْمَعِيشَةِ، فَإِنَّ رِزْقَكَ مَكْفِيٌّ مِنْ عِنْدِنَا، وَنَحْنُ رَازِقُوكَ وَلَا نَسْأَلُكَ أَنْ تُرْزَقَ نَفْسَكَ وَلَا أَهْلَكَ فَفَرِّغْ بَالَكَ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُ النَّاسِ: مَنْ دَانَ فِي عَمَلِ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ فِي عَمَلِهِ.

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى مَا عِنْدَ السَّلَاطِينِ قَرَأَ: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[6] الْآيَةَ، ثُمَّ يُنَادِي الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ.

وَعَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ كَانَ إِذَا أَصَابَتْ أَهْلَهُ خَصَاصَةٌ، قَالَ: قُومُوا فَصَلُّوا؛ بِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.

[2] سورة طَهَ، الآية.

[3] سورة طَهَ، الآية.

[4] سورة طَهَ، الآية.

[5] سورة طَهَ، الآية.

[6] سورة طَهَ، الآية **131**.

﴿وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾[1]

اقْتَرَحُوا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي التَّعَنُّتِ آيَةً عَلَى النُّبُوَّةِ، فَقِيلَ لَهُمْ: أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ آيَةٌ هِيَ أُمُّ الْآيَاتِ وَأَعْظَمُهَا فِي بَابِ الْإِعْجَازِ يَعْنِي الْقُرْآنَ، مِنْ قِبَلِ أَنَّ الْقُرْآنَ بُرْهَانُ مَا فِي سَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ وَدَلِيلُ صِحَّتِهِ؛ لِأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ، وَتِلْكَ لَيْسَتْ بِمُعْجِزَاتٍ، فَهِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى شَهَادَتِهِ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهَا، افْتِقَارَ الْمُحْتَجِّ عَلَيْهِ إِلَى شَهَادَةِ الْحُجَّةِ.

وَقُرِئَ: "الصُّحُفِ": بِالتَّخْفِيفِ، ذُكِرَ الضَّمِيرُ الرَّاجِعُ إِلَى الْبَيِّنَةِ؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْبُرْهَانِ وَالدَّلِيلِ.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[2]

قُرِئَ: ﴿نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[3]: عَلَى لَفْظِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾[4]

﴿كُلٌّ﴾[5]، أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا وَمِنْكُمْ، ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾[6]: لِلْعَاقِبَةِ، وَلِمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُنَا وَأَمْرُكُمْ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية.
[2] سورة طَهَ، الآية.
[3] سورة طَهَ، الآية.
[4] سورة طَهَ، الآية.
[5] سورة طَهَ، الآية.
[6] سورة طَهَ، الآية.

وَقُرِئَ: "السَّوَاءِ": بِمَعْنَى: الْوَسَطُ وَالْجَيِّدُ، أَوِ الْمُسْتَوِي وَالسُّوءُ وَالسُّوأَى وَالسَّوِيُّ تَصْغِيرُ السُّوءِ.

وَقُرِئَ: "فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ".

قَالَ أَبُو رَافِعٍ: حَفِظْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ طَهَ أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوَابَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ"، وَقَالَ:" لَا يَقْرَأُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا طَهَ وَيْسَ".

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

سورة الأنبياء

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ وَمِائَةٌ
[نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[1]

هَذِهِ اللَّامُ: لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ صِلَةً لِاقْتَرَبَ، أَوْ تَأْكِيدًا لِإِضَافَةِ الْحِسَابِ إِلَيْهِمْ؛ كَقَوْلِكَ: "أَزِفَ لِلْحَيِّ رَحِيلُهُمُ" الْأَصْلُ: أَزِفَ رَحِيلُ الْحَيِّ، ثُمَّ أَزِفَ لِلْحَيِّ الرَّحِيلُ، ثُمَّ أَزِفَ لِلْحَيِّ رَحِيلُهُمْ؛ وَنَحْوُهُ: مَا أَوْرَدَهُ سِيبَوَيْهِ فِي "بَابِ مَا يُثَنَّى فِيهِ الْمُسْتَقَرُّ تَوْكِيدًا" عَلَيْكَ زَيْدٌ حَرِيصٌ عَلَيْكَ، وَفِيكَ زَيْدٌ رَاغِبٌ فِيكَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: لَا أَبَا لَكَ؛ لِأَنَّ اللَّامَ مُؤَكِّدَةٌ لِمَعْنَى الْإِضَافَةِ.

وَهَذَا الْوَجْهُ أَغْرَبُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْمُرَادُ: اقْتِرَابُ السَّاعَةِ، وَإِذَا اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ فَقَدِ اقْتَرَبَ مَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَنَحْوُهُ: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ وُصِفَ بِالِاقْتِرَابِ، وَقَدْ عُدَّتْ دُونَ هَذَا الْقَوْلِ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة لِأَنْبِيَاءَ، الآية 97.

قُلْتُ: هُوَ مُقْتَرِبٌ عِنْدَ اللَّهِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، وَلِأَنَّ كُلَّ آتٍ –وَإِنْ طَالَتْ أَوْقَاتُ اسْتِقْبَالِهِ وَتَرَقُّبُهُ قَرِيبٌ؛ إِنَّمَا الْبَعِيدُ هُوَ الَّذِي وُجِدَ وَانْقَرَضَ، وَلِأَنَّ مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا أَقْصَرُ وَأَقَلُّ مِمَّا سَلَفَ مِنْهَا؛ بِدَلِيلِ انْبِعَاثِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ الْمَوْعُودِ مَبْعَثُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَقَالَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: "بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ".

وَفِي خُطْبَةِ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ: وَلَّتِ الدُّنْيَا حِذَاءً، وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ، وَإِذَا كَانَتْ بَقِيَّةُ الشَّيْءِ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي نَفْسِهَا قَلِيلَةً بِالْإِضَافَةِ إِلَى مُعْظَمِهِ، كَانَتْ خَلِيقَةً بِأَنْ تُوصَفَ بِالْقِلَّةِ وَقِصَرِ الذَّرْعِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ: الْمُشْرِكُونَ، وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الْجِنْسِ عَلَى بَعْضِهِ لِلدَّلِيلِ الْقَائِمِ، وَهُوَ مَا يَتْلُوهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُشْرِكِينَ، وَصَفَهُمْ بِالْغَفْلَةِ مَعَ الْإِعْرَاضِ، عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُمْ غَافِلُونَ عَنْ حِسَابِهِمْ سَاهُونَ، لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي عَاقِبَتِهِمْ، وَلَا يَتَفَطَّنُونَ لِمَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ خَاتِمَةُ أَمْرِهِمْ، مَعَ اقْتِضَاءِ عُقُولِهِمْ إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ جَزَاءٍ لِلْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ.

وَإِذَا قُرِعَتْ لَهُمُ الْعَصَا وَنُبِّهُوا عَنْ سُنَّةِ الْغَفْلَةِ وَفَطِنُوا لِذَلِكَ بِمَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ، أَعْرَضُوا وَسَدُّوا أَسْمَاعَهُمْ وَنَفَرُوا.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[2]

قَرَّرَ إِعْرَاضَهُمْ عَنْ تَنْبِيهِ الْمُنَبِّهِ وَإِيقَاظِ الْمُوقِظِ: بِأَنَّ اللَّهَ يُجَدِّدُ لَهُمُ الذِّكْرَ وَقْتًا فَوَقْتًا، وَيُحْدِثُ لَهُمُ الْآيَةَ بَعْدَ الْآيَةِ وَالسُّورَةَ بَعْدَ السُّورَةِ؛ لِيُكَرِّرَ عَلَى أَسْمَاعِهِمُ التَّنْبِيهَ

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية 47.

[2] سورة طَهَ، الآية .

وَالْمَوْعِظَةَ لَعَلَّهُمْ يَتَّعِظُونَ، فَمَا يَزِيدُهُمُ اسْتِمَاعُ الْآيِ وَالسُّوَرِ وَمَا فِيهَا مِنْ فُنُونِ الْمَوَاعِظِ وَالْبَصَائِرِ –الَّتِي هِيَ أَحَقُّ الْحَقِّ وَأَجَدُّ الْجِدِّ– إِلَّا لَعِبًا وَتَلَهِّيًا وَاسْتِسْخَارًا.

وَالذِّكْرُ: هُوَ الطَّائِفَةُ النَّازِلَةُ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: "مَحْدَثٌ": بِالرَّفْعِ صِفَةٌ عَلَى الْمَحَلِّ.

قَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[1]: حَالَانِ مُتَرَادِفَتَانِ أَوْ مُتَدَاخِلَتَانِ.

وَمَنْ قَرَأَ: "لَاهِيَةٌ" بِالرَّفْعِ فَالْحَالُ وَاحِدَةٌ؛ لِأَنَّ ﴿لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[2]: خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ﴾[3]، وَاللَّاهِيَةُ: مِنْ لَهَا عَنْهُ إِذَا ذَهَلَ وَغَفَلَ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ وَإِنْ فَطِنُوا فَهُمْ فِي قِلَّةِ جَدْوَى فِطْنَتِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْطَنُوا أَصْلًا، وَثَبَتُوا عَلَى رَأْسِ غَفْلَتِهِمْ وَذُهُولِهِمْ عَنِ التَّأَمُّلِ وَالتَّبَصُّرِ بِقُلُوبِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: النَّجْوَى وَهِيَ اسْمٌ مِنَ التَّنَاجِي لَا تَكُونُ إِلَّا خُفْيَةً، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَسَرُّوا﴾[4]؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَبَالَغُوا فِي إِخْفَائِهَا، أَوْ جَعَلُوهَا بِحَيْثُ لَا يَفْطَنُ أَحَدٌ لِتَنَاجِيهِمْ وَلَا يَعْلَمَ أَنَّهُمْ مُتَنَاجُونَ، أُبْدِلَ: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[5] مِنْ وَاوِ وَأَسَرُّوا، إِشْعَارًا بِأَنَّهُمُ الْمَوْسُومُونَ بِالظُّلْمِ الْفَاحِشِ فِيمَا أَسَرُّوا بِهِ. أَوْ جَاءَ عَلَى لُغَةِ مَنْ قَالَ: أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ، أَوْ هُوَ مَنْصُوبُ الْمَحَلِّ عَلَى الذَّمِّ، أَوْ هُوَ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[6] قُدِّمَ عَلَيْهِ.

وَالْمَعْنَى: وَهَؤُلَاءِ أَسَرُّوا النَّجْوَى، فَوُضِعَ الْمُظْهَرُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ تَسْجِيلًا عَلَى فِعْلِهِمْ بِأَنَّهُ ظُلْمٌ.

﴿هَلْ هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[7]: هَذَا الْكَلَامُ كُلُّهُ فِي مَحَلِّ النَّصْبِ بَدَلًا مِنَ النَّجْوَى، أَيْ: وَأَسَرُّوا هَذَا الْحَدِيثَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَالُوا مُضْمَرًا:

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

[7] سورة طَهَ، الآية .

اعْتَقَدُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَا يَكُونُ إِلَّا مَلَكًا، وَأَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَى الرِّسَالَةَ مِنَ الْبَشَرِ وَجَاءَ بِالْمُعْجِزَةِ هُوَ سَاحِرٌ وَمُعْجِزَتُهُ سِحْرٌ، فَلِذَلِكَ قَالُوا عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ: أَفَتَحْضُرُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُشَاهِدُونَ وَتُعَايِنُونَ أَنَّهُ سِحْرٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أَسَرُّوا هَذَا الْحَدِيثَ وَبَالَغُوا فِي إِخْفَائِهِ؟

قُلْتُ: كَانَ ذَلِكَ شِبْهَ التَّشَاوُرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَالتَّحَاوُرِ فِي طَلَبِ الطَّرِيقِ إِلَى هَدْمِ أَمْرِهِ، وَعَمَلِ الْمَنْصُوبَةِ فِي التَّثْبِيطِ عَنْهُ، وَعَادَةِ الْمُتَشَاوِرِينَ فِي خُطَبٍ أَنْ لَا يُشْرِكُوا أَعْدَاءَهُمْ فِي شُورَاهُمْ، وَيَتَجَاهَدُوا فِي طَيِّ سِرِّهِمْ عَنْهُمْ مَا أَمْكَنَ وَاسْتُطِيعَ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّاسِ: "اسْتَعِينُوا عَلَى حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ"، وَيُرْفَعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَيَجُوزُ أَنْ يُسِرُّوا نَجْوَاهُمْ بِذَلِكَ ثُمَّ يَقُولُوا لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُؤْمِنِينَ: إِنْ كَانَ مَا تَدَّعُونَهُ حَقًّا فَأَخْبِرُونَا بِمَا أَسْرَرْنَا.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأرض وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: يَعْلَمُ السِّرَّ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[2]؟

قُلْتُ: الْقَوْلُ عَامٌّ يَشْمَلُ السِّرَّ وَالْجَهْرَ، فَكَانَ فِي الْعِلْمِ بِهِ الْعِلْمُ بِالسِّرِّ وَزِيَادَةٌ، فَكَانَ آكَدَ فِي بَيَانِ الِاطِّلَاعِ عَلَى نَجْوَاهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولَ: يَعْلَمُ السِّرَّ، كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ: يَعْلَمُ السِّرَّ، آكَدُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: يَعْلَمُ سِرَّهُمْ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ لِذَاتِهِ فَكَيْفَ تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلِمَ تَرَكَ هَذَا الْآكَدَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض﴾[3] ؟

قُلْتُ: لَيْسَ بِوَاجِبٍ أَنْ يَجِيءَ بِالْآكَدِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَلَكِنْ يَجِيءُ بِالْوَكِيدِ تَارَةً وَبِالْآكَدِ أُخْرَى، كَمَا يَجِيءُ بِالْحُسْنِ فِي مَوْضِعٍ وَبِالْأَحْسَنِ فِي غَيْرِهِ لِيَفْتِنَّ الْكَلَامَ افْتِنَانًا،

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة الْفُرْقَانَ، الآية 6.

وَتُجْمَعُ الْغَايَةُ وَمَا دُونَهَا، عَلَى أَنَّ أُسْلُوبَ تِلْكَ الْآيَةِ خِلَافَ أُسْلُوبِ هَذِهِ، مِنْ قِبَلِ أَنَّهُ قَدَّمَ هَا هُنَا أَنَّهُمْ أَسَرُّوا النَّجْوَى، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ رَبِّي يَعْلَمُ مَا أَسَرُّوهُ، فَوُضِعَ الْقَوْلُ مَوْضِعَ ذَلِكَ لِلْمُبَالَغَةِ، وَثَمَّ قَصَدَ وَصْفَ ذَاتِهِ بِأَنْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض، فَهُوَ كَقَوْلِهِ عَلَّامُ الْغُيُوبِ: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾[1].

وَقُرِئَ: "قَالَ رَبي": حِكَايَةً لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَهُمْ.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾[2]

أَضْرَبُوا عَنْ قَوْلِهِمْ هُوَ سِحْرٌ إِلَى أَنَّهُ تَخَالِيطُ أَحْلَامٍ، ثُمَّ إِلَى أَنَّهُ كَلَامٌ مُفْتَرَى مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ إِلَى أَنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ، وَهَكَذَا الْبَاطِلُ لَجْلَجٌ، وَالْمُبْطِلُ مُتَحَيِّرٌ رَجَّاعٌ غَيْرُ ثَابِتٍ عَلَى قَوْلٍ وَاحِدٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَنْزِيلًا مِنَ اللَّهِ –تَعَالَى– لِأَقْوَالِهِمْ فِي دَرَجِ الْفَسَادِ، وَأَنَّ قَوْلَهُمُ الثَّانِيَ أَفْسَدُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَالثَّالِثَ أَفْسَدُ مِنَ الثَّانِي؛ وَكَذَلِكَ الرَّابِعُ مِنَ الثَّالِثِ، صِحَّةُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾[3]: مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فِي مَعْنَى: كَمَا أَتَى الْأَوَّلُونَ بِالْآيَاتِ؛ لِأَنَّ إِرْسَالَ الرُّسُلِ مُتَضَمِّنٌ لِلْإِتْيَانِ بِالْآيَاتِ.

أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقُولَ: أُرْسِلَ مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ وَبَيْنَ قَوْلِكَ: أَتَى مُحَمَّدٌ بِالْمُعْجِزَةِ؟!

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[4]

---

[1] سورة سَبَأ، الآية 33.

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[1]: فِيهِ أَنَّهُمْ أَعْتَى مِنَ الَّذِينَ اقْتَرَحُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمُ الْآيَاتِ وَعَاهَدُوا أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ عِنْدَهَا، فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ نَكَثُوا أَوْ خَالَفُوا، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، فَلَوْ أَعْطَيْنَاهُمْ مَا يَقْتَرِحُونَ لَكَانُوا أَنْكَثَ وَأَنْكَثَ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[2]

أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعْلِمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، حَتَّى يُعَلِّمُوهُمْ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ الْمُوحَى إِلَيْهِمْ كَانُوا بَشَرًا وَلَمْ يَكُونُوا مَلَائِكَةً كَمَا اعْتَقَدُوا.

وَإِنَّمَا أَحَالَهُمْ عَلَى أُولَئِكَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُشَايِعُونَ الْمُشْرِكِينَ فِي مُعَادَاةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾[3]، فَلَا يُكَاذِبُونَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ رَدْءًا لِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾[4]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة آلَ عِمْرَانَ، الآية 186.

[4] سورة طَهَ، الآية .

﴿لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[1]: صِفَةٌ لِجَسَدًا، وَالْمَعْنَى: وَمَا جَعَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- قَبْلَهُ ذَوِي جَسَدٍ غَيْرَ طَاعِمِينَ، وَوَحَّدَ الْجَسَدَ لِإِرَادَةِ الْجِنْسِ، كَأَنَّهُ قَالَ: ذَوِي ضَرْبٍ مِنَ الْأَجْسَادِ وَهَذَا رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: نَعَمْ قَدْ رَدَّ إِنْكَارَهُمْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ بَشَرًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِمَا ذَكَرْتَ، فَمَاذَا رَدَّ مِنْ قَوْلِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾[3]؟

قُلْتُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُنَا يَعِيشُ كَمَا نَعِيشُ، وَيَمُوتُ كَمَا نَمُوتُ، أَوْ يَقُولُوا: هَلَّا كَانَ مَلَكًا لَا يَطْعَمُ وَيُخَلَّدُ: إِمَّا مُعْتَقِدِينَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَمُوتُونَ، أَوْ مُسَمِّينَ حَيَاتَهُمُ الْمُتَطَاوِلَةَ وَبَقَاءَهُمُ الْمُمْتَدَّ خُلُودًا.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾[4]

﴿صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾[5]: مَثَّلَ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ، وَالْأَصْلُ فِي الْوَعْدِ: وَمِنْ قَوْمِهِ، وَمِنْهُ: صَدَقُوهُمُ الْقِتَالَ، وَصَدَقَنِي سِنَّ بَكْرِهِ.

﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾[6]: هُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَمَنْ فِي بَقَائِهِ مَصْلَحَةٌ.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[7]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة الْفُرْقَانَ، الآية 7.

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

[7] سورة طَهَ، الآية .

﴿ذِكْرُكُمْ﴾[1]: شَرَفُكُمْ وَصِيتُكُمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[2]، أَوْ مَوْعِظَتُكُمْ، أَوْ فِيهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ الَّتِي كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ بِهَا الثَّنَاءَ أَوْ حُسْنَ الذِّكْرِ، كَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَالسَّخَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[3]

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾[4]: وَارِدَةٌ عَنْ غَضَبٍ شَدِيدٍ وَمُنَادِيَةٍ عَلَى سُخْطٍ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّ الْقَصْمَ أَفْظَعُ الْكَسْرِ، وَهُوَ الْكَسْرُ الَّذِي يُبَيِّنُ تَلَاؤُمَ الْأَجْزَاءِ، بِخِلَافِ الْفَصْمِ، وَأَرَادَ بِالْقَرْيَةِ: أَهْلَهَا؛ وَلِذَلِكَ وَصَفَهَا بِالظُّلْمِ، وَقَالَ: ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾[5]، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَهْلَكْنَا قَوْمًا وَأَنْشَأْنَا قَوْمًا آخَرِينَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا "حُضُورُ"، وَهِيَ وَ"سُحُولُ" قَرْيَتَانِ بِالْيَمَنِ، تُنْسَبُ إِلَيْهِمَا الثِّيَابُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: "كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي ثَوْبَيْنِ سُحُولِيَّيْنِ".

وَرُوِيَ: "حُضُورِيَّيْنِ"؛ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا فَقَتَلُوهُ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُخْتُنَصَّرَ كَمَا سَلَّطَهُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَاسْتَأْصَلَهُمْ.

وَرُوِيَ: أَنَّهُمْ لَمَّا أَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ وَنَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: يَا لَثَارَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، نَدِمُوا وَاعْتَرَفُوا بِالْخَطَأِ؛ وَذَلِكَ حِينَ لَمْ يَنْفَعْهُمُ النَّدَمُ، وَظَاهِرُ الْآيَةِ عَلَى الْكَثْرَةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة الزُّخْرُفَ، الآية 4.

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

وَلَعَلَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ذَكَرَ "حُضُورَ" بِأَنَّهَا إِحْدَى الْقُرَى الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَلَمَّا عَلِمُوا شِدَّةَ عَذَابِنَا وَبَطْشَتَنَا عِلْمَ حِسٍّ وَمُشَاهَدَةٍ، لَمْ يَشُكُّوا فِيهَا، رَكَضُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَالرَّكْضُ: ضَرْبُ الدَّابَّةِ بِالرِّجْلِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–:﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[1]، فَيَجُوزُ أَنْ يَرْكَبُوا دَوَابَّهُمْ يَرْكُضُونَهَا هَارِبِينَ مُنْهَزِمِينَ مِنْ قَرْيَتِهِمْ لَمَّا أَدْرَكَتْهُمْ مُقَدِّمَةُ الْعَذَابِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُشَبَّهُوا فِي سُرْعَةِ عَدْوِهِمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ بِالرَّاكِبِينَ الرَّاكِضِينَ لِدَوَابِّهِمْ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾[2]، وَالْقَوْلُ مَحْذُوفٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَنِ الْقَائِلُ؟

قُلْتُ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مَنْ ثَمَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يَجْعَلُوا خُلَفَاءَ بِأَنْ يُقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يُقَلْ. أَوْ يَقُولُهُ رَبُّ الْعِزَّةِ وَيَسْمَعُهُ مَلَائِكَتُهُ لِيَنْفَعَهُمْ فِي دِينِهِمْ، أَوْ يُلْهِمُهُمْ ذَلِكَ فَيُحَدِّثُوا بِهِ نُفُوسَهُمْ.

﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾[3] مِنَ الْعَيْشِ الرَّافِهِ وَالْحَالِ النَّاعِمَةِ. وَالْإِتْرَافُ: إِبْطَارُ النِّعْمَةِ وَهِيَ التُّرْفَةُ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾[4]: تَهَكُّمٌ بِهِمْ وَتَوْبِيخٌ، أَيِ: ارْجِعُوا إِلَى نَعِيمِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ غَدًا عَمَّا جَرَى عَلَيْكُمْ وَنَزَلَ بِأَمْوَالِكُمْ وَمَسَاكِنِكُمْ ، فَتُجِيبُوا السَّائِلَ عَنْ عِلْمٍ وَمُشَاهَدَةٍ، أَوِ ارْجِعُوا وَاجْلِسُوا كَمَا كُنْتُمْ فِي مَجَالِسِكُمْ، وَتَرَتَّبُوا فِي مَرَاتِبِكُمْ حَتَّى يَسْأَلَكُمْ عَبِيدُكُمْ وَحَشَمُكُمْ وَمَنْ تَمْلِكُونَ أَمْرَهُ وَيَنْفُذُ فِيهِ أَمْرُكُمْ وَنَهْيُكُمْ وَيَقُولُ لَكُمْ: بِمَ تَأْمُرُونَ؟ وَبِمَاذَا تَرْسُمُونَ؟ وَكَيْفَ نَأْتِي وَنَذَرُ كَعَادَةِ الْمُنَعَّمِينَ الْمُخْدَمِينَ؟ أَوْ يَسْأَلُكُمُ النَّاسُ فِي أَنْدِيَتِكُمُ الْمَعَاوِنَ فِي نَوَازِلِ الْخُطُوبِ، وَيَسْتَشِيرُونَكُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ وَالْعَوَارِضِ وَيَسْتَشْفُونَ بِتَدَابِيرِكُمْ، وَيَسْتَضِيئُونَ بِآرَائِكُمْ، أَوْ يَسْأَلُكُمُ الْوَافِدُونَ عَلَيْكُمْ وَالطُّمَّاعُ وَيَسْتَمْطِرُونَ سَحَائِبَ أَكُفِّكُمْ، وَيَمْتَرُونَ أَخْلَافَ مَعْرُوفِكُمْ وَأَيَادِيكُمْ: إِمَّا لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَسْخِيَاءَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَطَلَبَ الثَّنَاءِ، أَوْ كَانُوا بُخَلَاءَ؛ فَقِيلَ لَهُمْ: ذَلِكَ تَهَكُّمًا إِلَى تَهَكُّمٍ، وَتَوْبِيخًا إِلَى تَوْبِيخٍ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

﴿تِلْكَ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى يَا وَيْلَنَا؛ لِأَنَّهَا دَعْوَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ الدَّعْوَى، ﴿دَعْوَاهُمْ﴾[1]: وَالدَّعْوَى بِمَعْنَى: الدَّعْوَةِ؛ قَالَ –تَعَالَى–: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ سُمِّيَتْ دَعْوَى؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْمُوَلْوِلَ كَأَنَّهُ يَدْعُو الْوَيْلَ، فَيَقُولُ: يَا وَيْلُ فَهَذَا وَقْتُكَ.

وَ﴿تِلْكَ﴾[3]: مَرْفُوعٌ أَوْ مَنْصُوبٌ اسْمًا أَوْ خَبَرًا وَكَذَلِكَ دَعْوَاهُمْ، الْحَصِيدُ: الزَّرْعُ الْمَحْصُودُ، أَيْ: جَعَلْنَاهُمْ مِثْلَ الْحَصِيدِ، شَبَّهَهُمْ بِهِ فِي اسْتِئْصَالِهِمْ وَاصْطِلَامِهِمْ، كَمَا تَقُولُ: جَعَلْنَاهُمْ رَمَادًا، أَيْ: مِثْلَ الرَّمَادِ، وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ هُوَ الَّذِي كَانَ مُبْتَدَأً وَالْمَنْصُوبَانِ بَعْدَهُ كَانَا خَبَرَيْنِ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا جَعَلَ نَصَبَهَا جَمِيعًا عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَنْصِبُ ﴿جَعَلَ﴾[4]: ثَلَاثَةَ مَفَاعِيلَ؟

قُلْتُ: حُكْمُ الِاثْنَيْنِ الْآخَرَيْنِ حُكْمُ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِكَ "جَعَلْتُهُ حُلْوًا حَامِضًا": جَعَلْتُهُ جَامِعًا لِلطَّعْمَيْنِ، وَكَذَلِكَ مَعْنَى ذَلِكَ: جَعَلْنَاهُمْ جَامِعِينَ لِمُمَاثَلَةِ الْحَصِيدِ وَالْخُمُودِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[5]

أَيْ: وَمَا سَوَّيْنَا هَذَا السَّقْفَ الْمَرْفُوعَ وَهَذَا الْمِهَادَ الْمَوْضُوعَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَصْنَافِ الْخَلَائِقِ مَشْحُونَةً بِضُرُوبِ الْبَدَائِعِ وَالْعَجَائِبِ، كَمَا تُسَوِّي الْجَبَابِرَةُ سُقُوفَهُمْ وَفُرُشَهُمْ وَسَائِرَ زَخَارِفِهِمْ، لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ؛ وَإِنَّمَا سَوَّيْنَاهَا لِلْفَوَائِدِ الدِّينِيَّةِ وَالْحِكَمِ الرَّبَّانِيَّةِ؛ لِتَكُونَ مَطَارِحَ افْتِكَارٍ وَاعْتِبَارٍ وَاسْتِدْلَالٍ وَنَظَرٍ لِعِبَادِنَا، مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ لَهُمْ بِهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي لَا تُعَدُّ

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة يُونُسَ، الآية 10.

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

وَالْمَرَافِقِ الَّتِي لَا تُحْصَى، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ السَّبَبَ فِي تَرْكِ اتِّخَاذِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَانْتِفَائِهِ عَنْ أَفْعَالِي: هُوَ أَنَّ الْحِكْمَةَ صَارِفَةٌ عَنْهُ، وَإِلَّا فَأَنَا قَادِرٌ عَلَى اتِّخَاذِهِ إِنْ كُنْتُ فَاعِلًا؛ لِأَنِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾[1]، كَقَوْلِهِ: ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾[2]، أَيْ: مِنْ جِهَةِ قُدْرَتِنَا.

وَقِيلَ: اللَّهْوُ: الْوَلَدُ بِلُغَةِ الْيَمَنِ.

وَقِيلَ: الْمَرْأَةُ.

وَقِيلَ: مِنْ لَدُنَّا، أَيْ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا مِنَ الْإِنْسِ، رَدًّا لِوِلَادَةِ الْمَسِيحِ وَعُزَيْرٍ.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3]

﴿بَلْ﴾[4]: إِضْرَابٌ عَنِ اتِّخَاذِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، وَتَنْزِيهٌ مِنْهُ لِذَاتِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: سُبْحَانَنَا أَنْ نَتَّخِذَ اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ، بَلْ مِنْ عَادَتِنَا وَمُوجِبِ حِكْمَتِنَا وَاسْتِغْنَائِنَا عَنِ الْقَبِيحِ أَنْ نُغَلِّبَ اللَّعِبَ بِالْجِدِّ، وَنَدْحَضَ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ، وَاسْتَعَارَ لِذَلِكَ الْقَذْفَ وَالدَّمْغَ؛ تَصْوِيرًا لِإِبْطَالِهِ وَإِهْدَارِهِ وَمَحْقِهِ، فَجَعَلَهُ كَأَنَّهُ جِرْمٌ صُلْبٌ كَالصَّخْرَةِ مَثَلًا، قَذَفَ بِهِ عَلَى جِرْمٍ رَخْوٍ أَجْوَفَ فَدَمَغَهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[5] بِهِ مِمَّا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَعَلَى حِكْمَتِهِ.

وَقُرِئَ: "فَيَدْمَغَهُ": بِالنَّصْبِ، وَهُوَ فِي ضَعْفِ قَوْلِهِ:

سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي لِبَنِي تَمِيمٍ وَأَلْحَقُ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا

وَقُرِئَ فَيَدْمَغُهُ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[1]

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾[2]: هُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَالْمُرَادُ: أَنَّهُمْ مُكَرَّمُونَ، مُنَزَّلُونَ –لِكَرَامَتِهِمْ عَلَيْهِ– مَنْزِلَةَ الْمُقَرَّبِينَ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَلَى طَرِيقِ التَّمْثِيلِ وَالْبَيَانِ؛ لِشَرَفِهِمْ وَفَضْلِهِمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الِاسْتِحْسَارُ مُبَالَغَةٌ فِي الْحُسُورِ، فَكَانَ الْأَبْلَغُ فِي وَصْفِهِمْ أَنْ يَنْفِيَ عَنْهُمْ أَدْنَى الْحُسُورِ.

قُلْتُ: فِي الِاسْتِحْسَارِ بَيَانُ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ يُوجِبُ غَايَةً لِحُسُورٍ وَأَقْصَاهُ، وَأَنَّهُمْ أَحِقَّاءُ لِتِلْكَ الْعِبَادَاتِ الْبَاهِظَةِ بِأَنْ يَسْتَحْسِرُوا فِيمَا يَفْعَلُونَ، أَيْ: تَسْبِيحُهُمْ مُتَّصِلٌ دَائِمٌ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِمْ، لَا يَتَخَلَّلُهُ فَتْرَةٌ بِفَرَاغٍ أَوْ شُغْلٌ آخَرُ.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأرض هُمْ يُنْشِرُونَ﴾[3]

هَذِهِ أَمِ الْمُنْقَطِعَةُ الْكَائِنَةُ بِمَعْنَى: بَلْ وَالْهَمْزَةُ، قَدْ آذَنَتْ بِالْإِضْرَابِ عَمَّا قَبْلَهَا وَالْإِنْكَارِ لِمَا بَعْدَهَا، وَالْمُنْكَرُ: هُوَ اتِّخَاذُهُمْ، ﴿آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾[4]: الْمَوْتَى.

وَلَعَمْرِي، أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ أَنْ يَنْشُرَ الْمَوْتَى بَعْضَ الْمَوَاتِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمُ اتِّخَاذَ آلِهَةٍ تَنْشُرُ وَمَا كَانُوا يَدَّعُونَ ذَلِكَ لِآلِهَتِهِمْ؟ وَكَيْفَ وَهُمْ أَبْعَدُ شَيْءٍ عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَى وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ إِقْرَارِهِمْ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– بِأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[5]،

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة لُقْمَانَ، الآية 25.

وَبِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْمَقْدُورَاتِ كُلِّهَا وَعَلَى النَّشْأَةِ الْأُولَى مُنْكِرِينَ الْبَعْثَ، وَيَقُولُونَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ قَبِيلِ الْمُحَالِ الْخَارِجِ عَنْ قُدْرَةِ الْقَادِرِ كَثَانِي الْقَدِيمِ، فَكَيْفَ يَدَّعُونَهُ لِلْجَمَادِ الَّذِي لَا يُوصَفُ بِالْقُدْرَةِ رَأْسًا؟

قُلْتُ: الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَلَكِنَّهُمْ بِادِّعَائِهِمْ لَهَا الْإِلَهِيَّةَ، يَلْزَمُهُمْ أَنْ يَدَّعُوا لَهَا الْإِنْشَارَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الِاسْمَ إِلَّا الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ، وَالْإِنْشَارُ مِنْ جُمْلَةِ الْمَقْدُورَاتِ، وَفِيهِ بَابٌ مِنَ التَّهَكُّمِ بِهِمْ وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّجْهِيلِ، وَإِشْعَارٌ بِأَنَّ مَا اسْتَبْعَدُوهُ مِنَ اللَّهِ لَا يَصِحُّ اسْتِبْعَادُهُ؛ لِأَنَّ الْإِلَهِيَّةَ لَمَّا صَحَّتْ صَحَّ مَعَهَا الِاقْتِدَارُ عَلَى الْإِبْدَاءِ وَالْإِعَادَةِ.

وَنَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾[1]: قَوْلُكَ: فُلَانٌ مِنْ مَكَّةَ أَوْ مِنَ الْمَدِينَةِ، تُرِيدُ: مَكِّيٌّ أَوْ مَدَنِيٌّ، وَمَعْنَى نِسْبَتِهَا إِلَى الأرض: الْإِيذَانُ بِأَنَّهَا الْأَصْنَامُ الَّتِي تُعْبَدُ فِي الأرض؛ لِأَنَّ الْآلِهَةَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَرْضِيَّةٌ، وَسَمَاوِيَّةٌ؛ وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ الْأَمَةِ الَّتِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَيْنَ رَبُّكِ؟" فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: "إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ"؛ لِأَنَّهُ فَهِمَ مِنْهَا أَنَّ مُرَادَهَا نَفْيُ الْآلِهَةِ الأرضيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْنَامُ، لَا إِثْبَاتُ السَّمَاءِ مَكَانًا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ آلِهَةٌ مِنْ جِنْسِ الأرض؛ لِأَنَّهَا إِمَّا أَنْ تُنْحَتَ مِنْ بَعْضِ الْحِجَارَةِ، أَوْ تُعْمَلَ مِنْ بَعْضِ جَوَاهِرِ الأرض.

فَإِنْ قُلْتَ: لَا بُدَّ مِنْ نُكْتَةٍ فِي قَوْلِهِ: "هُمْ".

قُلْتُ: النُّكْتَةُ فِيهِ: إِفَادَةُ مَعْنَى الْخُصُوصِيَّةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْشَارِ إِلَّا هُمْ وَحْدَهُمْ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "يُنْشِرُونَ"، وَهُمَا لُغَتَانِ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَوْتَى، وَنَشَرَهَا، وُصِفَتْ آلِهَةٌ بِإِلَّا كَمَا تُوصَفُ بِغَيْرِ، لَوْ قِيلَ: آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَنْعَكَ مِنَ الرَّفْعِ عَلَى الْبَدَلِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ ﴿لَوْ﴾[1] بِمَنْزِلَةِ: "إِنَّ" فِي أَنَّ الْكَلَامَ مَعَهُ مُوجَبٌ، وَالْبَدَلُ لَا يَسُوغُ إِلَّا فِي الْكَلَامِ غَيْرِ الْمُوجِبِ؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-:﴿ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا امْرَأَتَكَ﴾[2]؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَعَمَّ الْعَامِّ يَصِحُّ نَفْيُهُ وَلَا يَصِحُّ إِيجَابُهُ.

وَالْمَعْنَى: لَوْ كَانَ يَتَوَلَّاهُمَا وَيُدَبِّرُ أَمْرَهُمَا آلِهَةٌ شَتَّى غَيْرَ الْوَاحِدِ الَّذِي هُوَ فَاطِرُهُمَا، لَفَسَدَتَا، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَمْرَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: وُجُوبُ أَنْ لَا يَكُونَ مُدَبِّرُهُمَا إِلَّا وَاحِدًا.

- وَالثَّانِي: أَلَا يَكُونَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ إِلَّا إِيَّاهُ وَحْدَهُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾[3].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ وَجَبَ الْأَمْرَانِ؟

قُلْتُ: لِعِلْمِنَا أَنَّ الرَّعِيَّةَ تَفْسُدُ بِتَدْبِيرِ الْمَلِكَيْنِ لِمَا يَحْدُثُ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّغَالُبِ وَالتَّنَاكُرِ وَالِاخْتِلَافِ.

وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حِينَ قُتِلَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْدَقُ: كَانَ -وَاللَّهُ أَعَزُّ- عَلَيَّ مِنْ دَمِ نَاظِرِيَّ، وَلَكِنْ لَا يَجْتَمِعُ فَحْلَانِ فِي شَوْلٍ، وَهَذَا ظَاهِرٌ.

وَأَمَّا طَرِيقَةُ التَّمَانُعِ فَلِمُتَكَلِّمِينَ فِيهَا تَجَاوُلٌ وَطِرَادٌ، وَلِأَنَّ هَذِهِ الْأَفْعَالَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ الذَّاتِ الْمُتَمَيِّزَةِ، بِتِلْكَ الصِّفَاتِ حَتَّى تَثْبُتَ وَتَسْتَقِرَّ.

﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[4]

إِذَا كَانَتْ عَادَةُ الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ أَلَّا يَسْأَلَهُمْ مَنْ فِي مَمْلَكَتِهِمْ عَنْ أَفْعَالِهِمْ وَعَمَّا يُورِدُونَ وَيُصْدِرُونَ مِنْ تَدْبِيرِ مُلْكِهِمْ؛ تَهَيُّبًا وَإِجْلَالًا، مَعَ جَوَازِ الْخَطَأِ وَالزَّلَلِ وَأَنْوَاعِ الْفَسَادِ عَلَيْهِمْ -كَانَ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ أَوْلَى بِأَلَّا يُسْأَلَ عَنْ أَفْعَالِهِ، مَعَ مَا عُلِمَ وَاسْتَقَرَّ فِي الْعُقُولِ مِنْ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ كُلُّهُ مَفْعُولٌ بِدَوَاعِي الْحِكْمَةِ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ،

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة هُودَ، الآية 91.

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

وَلَا فِعْلُ الْقَبَائِحِ، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1]، أَيْ: هُمْ مَمْلُوكُونَ مُسْتَعْبَدُونَ خَطَّاؤُونَ، فَمَا خَلَقَهُمْ بِأَنْ يُقَالَ لَهُمْ: لِمَ فَعَلْتُمْ؟ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[2]

كَرَّرَ:﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾[3]: اسْتِفْظَاعًا لِشَأْنِهِمْ، وَاسْتِعْظَامًا لِكُفْرِهِمْ، أَيْ: وَصَفْتُمُ اللَّهَ –تَعَالَى– بِأَنَّ لَهُ شَرِيكًا، فَهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ عَلَى ذَلِكَ: إِمَّا مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ، وَإِمَّا مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَجِدُونَ كِتَابًا مِنْ كُتُبِ الْأَوَّلِينَ إِلَّا وَتَوْحِيدُ اللَّهِ وَتَنْزِيهُهُ عَنِ الْأَنْدَادِ مَدْعُوٌّ إِلَيْهِ، وَالْإِشْرَاكُ بِهِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ مُتَوَعَّدٌ عَلَيْهِ، أَيْ: ﴿هَذَا﴾[4]: الْوَحْيُ الْوَارِدُ فِي مَعْنَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَنَفْيِ الشُّرَكَاءِ عَنْهُ، كَمَا وَرَدَ عَلَيَّ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، فَهُوَ ذِكْرٌ، أَيْ: عِظَةٌ لِلَّذِينِ مَعِي، يَعْنِي: أُمَّتَهُ، وَذِكْرٌ لِلَّذِينِ مِنْ قَبْلِي: يُرِيدُ أُمَمَ الْأَنْبِيَاءِ –عَلَيْهِمُ السَّلَامُ–.

وَقُرِئَ: "ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي: "بِالتَّنْوِينِ، وَمَنْ مَفْعُولٌ مَنْصُوبٌ بِالذِّكْرِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾[5]، وَهُوَ الْأَصْلُ وَالْإِضَافَةُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى الْمَفْعُولِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[6].

وَقُرِئَ: "مَنْ مَعِي"، وَ"مَنْ قَبْلِي": عَلَى مَنِ الْإِضَافِيَّةِ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، وَإِدْخَالُ الْجَارِّ عَلَى "مَعَ" غَرِيبٌ.

وَالْعُذْرُ فِيهِ: أَنَّهُ اسْمٌ هُوَ ظَرْفٌ؛ نَحْوَ: قَبْلُ، وَبَعْدُ، وَعِنْدَ، وَلَدُنْ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ: "مَنْ" كَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَخَوَاتِهِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة الْبَلَدَ، الآيتان 14–15 .

[6] سورة الرُّومَ، الآيتان 2–3.

وَقُرِئَ: "ذِكْرٌ مَعِي وَذِكْرٌ قَبْلِي"، كَأَنَّهُ قِيلَ: بَلْ عِنْدَهُمْ مَا هُوَ أَصْلُ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ كُلِّهِ وَهُوَ: الْجَهْلُ وَفَقْدُ الْعِلْمِ، وَعَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ فَمِنْ ثَمَّ جَاءَ هَذَا الْإِعْرَاضُ، وَمِنْ هُنَاكَ وَرَدَ هَذَا الْإِنْكَارُ.

وَقُرِئَ: "الْحَقُّ": بِالرَّفْعِ، عَلَى تَوْسِيطِ التَّوْكِيدِ بَيْنَ السَّبَبِ وَالْمُسَبِّبِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ إِعْرَاضَهُمْ بِسَبَبِ الْجَهْلِ هُوَ الْحَقُّ لَا الْبَاطِلُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَنْصُوبُ أَيْضًا– عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، كَمَا تَقُولُ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ الْحَقُّ لَا الْبَاطِلُ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[1]

﴿يُوحَى﴾[2]، وَنُوحِي: مَشْهُورَتَانِ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ مُقَرِّرَةٌ لِمَا سَبَقَهَا مِنْ آيِ التَّوْحِيدِ.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[3]

نَزَلَتْ فِي خُزَاعَةَ، حَيْثُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ، نَزَّهَ ذَاتَهُ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ عِبَادٌ وَالْعُبُودِيَّةُ تُنَافِي الْوِلَادَةَ، إِلَّا أَنَّهُمْ: ﴿مُكْرَمُونَ﴾[4]: مُقَرَّبُونَ عِنْدِي مُفَضَّلُونَ عَلَى سَائِرِ الْعِبَادِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالٍ وَصِفَاتٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمْ، فَذَلِكَ هُوَ الَّذِي غَرَّ مِنْهُمْ

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ أَوْلَادِي -تَعَالَيْتُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا- وَقُرِئَ: "مُكَرَّمُونَ"، وَ"لَا يَسْبِقُونَهُ": بِالضَّمِّ، مِنْ: سَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ أَسْبِقُهُ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ قَوْلَهُ وَلَا يَقُولُونَ شَيْئًا حَتَّى يَقُولَهُ، فَلَا يَسْبِقُ قَوْلُهُمْ قَوْلَهُ، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِمْ، فَأُنِيبَ اللَّامُ مَنَابَ الْإِضَافَةِ، أَيْ: لَا يَتَقَدَّمُونَ قَوْلَهُ بِقَوْلِهِمْ، كَمَا تَقُولُ: سَبَقْتُ بِفَرَسِي فَرَسَهُ، وَكَمَا أَنَّ قَوْلَهُمْ تَابِعٌ لِقَوْلِهِ، فَعَمَلُهُمْ -أَيْضًا- كَذَلِكَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَمْرِهِ: لَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا مَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِهِ، وَجَمِيعُ مَا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مِمَّا قَدَّمُوا وَأَخَّرُوا بِعَيْنِ اللَّهِ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ فَلِإِحَاطَتِهِمْ بِذَلِكَ يَضْبُطُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُرَاعُونَ أَحْوَالَهُمْ، وَيُعَمِّرُونَ أَوْقَاتَهُمْ، وَمِنْ تَحَفُّظِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَجْسُرُونَ أَنْ يَشْفَعُوا إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَأَهَّلَهُ لِلشَّفَاعَةِ فِي ازْدِيَادِ الثَّوَابِ وَالتَّعْظِيمِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَعَ هَذَا كُلِّهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، ﴿مُشْفِقُونَ﴾[1]، أَيْ: مُتَوَقِّعُونَ مِنْ أَمَارَةٍ ضَعِيفَةٍ، كَائِنُونَ عَلَى حَذَرٍ وَرَقَبَةٍ لَا يَأْمَنُونَ مَكْرَ اللَّهِ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ سَاقِطًا كَالْحِلْسِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَفَ كَرَامَتَهُمْ عَلَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَفْعَالَ السَّنِيَّةَ وَالْأَعْمَالَ الْمُرْضِيَةَ.

فَاجَأَ بِالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، وَأَنْذَرَ بِعَذَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ إِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّمْثِيلِ، مَعَ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، قَصَدَ بِذَلِكَ تَفْظِيعَ أَمْرِ الشِّرْكِ، وَتَعْظِيمَ شَأْنِ التَّوْحِيدِ.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]

قُرِئَ: "أَلَمْ يَرَوْا": بِغَيْرِ وَاوٍ، وَ"رَتْقًا": بِفَتْحِ التَّاءِ، وَكِلَاهُمَا فِي مَعْنَى الْمَفْعُولِ، كَالْخَلْقِ وَالنَّقْضِ، أَيْ: كَانَتَا مَرْتُوقَتَيْنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الرَّتْقُ صَالِحٌ أَنْ يَقَعَ مَوْقِعَ مَرْتُوقَتَيْنِ، لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ، فَمَا بَالُ الرَّتْقِ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة الْأَنْعَام، الآية 8.

[3] سورة طَهَ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ عَلَى تَقْرِيرِ مَوْصُوفٍ، أَيْ: كَانَتَا شَيْئًا رَتْقًا.

وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ لَاصِقَةً بِالأرض لَا فَضَاءَ بَيْنَهُمَا. أَوْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ مُتَلَاصِقَاتٍ، وَكَذَلِكَ الأرضونَ لَا فُرَجَ بَيْنَهَا فَفَتَقَهَا اللَّهُ وَفَرَجَ بَيْنَهَا.

وَقِيلَ: فَفَتَقْنَاهَا بِالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ مَا كَانَتْ مُصْمَتَةً.

وَإِنَّمَا قِيلَ: كَانَتَا دُونَ كُنْ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ جَمَاعَةُ السَّمَاوَاتِ وَجَمَاعَةُ الأرض؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ: لَقَاحَانِ سَوْدَاوَانِ، أَيْ: جَمَاعَتَانِ، فَعَلَ فِي الْمُضْمَرِ نَحْوَ مَا فَعَلَ فِي الْمُظْهَرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَتَى رَأَوْهُمَا رَتْقًا حَتَّى جَاءَ تَقْرِيرُهُمْ بِذَلِكَ؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ.

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ وَارِدٌ فِي الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ مُعْجِزَةٌ فِي نَفْسِهِ، فَقَامَ مَقَامَ الْمَرْئِيِّ الْمُشَاهَدِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ تَلَاصُقَ الأرض وَالسَّمَاءِ وَتَبَايُنَهُمَا كِلَاهُمَا جَائِزٌ فِي الْعَقْلِ، فَلَا بُدَّ لِلتَّبَايُنِ دُونَ التَّلَاصُقِ مِنْ مُخَصِّصٍ وَهُوَ الْقَدِيمُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَجَعَلْنَا﴾[1]: لَا يَخْلُو أَنْ يَتَعَدَّى إِلَى وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ، فَإِنْ تَعَدَّى إِلَى وَاحِدٍ.

فَالْمَعْنَى: خَلَقْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ حَيَوَانٍ؛ كَقَوْلِهِ:﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[2]، أَوْ كَأَنَّمَا خَلَقْنَاهُ مِنَ الْمَاءِ؛ لِفَرْطِ احْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ وَحُبِّهِ لَهُ وَقِلَّةِ صَبْرِهِ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-:﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[3]، وَإِنْ تَعَدَّى إِلَى اثْنَيْنِ فَالْمَعْنَى: صَيَّرْنَا كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ؛ بِسَبَبٍ مِنَ الْمَاءِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ.

وَ﴿مِنْ﴾[4] هَذَا؛ نَحْوَ: "مِنْ" فِي قَوْلِهِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: "مَا أَنَا مِنْ دَدٍ وَلَا الدَّدُ مِنِّي".

وَقُرِئَ: "حَيًّا"، وَهُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي، وَالظَّرْفُ لَغْوٌ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة النُّورَ، الآية 45.

[3] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 37.

[4] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَجَعَلْنَا فِي الأرض رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[1]

أَيْ كَرَاهَةَ: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾[2]، وَتَضْطَرِبَ، أَوْ لِئَلَّا تَمِيدَ بِهِمْ، فَحُذِفَ "لَا"، وَاللَّامُ؛ وَإِنَّمَا جَازَ حَذْفُ: "لَا"؛ لِعَدَمِ الِالْتِبَاسِ، كَمَا تُزَادُ لِذَلِكَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿لِئَلا يَعْلَمَ﴾[3]، وَهَذَا مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ الْفَجُّ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فِي الْفِجَاجِ مَعْنَى: الْوَصْفِ، فَمَا لَهَا قُدِّمَتْ عَلَى السُّبُلِ وَلَمْ تُؤَخَّرْ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا﴾[4].

قُلْتُ: لَمْ تُقَدَّمْ وَهِيَ صِفَةٌ، وَلَكِنْ جُعِلَتْ حَالًا، كَقَوْلِهِ:

لِعَزَّةَ مُوحِشًا طَلَلٌ قَدِيمُ

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى؟

قُلْتُ: أَحَدُهُمَا: الْإِعْلَامُ بِأَنَّهُ جَعَلَ فِيهَا طُرُقًا وَاسِعَةً، وَالثَّانِي: بِأَنَّهُ حِينَ خَلَقَهَا خَلَقَهَا عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، هُوَ بَيَانٌ لِمَا أُبْهِمَ ثَمَّةَ، مَحْفُوظًا حَفِظَهُ بِالْإِمْسَاكِ بِقُدْرَتِهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأرض وَيَتَزَلْزَلَ، أَوْ بِالشُّهُبِ عَنْ تَسَمُّعِ الشَّيَاطِينِ عَلَى سُكَّانِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

﴿عَنْ آيَاتِهَا﴾[5]، أَيْ: عَمَّا وَضَعَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ وَالْعِبَرِ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَسَائِرِ النَّيِّرَاتِ، وَمَسَايِرِهَا وَطُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا، عَلَى الْحِسَابِ الْقَوِيمِ وَالتَّرْتِيبِ الْعَجِيبِ، الدَّالِّ عَلَى الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَأَيُّ جَهْلٍ أَعْظَمُ مِنْ جَهْلِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمْ يَذْهَبْ بِهِ وَهْمُهُ إِلَى تَدَبُّرِهَا، وَالِاعْتِبَارِ بِهَا، وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَى عَظَمَةِ شَأْنِ مَنْ أَوْجَدَهَا عَنْ عَدَمٍ، وَدَبَّرَهَا وَنَصَبَهَا هَذِهِ النَّصْبَةَ، وَأَوْدَعَهَا مَا أَوْدَعَهَا مِمَّا لَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلَّا هُوَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ وَلَطُفَ عِلْمُهُ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة الْحَدِيدَ، الآية 29.

[4] سورة نُوحَ، الآية 20.

[5] سورة طَهَ، الآية .

وَقُرِئَ: "عَنْ آيَتِهَا": عَلَى التَّوْحِيدِ: اكْتِفَاءً بِالْوَاحِدَةِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْجِنْسِ، أَيْ: هُمْ مُتَفَطِّنُونَ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ، كَالِاسْتِضَاءَةِ بِقَمَرَيْهَا، وَالِاهْتِدَاءِ بِكَوَاكِبِهَا، وَحَيَاةِ الأرض وَالْحَيَوَانِ بِأَمْطَارِهَا، وَهُمْ عَنْ كَوْنِهَا آيَةً بَيِّنَةً عَلَى الْخَالِقِ: ﴿مُعْرِضُونَ﴾[1].

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]

﴿كُلٌّ﴾[3]: التَّنْوِينُ فِيهِ: عِوَضٌ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، أَيْ: كُلُّهُمْ، ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4]: وَالضَّمِيرُ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْمُرَادُ بِهِمَا: جِنْسُ الطَّوَالِعِ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؛ جَعَلُوهَا مُتَكَاثِرَةً لِتَكَاثُرِ مَطَالِعِهَا، وَهُوَ السَّبَبُ فِي جَمْعِهِمَا بِالشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ، وَإِلَّا فَالشَّمْسُ وَاحِدَةٌ وَالْقَمَرُ وَاحِدٌ.

وَإِنَّمَا جَعَلَ الضَّمِيرَ وَاوَ الْعُقَلَاءِ لِلْوَصْفِ بِفِعْلِهِمْ، وَهُوَ السِّبَاحَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: الْجُمْلَةُ مَا مَحَلُّهَا؟

قُلْتُ: مَحَلُّهَا: النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اسْتَبَدَّ بِهِمَا دُونَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِنَصْبِ الْحَالِ عَنْهُمَا؟

قُلْتُ: كَمَا تَقُولُ: رَأَيْتُ زَيْدًا وَهِنْدًا مُتَبَرِّجَةً وَنَحْوُ ذَلِكَ، إِذَا جِئْتَ بِصِفَةٍ يَخْتَصُّ بِهَا بَعْضُ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْعَامِلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى– فِي هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾[5]، أَوْ لَا مَحَلَّ لَهَا لِاسْتِئْنَافِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَمَرَيْنِ فَلَكٌ عَلَى حِدَةٍ، فَكَيْفَ قِيلَ: جَمِيعُهُمْ يَسْبَحُونَ فِي فَلَكٍ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 72.

قُلْتُ: هَذَا كَقَوْلِهِمْ: "كَسَاهُمُ الْأَمِيرُ حُلَّةً وَقَلَّدَهُمْ سَيْفًا"، أَيْ: كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، أَوْ كَسَاهُمْ وَقَلَّدَهُمْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ، فَاكْتَفَى بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْجِنْسِ اخْتِصَارًا؛ وَلِأَنَّ الْغَرَضَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْجِنْسِ.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1]

كَانُوا يُقَدِّرُونَ أَنَّهُ سَيَمُوتُ فَيَشْمَتُونَ بِمَوْتِهِ، فَنَفَى اللَّهُ -تَعَالَى- عَنْهُ الشَّمَاتَةَ بِهَذَا، أَيْ: قَضَى اللَّهُ أَنْ لَا يُخَلِّدَ فِي الدُّنْيَا بَشَرًا، فَلَا أَنْتَ وَلَا هُمْ إِلَّا عُرْضَةٌ لِلْمَوْتِ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنْ مُتَّ أَنْتَ أَيَبْقَى هَؤُلَاءِ؟

وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُ الْقَائِلِ:

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا: أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

أَيْ: نَخْتَبِرُكُمْ بِمَا يَجِبُ فِيهِ الصَّبْرُ مِنَ الْبَلَايَا، وَبِمَا يَجِبُ فِيهِ الشُّكْرُ مِنَ النِّعَمِ، وَإِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُجَازِيكُمْ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجَدُ مِنْكُمْ مِنَ الصَّبْرِ أَوِ الشُّكْرِ؛ وَإِنَّمَا سَمَّى ذَلِكَ ابْتِلَاءً وَهُوَ عَالِمٌ بِمَا سَيَكُونُ مِنْ أَعْمَالِ الْعَامِلِينَ قَبْلَ وُجُودِهِمْ؛ لِأَنَّهُ فِي صُورَةِ الِاخْتِبَارِ، وَ﴿فِتْنَةً﴾[2]: مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِنَبْلُوَكُمْ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ.

﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[3]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

الذِّكْرُ يَكُونُ بِخَيْرٍ وَبِخِلَافِهِ، فَإِذَا دَلَّتِ الْحَالُ عَلَى أَحَدِهِمَا، أُطْلِقَ وَلَمْ يُقَيَّدْ؛ كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: سَمِعْتُ فُلَانًا يَذْكُرُكَ، فَإِنْ كَانَ الذَّاكِرُ صَدِيقًا فَهُوَ ثَنَاءٌ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا فَذَمٌّ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾[2].

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ عَاكِفُونَ عَلَى ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ بِهِمَمِهِمْ وَمَا يَجِبُ أَنْ لَا تُذْكَرَ بِهِ، مِنْ كَوْنِهِمْ شُفَعَاءَ وَشُهَدَاءَ، وَيَسُوءُهُمْ أَنْ يَذْكُرَهَا ذَاكِرٌ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُذْكَرَ بِهِ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ؛ فَهُمْ بِهِ كَافِرُونَ، لَا يُصَدِّقُونَ بِهِ أَصْلًا فَهُمْ أَحَقُّ بِأَنْ يُتَّخَذُوا هُزُؤًا مِنْكَ، فَإِنَّكَ مُحِقٌّ وَهُمْ مُبْطِلُونَ.

وَقِيلَ: مَعْنَى: ﴿بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾[3] قَوْلُهُمْ: مَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا مُسَيْلِمَةَ، وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾[4].

وَقِيلَ: ﴿بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾[5]: بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: يَتَّخِذُونَكَ هُزُؤًا، وَهُمْ عَلَى حَالٍ هِيَ أَصْلُ الْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، وَهِيَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ.

﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[6]

---

[1] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 60.

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ عَذَابَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ الْمُلْجِئَةَ إِلَى الْعِلْمِ وَالْإِقْرَارِ، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾[1]، فَأَرَادَ نَهْيَهُمْ عَنِ الِاسْتِعْجَالِ وَزَجْرَهُمْ، فَقَدَّمَ أَوَّلًا ذَمَّ الْإِنْسَانِ عَلَى إِفْرَاطِ الْعَجَلَةِ، وَأَنَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَهَاهُمْ وَزَجَرَهُمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ بِبِدْعٍ مِنْكُمْ أَنْ تَسْتَعْجِلُوا؛ فَإِنَّكُمْ مَجْبُولُونَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ طَبْعُكُمْ وَسَجِيَّتُكُمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَنَّهُ أَرَادَ بِالْإِنْسَانِ آدَمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَأَنَّهُ حِينَ بَلَغَ الرُّوحُ صَدْرَهُ وَلَمْ يَتَبَالَغْ فِيهِ أَرَادَ أَنْ يَقُومَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ الرُّوحُ فِي عَيْنِهِ نَظَرَ إِلَى ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَلَمَّا دَخَلَ جَوْفَهُ اشْتَهَى الطَّعَامَ.

وَقِيلَ: خَلَقَهُ اللَّهُ –تَعَالَى– فِي آخِرِ النَّهَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأَسْرَعَ فِي خَلْقِهِ قَبْلَ مَغِيبِهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ.

وَالظَّاهِرُ: أَنَّ الْمُرَادَ الْجِنْسُ.

وَقِيلَ: "الْعَجَلُ": الطِّينُ، بِلُغَةِ حِمْيَرَ.

وَقَالَ شَاعِرُهُمْ:

وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نَهَاهُمْ عَنِ الِاسْتِعْجَالِ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[2]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا﴾[3]، أَلَيْسَ هَذَا مِنْ تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ؟

قُلْتُ: هَذَا كَمَا رُكِّبَ فِي الشَّهْوَةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْلِبَهَا؛ لِأَنَّهُ أَعْطَاهُ الْقُدْرَةَ الَّتِي يَسْتَطِيعُ بِهَا قَمْعَ الشَّهْوَةِ وَتَرْكَ الْعَجَلَةِ.

وَقُرِئَ: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ".

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[1]

جَوَابُ ﴿لَوْ﴾ [2]مَحْذُوفٌ، وَ﴿حِينَ﴾[3]: مَفْعُولٌ بِهِ لِيَعْلَمَ، أَيْ: لَوْ يَعْلَمُونَ الْوَقْتَ الَّذِي يَسْتَعْلِمُونَ عَنْهُ بِقَوْلِهِمْ:﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾[4]، وَهُوَ وَقْتٌ صَعْبٌ شَدِيدٌ تُحِيطُ بِهِمْ فِيهِ النَّارُ مِنْ وَرَاءٍ وَقُدَّامٍ، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهَا وَمَنْعِهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ نَاصِرًا يَنْصُرُهُمْ؛ لَمَّا كَانُوا بِتِلْكَ الصِّفَةِ مِنَ الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالِاسْتِعْجَالِ، وَلَكِنَّ جَهْلَهُمْ بِهِ هُوَ الَّذِي هَوَّنَهُ عِنْدَهُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿يَعْلَمُ﴾ [5]مَتْرُوكًا بِلَا تَعْدِيَةٍ، بِمَعْنَى: لَوْ كَانَ مَعَهُمْ عِلْمٌ وَلَمْ يَكُونُوا جَاهِلِينَ لَمَا كَانُوا مُسْتَعْجِلِينَ، وَحِينَ: مَنْصُوبٌ بِمُضْمَرٍ، أَيْ: حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ: يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْبَاطِلِ وَيَنْتَفِي عَنْهُمْ هَذَا الْجَهْلُ الْعَظِيمُ، أَيْ: لَا يَكُفُّونَهَا، بَلْ تَفْجَؤُهُمْ فَتَغْلِبُهُمْ، يُقَالُ: لِلْمَغْلُوبِ فِي الْمُحَاجَّةِ: مَبْهُوتٌ؛ وَمِنْهُ: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[6]، أَيْ: غَلَبَ إِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– الْكَافِرَ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ "يَأْتِيهِمْ"، "فَيَبْهَتُهُمْ": عَلَى التَّذْكِيرِ، وَالضَّمِيرُ لِلْوَعْدِ أَوْ لِلْحِينِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِلَامَ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ الْمُؤَنَّثُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟

قُلْتُ: إِلَى النَّارِ أَوْ إِلَى الْوَعْدِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّارِ وَهِيَ الَّتِي وُعِدُوهَا أَوْ عَلَى تَأْوِيلِ الْعِدَةِ أَوِ الْمَوْعِدَةِ، أَوْ إِلَى الْحِينِ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى السَّاعَةِ، أَوْ إِلَى الْبَغْتَةِ.

وَقِيلَ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى: الضَّمِيرُ لِلسَّاعَةِ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ "بَغَتَةً": بِفَتْحِ الْغَيْنِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة الْمُلْكَ، الآية 25.

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[1]: تَذْكِيرٌ بِإِنْظَارِهِ إِيَّاهُمْ وَإِمْهَالِهِ، وَتَفْسِيحُ وَقْتِ التَّذَكُّرِ عَلَيْهِمْ، أَيْ: لَا يُمْهَلُونَ بَعْدَ طُولِ الْإِمْهَالِ.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2]

سَلَّى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ اسْتِهْزَائِهِمْ بِهِ بِأَنَّ لَهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- أُسْوَةً وَأَنَّ مَا يَفْعَلُونَهُ بِهِ يَحِيقُ بِهِمْ، كَمَا حَاقَ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- مَا فَعَلُوا.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[3]

﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾[4]، أَيْ: مِنْ بَأْسِهِ وَعَذَابِهِ.

﴿بَلْ هُمْ﴾[5]: مُعْرِضُونَ عَنْ ذِكْرِهِ لَا يُخْطِرُونَهُ بِبَالِهِمْ؛ فَضْلًا أَنْ يَخَافُوا بَأْسَهُ، حَتَّى إِذَا رُزِقُوا الْكِلَاءَةَ مِنْهُ عَرَفُوا مَنِ الْكَالِئُ وَصَلَحُوا لِلسُّؤَالِ عَنْهُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ أَمَرَ رَسُولَهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِسُؤَالِهِمْ عَنِ الْكَالِئِ، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهُمْ لَا يَصْلُحُونَ لِذَلِكَ؛ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ ذِكْرِ مَنْ يَكْلَؤُهُمْ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾[1]

ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا فِي ﴿أَمْ﴾[2] مِنْ مَعْنَى: "بَلْ"، وَقَالَ: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾[3]: مِنَ الْعَذَابِ تَتَجَاوَزُ مَنْعَنَا وَحِفْظَنَا.

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ، فَبَيَّنَ أَنَّ مَا لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى نَصْرِ نَفْسِهِ وَمَنْعِهَا، وَلَا بِمُصِحُّونَ مِنَ اللَّهِ بِالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ، كَيْفَ يَمْنَعُ غَيْرَهُ وَيَنْصُرُهُ؟

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[4]

ثُمَّ قَالَ: بَلْ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحِفْظِ وَالْكِلَاءَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنَّا، لَا مِنْ مَانِعٍ يَمْنَعُهُمْ مِنْ إِهْلَاكِنَا، وَمَا كَلَأْنَاهُمْ وَآبَاءَهُمُ الْمَاضِينَ إِلَّا تَمْتِيعًا لَهُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَإِمْهَالًا، كَمَا مَتَّعْنَا غَيْرَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَأَمْهَلْنَاهُمْ.

﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ﴾[5]: الْأَمَدُ، وَامْتَدَّتْ بِهِمْ أَيَّامُ الرَّوْحِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، فَحَسِبُوا أَلَا يُزَالُوا عَلَى ذَلِكَ لَا يُغْلَبُونَ وَلَا يُنْزَعُ عَنْهُمْ ثَوْبُ أَمْنِهِمْ وَاسْتِمْتَاعِهِمْ؛ وَذَلِكَ طَمَعٌ فَارِغٌ وَأَمَدٌ كَاذِبٌ.

﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا﴾[6]: نَنْقُصُ أَرْضَ الْكُفْرِ وَدَارَ الْحَرْبِ، وَنَحْذِفُ أَطْرَافَهَا بِتَسْلِيطِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا وَإِظْهَارِهِمْ عَلَى أَهْلِهَا وَرَدِّهَا دَارَ إِسْلَامٍ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .
[2] سورة طَهَ، الآية .
[3] سورة طَهَ، الآية .
[4] سورة طَهَ، الآية .
[5] سورة طَهَ، الآية .
[6] سورة طَهَ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَأْتِي الأَرْضَ﴾[1]؟

قُلْتُ: فِيهِ تَصْوِيرُ مَا كَانَ اللَّهُ يُجْرِيهِ عَلَى أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ عَسَاكِرَهُمْ وَسَرَايَاهُمْ كَانَتْ تَغْزُو أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ وَتَأْتِيهَا غَالِبَةً عَلَيْهَا، نَاقِصَةً مِنْ أَطْرَافِهَا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[2]

قُرِئَ: ﴿وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾[3]: "وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ": بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، أَيْ: لَا تُسْمِعُ أَنْتَ الصُّمَّ، وَلَا يُسْمِعُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلَا: يُسْمِعُ الصُّمَّ، مِنْ أَسْمَعَ.

فَإِنْ قُلْتَ: الصُّمُّ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَ الْمُبَشِّرِ كَمَا لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَ الْمُنْذِرِ، فَكَيْفَ قِيلَ: ﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[4]؟

قُلْتُ: اللَّامُ فِي الصُّمِّ إِشَارَةٌ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمُنْذَرِينَ، كَائِنَةً لِلْعَهْدِ لَا لِلْجِنْسِ، وَالْأَصْلُ: وَلَا يَسْمَعُونَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ، فَوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَصَامِّهِمْ وَسَدِّهِمْ أَسْمَاعَهُمْ إِذَا أُنْذِرُوا، أَيْ: هُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِنَ الْجَرَاءَةِ وَالْجَسَارَةِ عَلَى التَّصَامِّ مِنْ آيَاتِ الْإِنْذَارِ.

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ﴾[5]: مِنْ هَذَا الَّذِي يُنْذَرُونَ بِهِ أَدْنَى شَيْءٍ، لَأَذْعَنُوا وَذَلُّوا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حِينَ تَصَامُّوا وَأَعْرَضُوا، وَفِي الْمَسِّ وَالنَّفْحَةِ ثَلَاثُ مُبَالَغَاتٍ؛ لِأَنَّ النَّفْحَ فِي مَعْنَى الْقِلَّةِ وَالنَّزَارَةِ، يُقَالُ: نَفَحَتْهُ الدَّابَّةُ وَهُوَ رَمْحٌ يَسِيرٌ، وَنَفَحَهُ بِعَطِيَّةٍ: رَضَخَهُ، وَلِبِنَاءِ الْمَرَّةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1]

وُصِفَتِ ﴿الْمَوَازِينَ﴾[2]: بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ؛ مُبَالَغَةً، كَأَنَّهَا فِي أَنْفُسِهَا قِسْطٌ، أَوْ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: ذَوَاتُ الْقِسْطِ، وَاللَّامُ فِي ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[3]: مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: جِئْتُهُ لِخَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنَ الشَّهْرِ؛ وَمِنْهُ بَيْتُ النَّابِغَةِ:

تَرَسَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

وَقِيلَ: لِأَهْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَيْ لِأَجْلِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُرَادُ بِوَضْعِ الْمَوَازِينِ؟

قُلْتُ: فِيهِ قَوْلَانِ:

- أَحَدُهُمَا: إِرْصَادُ الْحِسَابِ السَّوِيِّ، وَالْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ الْأَعْمَالِ بِالْعَدْلِ وَالنَّصَفَةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْلِمَ عِبَادَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَمِثْلُ ذَلِكَ بِوَضْعِ الْمَوَازِينِ لِتُوزَنَ بِهَا الْمَوْزُونَاتُ.

- وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَضَعُ الْمَوَازِينَ الْحَقِيقِيَّةَ وَيَزِنُ بِهَا الْأَعْمَالَ.

عَنِ الْحَسَنِ: هُوَ مِيزَانٌ لَهُ كِفَّتَانِ وَلِسَانٌ، وَيُرْوَى: أَنَّ دَاوُدَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الْمِيزَانَ، فَلَمَّا رَآهُ غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: يَا إِلَهِي، مَنِ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَهُ حَسَنَاتٍ، فَقَالَ: يَا دَاوُدُ، إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَنْ عَبْدِي مَلَأْتُهَا بِتَمْرَةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تُوزَنُ الْأَعْمَالُ وَإِنَّمَا هِيَ أَعْرَاضٌ؟

قُلْتُ: فِيهِ قَوْلَانِ:

- أَحَدُهُمَا: تُوزَنُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ.

- وَالثَّانِي: تُجْعَلُ فِي كِفَّةِ الْحَسَنَاتِ جَوَاهِرُ بِيضٌ مُشْرِقَةٌ، وَفِي كِفَّةِ السَّيِّئَاتِ جَوَاهِرُ سُودٌ مُظْلِمَةٌ.

وَقُرِئَ: "مِثْقَالَ حَبَّةٍ" عَلَى "كَانَ" التَّامَّةِ؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[4].

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 280.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: "أَتَيْنَا بِهَا"، وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْإِتْيَانِ، بِمَعْنَى: الْمُجَازَاةِ وَالْمُكَافَأَةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَتَوْهُ بِالْأَعْمَالِ وَأَتَاهُمْ بِالْجَزَاءِ.

وَقَرَأَ حُمَيْدٌ:" أُثِبْنَا بِهَا": مِنَ الثَّوَابِ، وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ: "جِئْنَا بِهَا"، وَأُنِّثَ ضَمِيرُ الْمِثْقَالِ؛ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْحَبَّةِ؛ كَقَوْلِهِمْ: ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، أَيْ: آتَيْنَاهُمَا.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]

﴿الْفُرْقَانَ﴾[2]: وَهُوَ التَّوْرَاةُ.

"و" أَتَيْنَا بِهِ، "ضِيَاء وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ"، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ ضِيَاءٌ وَذِكْرٌ، أَوْ آتَيْنَاهُمَا بِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْمَوَاعِظِ ضِيَاءً وَذِكْرًا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: ﴿الْفُرْقَانَ﴾[3]: الْفَتْحُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[4].

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: فَلْقُ الْبَحْرِ، وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: الْمَخْرَجُ مِنَ الشُّبُهَاتِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "ضِيَاءً": بِغَيْرِ وَاوٍ: وَهُوَ حَالٌ عَنِ الْفُرْقَانِ، وَالذِّكْرُ: الْمَوْعِظَةُ، أَوْ ذِكْرُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي دِينِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، أَوِ الشَّرَفُ.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[5]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة الْأَنْفَالَ، الآية 41.

[5] سورة طَهَ، الآية .

مَحَلُّ ﴿الَّذِينَ﴾[1]: جَرٌّ عَلَى الْوَصْفِيَّةِ، أَوْ نَصْبٌ عَلَى الْمَدْحِ، أَوْ رَفْعٌ عَلَيْهِ.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[2]

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾[3]: هُوَ الْقُرْآنُ، وَبَرَكَتُهُ: كَثْرَةُ مَنَافِعِهِ، وَغَزَارَةُ خَيْرِهِ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[4]

الرُّشْدُ: الِاهْتِدَاءُ لِوُجُوهِ الصَّلَاحِ؛ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-:﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[5].

وَقُرِئَ: "رَشَدَهُ"، وَالرُّشْدُ وَالرَّشَدُ، كَالْعُدْمِ وَالْعَدَمِ.

وَمَعْنَى إِضَافَتِهِ إِلَيْهِ: أَنَّهُ رُشْدٌ مِثْلُهُ، وَأَنَّهُ رُشْدٌ لَهُ شَأْنٌ، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾[6]، أَيْ: مِنْ قَبْلِ مُوسَى وَهَارُونَ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-.

وَمَعْنَى عِلْمِهِ بِهِ: أَنَّهُ عَلِمَ مِنْهُ أَحْوَالًا بَدِيعَةً وَأَسْرَارًا عَجِيبَةً وَصِفَاتٍ قَدْ رَضِيَهَا وَأَحْمَدَهَا، حَتَّى أَهَّلَهُ لِمُخَالَّتِهِ وَمُخَالَصَتِهِ؛ وَهَذَا كَقَوْلِكَ فِي خَيْرٍ مِنَ النَّاسِ: أَنَا عَالِمٌ بِفُلَانٍ، فَكَلَامُكَ هَذَا مِنَ الِاحْتِوَاءِ عَلَى مَحَاسِنِ الْأَوْصَافِ بِمَنْزِلٍ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة النِّسَاءَ، الآية 6.

[6] سورة طَهَ، الآية .

﴿إِذْ﴾[1]: إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِآتَيْنَا، أَوْ بِرُشْدِهِ. أَوْ بِمَحْذُوفٍ، أَيِ: اذْكُرْ مِنْ أَوْقَاتِ رُشْدِهِ هَذَا الْوَقْتَ.

قَوْلُهُ: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾[2]: تَجَاهُلٌ لَهُمْ وَتَغَابٍ، لِيُحَقِّرَ آلِهَتَهُمْ وَيُصَغِّرَ شَأْنَهَا، مَعَ عِلْمِهِ بِتَعْظِيمِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ لَهَا، لَمْ يَنْوِ لِلْعَاكِفِينَ مَفْعُولًا، وَأَجْرَاهُ مَجْرَى مَا لَا يَتَعَدَّى؛ كَقَوْلِكَ: فَاعِلُونَ الْعُكُوفَ لَهَا، أَوْ وَاقِفُونَ لَهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: عَلَيْهَا عَاكِفُونَ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾[3] ؟

قُلْتُ: لَوْ قَصَدَ التَّعْدِيَةَ لَعَدَّاهُ بِصِلَتِهِ الَّتِي هِيَ "عَلَى".

مَا أَقْبَحَ التَّقْلِيدَ وَالْقَوْلَ الْمُتَقَبَّلَ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ، وَمَا أَعْظَمَ كَيْدَ الشَّيْطَانِ لِلْمُقَلِّدِينَ حِينَ اسْتَدْرَجَهُمْ إِلَى أَنْ قَلَّدُوا آبَاءَهُمْ فِي عِبَادَةِ التَّمَاثِيلِ وَعَفَّرُوا لَهَا جِبَاهَهُمْ، وَهُمْ مُعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَجَادُّونَ فِي نُصْرَةِ مَذْهَبِهِمْ، وَمُجَادِلُونَ لِأَهْلِ الْحَقِّ عَنْ بَاطِلِهِمْ، وَكَفَى أَهْلُ التَّقْلِيدِ سُبَّةً أَنَّ عَبَدَةَ الْأَصْنَامِ مِنْهُمْ.

﴿أَنْتُمْ﴾[4]: مِنَ التَّأْكِيدِ الَّذِي لَا يَصِحُّ الْكَلَامُ مَعَ الْإِخْلَالِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ عَلَى ضَمِيرٍ هُوَ فِي حُكْمِ بَعْضِ الْفِعْلِ مُمْتَنِعٌ؛ وَنَحْوُهُ: اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ، أَرَادَ أَنَّ الْمُقَلِّدِينَ وَالْمُقَلَّدِينَ جَمِيعًا، مُنْخَرِطُونَ فِي سِلْكِ ضَلَالٍ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ بِهِ أَدْنَى مِسْكَةٍ؛ لِاسْتِنَادِ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى غَيْرِ دَلِيلٍ، بَلْ إِلَى هَوًى مُتَّبَعٍ وَشَيْطَانٍ مُطَاعٍ، لِاسْتِبْعَادِهِمْ أَنْ يَكُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ ضَلَالًا.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾[5]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 138.

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

بَقُوا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ تَضْلِيلِهِ إِيَّاهُمْ، وَحَسِبُوا أَنَّ مَا قَالَهُ إِنَّمَا قَالَهُ عَلَى وَجْهِ الْمِزَاحِ وَالْمُدَاعَبَةِ، لَا عَلَى طَرِيقِ الْجَدِّ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي جِئْتَنَا بِهِ، أَهُوَ جَدٌّ وَحَقٌّ، أَمْ لَعِبٌ وَهَزْلٌ؟

﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]

الضَّمِيرُ فِي ﴿فَطَرَهُنَّ﴾[2]: لِلسَّمَاوَاتِ وَالأرض، أَوْ لِلتَّمَاثِيلِ، وَكَوْنُهُ لِلتَّمَاثِيلِ أَدْخَلُ فِي تَضْلِيلِهِمْ، وَأَثْبَتُ لِلِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ، وَشَهَادَتُهُ عَلَى ذَلِكَ: إِدْلَاؤُهُ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهِ، وَتَصْحِيحُهُ بِهَا؛ كَمَا تُصَحِّحُ الدَّعْوَى بِالشَّهَادَةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَنَا أُبَيِّنُ ذَلِكَ وَأُبَرْهِنُ عَلَيْهِ كَمَا تُبَيَّنُ الدَّعَاوَى بِالْبَيِّنَاتِ؛ لِأَنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، فَأَقُولُ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى إِثْبَاتِهِ بِالْحُجَّةِ، كَمَا لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى الِاحْتِجَاجِ لِمَذْهَبِكُمْ، وَلَمْ تَزِيدُوا عَلَى أَنَّكُمْ وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ.

﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[3]

قَرَأَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: "بِاللَّهِ".

وَقُرِئَ: "تَوَلَّوْا" بِمَعْنَى: تَتَوَلَّوْا، وَيُقَوِّيهَا قَوْلُهُ: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾[4].

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْبَاءِ وَالتَّاءِ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة الصَّافَّاتِ، الآية 90.

قُلْتُ: أَنَّ الْبَاءَ هِيَ الْأَصْلُ، وَالتَّاءُ: بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ الْمُبْدَلَةِ، مِنْهَا، وَأَنَّ التَّاءَ فِيهَا زِيَادَةُ مَعْنَى وَهُوَ التَّعَجُّبُ، كَأَنَّهُ تَعَجَّبَ مِنْ تَسَهُّلِ الْكَيْدِ عَلَى يَدِهِ وَتَأَتِّيهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا مَقْنُوطًا مِنْهُ لِصُعُوبَتِهِ وَتَعَذُّرِهِ.

وَلَعَمْرِي، إِنَّ مِثْلَهُ صَعْبٌ مُتَعَذِّرٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، خُصُوصًا فِي زَمَنِ نَمْرُوذَ مَعَ عُتُوِّهِ وَاسْتِكْبَارِهِ وَقُوَّةِ سُلْطَانِهِ وَتَهَالُكِهِ عَلَى نُصْرَةِ دِينِهِ.

وَلَكِنْ:

إِذَا اللَّهُ سَنَّى عِقْدَ شَيْءٍ تَيَسَّرَا

رُوِيَ أَنْ آزَرَ خَرَجَ بِهِ فِي يَوْمِ عِيدٍ لَهُمْ، فَبَدَؤُوا بِبَيْتِ الْأَصْنَامِ فَدَخَلُوهُ وَسَجَدُوا لَهَا، وَوَضَعُوا بَيْنَهَا طَعَامًا خَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ، وَقَالُوا: إِلَى أَنْ نَرْجِعَ بَرَكَتِ الْآلِهَةُ عَلَى طَعَامِنَا، فَذَهَبُوا وَبَقِيَ إِبْرَاهِيمُ فَنَظَرَ إِلَى الْأَصْنَامِ، وَكَانَتْ سَبْعِينَ صَنَمًا مُصْطَفَّةً، وَثَمَّ صَنَمٌ عَظِيمٌ مُسْتَقْبِلٌ الْبَابَ، وَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ فِي عَيْنَيْهِ جَوْهَرَتَانِ تُضِيئَانِ بِاللَّيْلِ، فَكَسَرَهَا كُلَّهَا بِفَأْسٍ فِي يَدِهِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْكَبِيرُ عَلَّقَ الْفَأْسَ فِي عُنُقِهِ.

عَنْ قَتَادَةَ: قَالَ ذَلِكَ سِرًّا مِنْ قَوْمِهِ، وَرُوِيَ: سَمِعَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

﴿جُذَاذًا﴾ قِطَاعًا، مِنَ الْجَذِّ وَهُوَ الْقَطْعُ.

وَقُرِئَ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ.

وَقُرِئَ: "جُذَّذًا": جَمْعُ جَذِيذٍ، وَ"جُذَذًا": جَمْعُ جُذَّةٍ، وَإِنَّمَا اسْتَبْقَى الْكَبِيرَ؛ لِأَنَّهُ غَلَبَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَّا إِلَيْهِ، لِمَا تَسَامَعُوهُ مِنْ إِنْكَارِهِ لِدِينِهِمْ وَسَبِّهِ لِآلِهَتِهِمْ، فَيُبَكِّتُهُمْ بِمَا أَجَابَ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾[1].

وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: ﴿إِلَيْهِ﴾[2]: إِلَى كَبِيرِهِمْ، وَمَعْنَى هَذَا: لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يُرْجَعُ إِلَى الْعَالِمِ فِي حَلِّ الْمُشْكِلَاتِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: مَا لِهَؤُلَاءِ مَكْسُورَةٌ وَمَا لَكَ صَحِيحًا وَالْفَأْسُ عَلَى عَاتِقِكَ؟ قَالَ: هَذَا بِنَاءً عَلَى ظَنِّهِ بِهِمْ، لِمَا جَرَّبَ وَذَاقَ مِنْ مُكَابَرَتِهِمْ لِعُقُولِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ فِي آلِهَتِهِمْ وَتَعْظِيمِهِمْ لَهَا، أَوْ قَالَهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ؛ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ وَاسْتِجْهَالًا، وَأَنَّ قِيَاسَ حَالِ مَنْ يُسْجَدُ لَهُ وَيُؤَهِّلُهُ لِلْعِبَادَةِ أَنْ يُرْجَعَ إِلَيْهِ فِي حَلِّ كُلِّ مُشْكِلٍ.

---

[1] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 63.

[2] سورة طَهَ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى الصَّنَمِ بِمُكَابَرَتِهِمْ لِعُقُولِهِمْ وَرُسُوخِ الْإِشْرَاكِ فِي أَعْرَاقِهِمْ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ دِينِيَّةٍ فِي رُجُوعِهِمْ إِلَيْهِ حَتَّى يَجْعَلَهُ إِبْرَاهِيمُ –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– غَرَضًا؟

قُلْتُ: إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ تَبَيَّنَ أَنَّهُ عَاجِزٌ لَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، وَظَهَرَ أَنَّهُمْ فِي عِبَادَتِهِ عَلَى جَهْلٍ عَظِيمٍ.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

أَيْ أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْكَسْرَ وَالْحَطْمَ لَشَدِيدُ الظُّلْمِ، مَعْدُودٌ فِي الظَّلَمَةِ: إِمَّا لِجُرْأَتِهِ عَلَى الْآلِهَةِ الْحَقِيقَةِ عِنْدَهُمْ بِالتَّوْقِيرِ وَالْإِعْظَامِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُمْ رَأَوْا إِفْرَاطًا فِي حَطْمِهَا وَتَمَادِيًا فِي الِاسْتِهَانَةِ بِهَا.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[2]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا حُكْمُ الْفِعْلَيْنِ بَعْدَ ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾[3]، وَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَهُمَا؟

قُلْتُ: هُمَا صِفَتَانِ لِفَتًى، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ، وَهُو: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ [4]لَا بُدَّ مِنْهُ لِسَمْعٍ؛ لِأَنَّكَ لَا تَقُولُ: سَمِعْتُ زَيْدًا وَتَسْكُتُ، حَتَّى تَذْكُرَ شَيْئًا مِمَّا يُسْمَعُ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَلَيْسَ كَذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿إِبْرَاهِيمُ﴾[5]، مَا هُوَ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

قُلْتُ: قِيلَ: هُوَ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَوْ مُنَادَى، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ فَاعِلٌ يُقَالُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الِاسْمُ لَا الْمُسَمَّى، ﴿عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾[1] فِي مَحَلِّ الْحَالِ، بِمَعْنَى: مُعَايَنًا مُشَاهَدًا، أَيْ: بِمَرْأًى مِنْهُمْ وَمَنْظَرٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى: الِاسْتِعْلَاءِ فِي عَلَى؟

قُلْتُ: هُوَ وَارِدٌ عَلَى طَرِيقِ الْمَثَلِ، أَيْ: يَثْبُتُ إِتْيَانُهُ فِي الْأَعْيُنِ وَيَتَمَكَّنُ فِيهَا ثَبَاتَ الرَّاكِبِ عَلَى الْمَرْكُوبِ وَتُمَكُّنَهُ مِنْهُ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[2]: عَلَيْهِ بِمَا سُمِعَ مِنْهُ، وَبِمَا فَعَلَهُ أَوْ يَحْضُرُونَ عُقُوبَتَنَا لَهُ؛ رُوِيَ أَنَّ الْخَبَرَ بَلَغَ نَمْرُوذَ وَأَشْرَافَ قَوْمِهِ، فَأَمَرُوا بِإِحْضَارِهِ.

﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[3]

هَذَا مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ، وَلِطَائِفُ هَذَا النَّوْعِ لَا يَتَغَلْغَلُ فِيهَا إِلَّا أَذْهَانُ الرَّاضَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَعَانِي، وَالْقَوْلُ فِيهِ أَنَّ قَصْدَ إِبْرَاهِيمَ –صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ– لَمْ يَكُنْ إِلَى أَنْ يَنْسُبَ الْفِعْلَ الصَّادِرَ عَنْهُ إِلَى الصَّنَمِ؛ وَإِنَّمَا قَصَدَ تَقْرِيرَهُ لِنَفْسِهِ وَإِثْبَاتَهُ لَهَا عَلَى أُسْلُوبِ تَعْرِيضِيٍّ يَبْلُغُ فِيهِ غَرَضَهُ مِنْ إِلْزَامِهِمُ الْحُجَّةَ وَتَبْكِيتِهِمْ.

وَهَذَا كَمَا لَوْ قَالَ لَكَ صَاحِبُكَ وَقَدْ كَتَبْتَ كِتَابًا بِخَطٍّ رَشِيقٍ وَأَنْتَ شَهِيرٌ بِحُسْنِ الْخَطِّ: أَأَنْتَ كَتَبْتَ هَذَا؟ وَصَاحِبُكَ أُمِّيٌّ لَا يُحْسِنُ الْخَطَّ وَلَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى خَرْمَشَةٍ فَاسِدَةٍ، فَقُلْتَ لَهُ: بَلْ كَتَبْتَهُ أَنْتَ، كَانَ قَصْدُكَ بِهَذَا الْجَوَابِ تَقْرِيرَهُ لَكَ مَعَ الِاسْتِهْزَاءِ بِهِ، لَا نَفْيُهُ عَنْكَ وَإِثْبَاتُهُ لِلْأُمِّيِّ أَوِ الْمُخَرْمِشِ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَهُ –وَالْأَمْرُ دَائِرٌ بَيْنَكُمَا لِلْعَاجِزِ مِنْكُمَا– اسْتِهْزَاءٌ بِهِ وَإِثْبَاتٌ لِلْقَادِرِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: غَاظَتْهُ تِلْكَ الْأَصْنَامُ حِينَ أَبْصَرَهَا مُصْطَفَّةً مُرَتَّبَةً، وَكَانَ غَيْظُ كَبِيرِهَا أَكْبَرَ وَأَشَدَّ لِمَا رَأَى مِنْ زِيَادَةِ تَعْظِيمِهِمْ لَهُ، فَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي تَسَبَّبَ لِاسْتِهَانَتِهِ بِهَا وَحَطْمِهِ لَهَا، وَالْفِعْلُ كَمَا يُسْنَدُ إِلَى مُبَاشِرِهِ يُسْنَدُ إِلَى الْحَامِلِ عَلَيْهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةً لِمَا يَقُولُ إِلَى تَجْوِيزِهِ مَذْهَبَهُمْ، كَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: مَا تُنْكِرُونَ أَنَّ يَفْعَلَهُ كَبِيرُهُمْ، فَإِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ يُعْبَدُ وَيُدْعَى إِلَهًا أَنْ يَقْدِرَ عَلَى هَذَا وَأَشَدَّ مِنْهُ.

وَيُحْكَى أَنَّهُ قَالَ: فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا غَضَبَ أَنْ تُعْبَدَ مَعَهُ هَذِهِ الصِّغَارُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا.

وَقَرَأَ مُحَمَّدُ بْنُ السَّمَيْقَعُ: "فَعَلَّهُ كَبِيرُهُمْ"، يَعْنِي: فَلَعَلَّهُ، أَيْ: فَلَعَلَّ الْفَاعِلَ كَبِيرُهُمْ.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]

فَلَمَّا أَلْقَمَهُمُ الْحَجَرَ وَأَخَذَ بِمَخَانِقِهِمْ، رَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَالُوا: أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لَا مَنْ ظَلَمْتُمُوهُ حِينَ قُلْتُمْ: مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾[2]

نَكَسْتُهُ: قَلَبْتُهُ فَجَعَلْتُ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ، وَانْتَكَسَ: انْقَلَبَ، أَيِ: اسْتَقَامُوا حِينَ رَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَجَاءُوا بِالْفِكْرَةِ الصَّالِحَةِ، ثُمَّ انْتَكَسُوا وَانْقَلَبُوا عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ، فَأَخَذُوا فِي الْمُجَادَلَةِ بِالْبَاطِلِ وَالْمُكَابَرَةِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ –مَعَ تَقَاصُرِ حَالِهَا عَنْ حَالِ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ– آلِهَةٌ مَعْبُودَةٌ، مُضَارَّةٌ مِنْهُمْ، أَوِ انْتَكَسُوا عَنْ كَوْنِهِمْ مُجَادِلِينَ لِإِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مُجَادِلِينَ عَنْهُ، حِينَ نَفَوْا عَنْهَا الْقُدْرَةَ عَلَى النُّطْقِ، أَوْ قَلَبُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ حَقِيقَةً؛ لِفَرْطِ إِطْرَاقِهِمْ

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

خَجَلًا وَانْكِسَارًا وَانْخِزَالًا مِمَّا بَهَتَهُمْ بِهِ إِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فَمَا أَحَارُوا جَوَابًا مَا هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ.

وَقُرِئَ: "نُكِّسُوا": بِالتَّشْدِيدِ، و"نَكَّسُوا": عَلَى لَفْظِ مَا سُمِّيَ فَاعِلُهُ، أَيْ: نَكَّسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ: قَرَأَ بِهِ رَضْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَعْبُودِ.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[1]

﴿أُفٍّ﴾[2]: صَوْتٌ إِذَا صُوِّتَ بِهِ عُلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ مُتَضَجِّرٌ، أَضْجَرَهُ مَا رَأَى مِنْ ثَبَاتِهِمْ عَلَى عِبَادَتِهَا بَعْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِهِمْ وَبَعْدَ وُضُوحِ الْحَقِّ وَزَهُوقِ الْبَاطِلِ، فَتَأَفَّفَ بِهِمْ، وَاللَّامُ: لِبَيَانِ الْمُتَأَفَّفِ بِهِ، أَيْ: لَكُمْ وَلِآلِهَتِكُمْ هَذَا التَّأَفُّفُ.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾[3]

أَجْمَعُوا رَأْيَهُمْ –لَمَّا غُلِبُوا بِإِهْلَاكِهِ؛ وَهَكَذَا الْمُبْطِلُ إِذَا قُرِعَتْ شُبْهَتُهُ بِالْحُجَّةِ وَافْتُضِحَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُحِقِّ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ مَفْزَعٌ إِلَّا مُنَاصَبَتُهُ، كَمَا فَعَلَتْ قُرَيْشٌ بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ عَجَزُوا عَنِ الْمُعَارَضَةِ، وَالَّذِي أَشَارَ بِإِحْرَاقِهِ نَمْرُوذُ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: رَجُلٌ مِنْ أَعْرَابِ الْعَجَمِ، يُرِيدُ: الْأَكْرَادَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُمْ حِينَ هَمُّوا بِإِحْرَاقِهِ، حَبَسُوهُ ثُمَّ بَنَوْا بَيْتًا كَالْحَظِيرَةِ بِكُوثِيٍّ، وَجَمَعُوا شَهْرًا أَصْنَافَ الْخَشَبِ الصِّلَابِ، حَتَّى إِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ لَتَمْرَضُ، فَتَقُولُ: إِنْ عَافَانِي اللَّهُ لَأَجْمَعَنَّ حَطَبًا لِإِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– ثُمَّ أَشْعَلُوا نَارًا عَظِيمَةً كَادَتِ الطَّيْرُ تَحْتَرِقُ فِي الْجَوِّ مِنْ وَهَجِهَا، ثُمَّ وَضَعُوهُ فِي الْمَنْجَنِيقِ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا، فَرَمَوْا بِهِ فِيهَا، فَنَادَاهَا جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا﴾[1].

وَيُحْكَى: مَا أَحْرَقَتْ مِنْهُ إِلَّا وِثَاقَهُ، وَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– حِينَ رُمِيَ بِهِ: هَلْ لَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، قَالَ: فَسَلْ رَبَّكَ، قَالَ: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: إِنَّمَا نَجَا بِقَوْلِهِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَأَطَلَّ عَلَيْهِ نَمْرُوذُ مِنَ الصَّرْحِ، فَإِذَا هُوَ فِي رَوْضَةٍ وَمَعَهُ جَلِيسٌ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ: إِنِّي مُقَرَّبٌ إِلَى إِلَهِكَ، فَذَبَحَ أَرْبَعَةَ آلَافِ بَقَرَةٍ وَكَفَّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ –صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ– إِذْ ذَاكَ ابْنَ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، وَاخْتَارُوا الْمُعَاقَبَةَ بِالنَّارِ؛ لِأَنَّهَا أَهْوَلُ مَا يُعَاقَبُ بِهِ وَأَفْظَعُهُ؛ وَلِذَلِكَ جَاءَ: "لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلَّا خَالِقُهَا".

وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[2]، أَيْ: إِنْ كُنْتُمْ نَاصِرِينَ آلِهَتَكُمْ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، فَاخْتَارُوا لَهُ أَهْوَلَ الْمُعَاقِبَاتِ، وَهِيَ الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ، وَإِلَّا فَرَّطْتُمْ فِي نُصْرَتِهَا؛ وَلِهَذَا عَظَّمُوا النَّارَ وَتَكَلَّفُوا فِي تَشْهِيرِ أَمْرِهَا وَتَفْخِيمِ شَأْنِهَا، وَلَمْ يَأْلُوا جُهْدًا فِي ذَلِكَ، جُعِلَتِ النَّارُ لِمُطَاوَعَتِهَا فِعْلَ اللَّهِ وَإِرَادَتَهُ كَمَأْمُورٍ أُمِرَ بِشَيْءٍ فَامْتَثَلَهُ، وَالْمَعْنَى: ذَاتُ بَرْدٍ وَسَلَامٍ، فَبُولِغَ فِي ذَلِكَ، كَأَنَّ ذَاتَهَا بَرْدٌ وَسَلَامٌ، وَالْمُرَادُ: ابْرُدِي فَيَسْلَمَ مِنْكِ إِبْرَاهِيمُ، أَوِ ابْرُدِي بَرْدًا غَيْرَ ضَارٍّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَوْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، لَأَهْلَكَتْهُ بِبَرْدِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ بَرُدَتِ النَّارُ وَهِيَ نَارٌ؟

قُلْتُ: نَزَعَ اللَّهُ عَنْهَا طَبْعَهَا الَّذِي طَبَعَهَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْإِحْرَاقِ، وَأَبْقَاهَا عَلَى الْإِضَاءَةِ وَالِاشْتِعَالِ كَمَا كَانَتْ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَدْفَعَ بِقُدْرَتِهِ عَنْ جِسْمِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– أَذَى حَرِّهَا وَيُذِيقَهُ فِيهَا عَكْسَ ذَلِكَ، كَمَا يَفْعَلُ بِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1]، وَأَرَادُوا أَنْ يَكِيدُوهُ وَيَمْكُرُوا بِهِ، فَمَا كَانُوا إِلَّا مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ غَالَبُوهُ بِالْجِدَالِ، فَغَلَّبَهُ اللَّهُ وَلَقَّنَهُ بِالْمُبَكِّتِ، وَفَزِعُوا إِلَى الْقُوَّةِ وَالْجَبَرُوتِ، فَنَصَرَهُ وَقَوَّاهُ.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[2]

نَجَيَا مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَبَرَكَاتُهُ الْوَاصِلَةُ إِلَى الْعَالَمِينَ: أَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْبِيَاءِ –عَلَيْهِمُ السَّلَامُ– بُعِثُوا فِيهِ، فَانْتَشَرَتْ فِي الْعَالَمِينَ شَرَائِعُهُمْ وَآثَارُهُمُ الدِّينِيَّةُ، وَهِيَ الْبَرَكَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ.

وَقِيلَ: بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ بِكَثْرَةِ الْمَاءِ وَالشَّجَرِ وَالثَّمَرِ وَالْخِصْبِ وَطِيبِ عَيْشِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ.

وَعَنْ سُفْيَانَ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَقِيلَ لَهُ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: إِلَى بَلَدٍ يُمْلَأُ فِيهِ الْجِرَابُ بِدِرْهَمٍ.

وَقِيلَ: مَا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ إِلَّا وَيَنْبُعُ أَصْلُهُ مِنْ تَحْتِ الصَّخْرَةِ الَّتِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَرُوِيَ: أَنَّهُ نَزَلَ بِفِلَسْطِينَ، وَلُوطٌ بِالْمُؤْتَفِكَةِ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾[3]

النَّافِلَةُ: وَلَدُ الْوَلَدِ.

وَقِيلَ: سَأَلَ إِسْحَاقَ فَأُعْطِيَهُ، وَأُعْطِيَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً، أَيْ: زِيَادَةً وَفَضْلًا مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1]

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2]: فِيهِ أَنَّ مَنْ صَلَحَ لِيَكُونَ قُدْوَةً فِي دِينِ اللَّهِ فَالْهِدَايَةُ مَحْتُومَةٌ عَلَيْهِ مَأْمُورٌ هُوَ بِهَا مِنْ جِهَةِ اللَّهِ، لَيْسَ لَهُ أَنْ يُخِلَّ بِهَا وَيَتَثَاقَلَ عَنْهَا، وَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يَهْتَدِيَ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الِانْتِفَاعَ بِهُدَاهُ أَعَمُّ، وَالنُّفُوسُ إِلَى الِاقْتِدَاءِ بِالْمَهْدِيِّ أَمْيَلُ.

﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[3] أَصْلُهُ: أَنْ تَفْعَلَ الْخَيْرَاتِ، ثُمَّ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ، ثُمَّ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ، وَكَذَلِكَ إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ.

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[4]

﴿حُكْمًا﴾[5]: حِكْمَةً وَهُوَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ، أَوْ فَصْلًا بَيْنَ الْخُصُومِ.

وَقِيلَ: هُوَ النُّبُوَّةُ.

وَالْقَرْيَةُ سَدُومُ، أَيْ: فِي أَهْلِ رَحْمَتِنَا، أَوْ فِي الْجَنَّةِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "هَذِهِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِهَا مَنْ أَشَاءُ".

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]

﴿مِنْ قَبْلُ﴾[2]: مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ.

هُوَ "نَصْرٌ": الَّذِي مُطَاوِعُهُ "انْتَصَرَ"، وَسَمِعْتُ هُذَلِيًّا يَدْعُو عَلَى سَارِقٍ: اللَّهُمَّ، انْصُرْهُمْ مِنْهُ، أَيِ: اجْعَلْهُمْ مُنْتَصِرِينَ مِنْهُ.

وَ﴿الْكَرْبِ﴾[3]: الطُّوفَانُ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾[4]

أَيْ: وَاذْكُرْهُمَا، وَإِذْ: بَدَلٌ مِنْهُمَا، وَالنَّفْشُ: الِانْتِشَارُ بِاللَّيْلِ، وَجَمَعَ الضَّمِيرَ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَهُمَا وَالْمُتَحَاكِمِينَ إِلَيْهِمَا.

وَقُرِئَ: "لِحَكَمِهِمَا".

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾[5] لِلْحُكُومَةِ أَوِ الْفَتْوَى.

وَقُرِئَ: "فَأَفْهَمْنَاهَا": حَكَمَ دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ الْحَرْثِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً: غَيْرُ هَذَا أَرْفَقُ بِالْفَرِيقَيْنِ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ لَيَحْكُمَنَّ، فَقَالَ: أَرَى أَنْ تُدْفَعَ الْغَنَمُ إِلَى أَهْلِ الْحَارِثِ يَنْتَفِعُونَ بِأَلْبَانِهَا وَأَوْلَادِهَا وَأَصْوَافِهَا، وَالْحَرْثُ

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

إِلَى أَرْبَابِ الشَّاءِ يَقُومُونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ أُفْسِدَ، ثُمَّ يَتَرَادَّانِ، فَقَالَ: الْقَضَاءُ مَا قَضَيْتَ، وَأَمْضَى الْحُكْمَ بِذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَحَكَمَا بِوَحْيٍ أَمْ بِاجْتِهَادٍ؟

قُلْتُ: حَكَمَا جَمِيعًا بِالْوَحْيِ، إِلَّا أَنَّ حُكُومَةَ دَاوُدَ نُسِخَتْ بِحُكُومَةِ سُلَيْمَانَ.

وَقِيلَ: اجْتَهَدَا جَمِيعًا، فَجَاءَ اجْتِهَادُ سُلَيْمَانَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– أَشْبَهَ بِالصَّوَابِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحُكُومَتَيْنِ؟

قُلْتُ: أَمَّا وَجْهُ حُكُومَةِ دَاوُدَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– فَلِأَنَّ الضَّرَرَ لَمَّا وَقَعَ بِالْغَنَمِ، سُلِّمَتْ بِجِنَايَتِهَا إِلَى الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فِي الْعَبْدِ إِذْ جَنَى عَلَى النَّفْسِ: يَدْفَعُهُ الْمَوْلَى بِذَلِكَ أَوْ يَفْدِيهِ.

وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: يَبِيعُهُ فِي ذَلِكَ أَوْ يَفْدِيهِ، وَلَعَلَّ قِيمَةَ الْغَنَمِ كَانَتْ عَلَى قَدْرِ النُّقْصَانِ فِي الْحَارِثِ، وَوَجْهُ حُكُومَةِ سُلَيْمَانَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: أَنَّهُ جَعَلَ الِانْتِفَاعَ بِالْغَنَمِ بِإِزَاءِ مَا فَاتَ مِنَ الِانْتِفَاعِ بِالْحَرْثِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ مِلْكُ الْمَالِكِ عَنِ الْغَنَمِ، وَأَوْجَبَ عَلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ أَنْ يَعْمَلَ فِي الْحَارِثِ حَتَّى يَزُولَ الضَّرَرُ وَالنُّقْصَانُ؛ مِثَالُهُ مَا قَالَ أَصْحَابُ الشَّافِعِيِّ فِيمَنْ غَصَبَ عَبْدًا فَأَبَقَ مِنْ يَدِهِ: أَنَّهُ يَضْمَنُ الْقِيمَةَ فَيَنْتَفِعُ بِهَا الْمَغْصُوبُ مِنْهُ بِإِزَاءِ مَا فَوَّتَهُ الْغَاصِبُ مِنْ مَنَافِعِ الْعَبْدِ، فَإِذَا ظَهَرَ تَرَادَّا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَلَوْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ فِي شَرِيعَتِنَا، مَا حُكْمُهَا؟

قُلْتُ: أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ– لَا يَرَوْنَ فِيهِ ضَمَانًا بِاللَّيْلِ أَوْ بِالنَّهَارِ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَ الْبَهِيمَةِ سَائِقٌ أَوْ قَائِدٌ، وَالشَّافِعِيُّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يُوجِبُ الضَّمَانَ بِاللَّيْلِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[1]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَصْوَبَ كَانَ مَعَ سُلَيْمَانَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[2]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمَا جَمِيعًا كَانَا عَلَى الصَّوَابِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

﴿يُسَبِّحْنَ﴾[1]: حَالٌ بِمَعْنَى: مُسَبِّحَاتٍ، أَوِ اسْتِئْنَافٌ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: كَيْفَ سَخَّرَهُنَّ؟ فَقَالَ: يُسَبِّحْنَ.

﴿وَالطَّيْرَ﴾[2]: إِمَّا مَعْطُوفٌ عَلَى الْجِبَالِ، أَوْ مَفْعُولٌ مَعَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قُدِّمَتِ الْجِبَالُ عَلَى الطَّيْرِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ تَسْخِيرَهَا وَتَسْبِيحَهَا أَعْجَبُ وَأَدَلُّ عَلَى الْقُدْرَةِ وَأَدْخَلُ فِي الْإِعْجَازِ؛ لِأَنَّهَا جَمَادٌ وَالطَّيْرُ حَيَوَانٌ، إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ نَاطِقٍ.

رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ يَمُرُّ بِالْجِبَالِ مُسَبِّحًا وَهِيَ تُجَاوِبُهُ.

وَقِيلَ: كَانَتْ تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَنْطِقُ الْجِبَالُ وَتُسَبِّحُ؟

قُلْتُ: بِأَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ فِيهَا الْكَلَامَ كَمَا خَلَقَهُ فِي الشَّجَرَةِ حِينَ كَلَّمَ مُوسَى، وَجَوَابٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يُسَبِّحَ مَنْ رَآهَا تَسِيرُ بِتَسْيِيرِ اللَّهِ. فَلَمَّا حُمِلَتْ عَلَى التَّسْبِيحِ، وُصِفَتْ بِهِ.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3]، أَيْ: قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَفْعَلَ هَذَا، وَإِنْ كَانَ عَجَبًا عِنْدَكُمْ، وَقِيلَ: وَكُنَّا نَفْعَلُ بِالْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ ذَلِكَ.

اللَّبُوسُ: اللِّبَاسُ.

قَالَ:

الْبِسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَـــــا

وَالْمُرَادُ: الدِّرْعُ؛ قَالَ قَتَادَةُ: كَانَتْ صَفَائِحَ فَأَوَّلُ مَنْ سَرَدَهَا وَحَلَّقَهَا دَاوُدُ، فَجَمَعَتِ الْخِفَّةَ وَالتَّحْصِينَ.

﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾[4]: قُرِئَ بِالنُّونِ وَالْيَاءِ وَالتَّاءِ، وَتَخْفِيفِ الصَّادِ وَتَشْدِيدِهَا؛ فَالنُّونُ: لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالتَّاءُ لِلصَّنْعَةِ أَوْ لِلَّبُوسِ عَلَى تَأْوِيلِ الدِّرْعِ، وَالْيَاءُ: لِدَاوُدَ أَوْ لِلَّبُوسِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾[1]

قُرِئَ: "الرِّيحَ"، وَ"الرِّيَاحَ"، بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ فِيهِمَا، فَالرَّفْعُ: عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الْجِبَالِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وُصِفَتْ هَذِهِ الرِّيَاحُ بِالْعَصْفِ تَارَةً وَبِالرَّخَاوَةِ أُخْرَى، فَمَا التَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا؟

قُلْتُ: كَانَتْ فِي نَفْسِهَا رَخِيَّةً طَيِّبَةً كَالنَّسِيمِ، فَإِذَا مَرَّتْ بِكُرْسِيِّهِ أَبْعَدَتْ بِهِ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ؛ عَلَى مَا قَالَ: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[2]، فَكَانَ جَمْعُهَا بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أَنْ تَكُونَ رُخَاءً فِي نَفْسِهَا وَعَاصِفَةً فِي عَمَلِهَا، مَعَ طَاعَتِهَا لِسُلَيْمَانَ وَهُبُوبِهَا عَلَى حَسَبِ مَا يُرِيدُ وَيَحْتَكِمُ: آيَةٌ إِلَى آيَةٍ، وَمُعْجِزَةٌ إِلَى مُعْجِزَةٍ.

وَقِيلَ: كَانَتْ فِي وَقْتٍ رُخَاءً، وَفِي وَقْتٍ عَاصِفًا؛ لِهُبُوبِهَا عَلَى حُكْمِ إِرَادَتِهِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ فَنُجْرِي الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُنَا وَحِكْمَتُنَا.

أَيْ: يَغُوصُونَ لَهُ فِي الْبِحَارِ فَيَسْتَخْرِجُونَ الْجَوَاهِرَ، وَيَتَجَاوَزُونَ ذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَالِ، وَالْمِهَنِ، وَبِنَاءِ الْمَدَائِنِ، وَالْقُصُورِ، وَاخْتِرَاعِ الصَّنَائِعِ الْعَجِيبَةِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾[3]، وَاللَّهُ حَافِظُهُمْ أَنْ يَزِيغُوا عَنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُبَدِّلُوا أَوْ يُغَيِّرُوا، أَوْ يُوجَدَ مِنْهُمْ فَسَادٌ فِي الْجُمْلَةِ فِيمَا هُمْ مُسَخَّرُونَ فِيهِ.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[4]

أَيْ: نَادَاهُ بِأَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة سَبَأَ، الآية 12.

[3] سورة سَبَأَ، الآية 13.

[4] سورة طَهَ، الآية .

وَقُرِئَ: "إِنِّي" بِالْكَسْرِ، عَلَى إِضْمَارِ الْقَوْلِ أَوْ لِتَضَمُّنِ النِّدَاءِ مَعْنَاهُ.

و"الضُّرُّ" -بِالْفَتْحِ-: الضَّرَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَبِالضَّمِّ: الضَّرَرُ فِي النَّفْسِ مِنْ مَرَضٍ وَهُزَالٍ، فُرِّقَ بَيْنَ الْبِنَاءَيْنِ لِافْتِرَاقِ الْمَعْنَيَيْنِ، أَلْطَفَ فِي السُّؤَالِ؛ حَيْثُ ذَكَرَ نَفْسَهُ بِمَا يُوجِبُ الرَّحْمَةَ، وَذَكَرَ رَبَّهُ بِغَايَةِ الرَّحْمَةِ وَلَمْ يُصَرِّحْ بِالْمَطْلُوبِ.

وَيُحْكَى أَنَّ عَجُوزًا تَعَرَّضَتْ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَشَتْ جُرَذَانُ بَيْتِي عَلَى الْعِصِيِّ! فَقَالَ لَهَا: أَلْطَفْتِ فِي السُّؤَالِ، لَا جَرَمَ لَأَرُدَّنَّهَا تَثِبُ وَثْبَ الْفُهُودِ وَمَلَأَ بَيْتَهَا حَبًّا، كَانَ أَيُّوبُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- رُومِيًّا مِنْ وَلَدِ إِسْحَاقَ بْنِ يَعْقُوبَ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، وَقَدِ اسْتَنْبَأَهُ اللَّهُ وَبَسَطَ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَكَثُرَ أَهْلُهُ وَمَالُهُ: كَانَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَسَبْعُ بَنَاتٍ، وَلَهُ أَصْنَافُ الْبَهَائِمِ، وَخَمْسُمِائَةِ فَدَّانٍ يَتْبَعُهَا خَمْسُمِائَةِ عَبْدٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ امْرَأَةٌ وَوَلَدٌ وَنَخِيلٌ، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِذَهَابِ وَلَدِهِ -انْهَدَمَ عَلَيْهِمُ الْبَيْتُ فَهَلَكُوا- وَبِذَهَابِ مَالِهِ، وَبِالْمَرَضِ فِي بَدَنِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً.

وَعَنْ قَتَادَةَ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ: سَبْعًا وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَ سَاعَاتٍ، وَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ يَوْمًا: لَوْ دَعَوْتَ اللَّهَ، فَقَالَ لَهَا: كَمْ كَانَتْ مُدَّةُ الرَّخَاءِ؟ فَقَالَتْ: ثَمَانِينَ سَنَةً، فَقَالَ: أَنَا أَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَدْعُوَهُ، وَمَا بَلَغَتْ مُدَّةُ بَلَائِي مُدَّةَ رَخَائِي فَلَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ أَحْيَا وَلَدَهُ وَرَزَقَهُ مِثْلَهُمْ وَنَوَافِلَ مِنْهُمْ، وَرُوِيَ أَنَّ امْرَأَتَهُ وَلَدَتْهُ بَعْدُ سِتَّةً وَعِشْرِينَ ابْنًا، أَيْ: لِرَحْمَتِنَا الْعَابِدِينَ وَأَنَّا نَذْكُرُهُمْ بِالْإِحْسَانِ لَا نَنْسَاهُمْ أَوْ رَحْمَةً مِنَّا لِأَيُّوبَ وَتَذْكِرَةً لِغَيْرِهِ مِنَ الْعَابِدِينَ، لِيَصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ حَتَّى يُثَابُوا كَمَا أُثِيبَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1]

قِيلَ فِي ذِي الْكِفْلِ: هُوَ إِلْيَاسُ.

وَقِيلَ: زَكَرِيَّا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

وَقِيلَ: يُوشَعُ بْنُ نُونٍ؛ وَكَأَنَّهُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ ذُو الْحَظِّ مِنَ اللَّهِ وَالْمَجْدُودُ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَقِيلَ: كَانَ لَهُ ضِعْفُ عَمَلِ الْأَنْبِيَاءِ فِي زَمَانِهِ وَضِعْفُ ثَوَابِهِمْ.

وَقِيلَ: خَمْسَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ذَوُو اسْمَيْنِ: إِسْرَائِيلُ وَيَعْقُوبُ، إِلْيَاسُ وَذُو الْكِفْلِ، عِيسَى وَالْمَسِيحُ، يُونُسُ وَذُو النُّونِ، مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ –صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ–.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

﴿النُّونِ﴾[2]: الْحُوتُ، فَأُضِيفَ إِلَيْهِ، بَرِمَ بِقَوْمِهِ؛ لِطُولِ مَا ذَكَّرَهُمْ فَلَمْ يَذْكُرُوا وَأَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ، فَرَاغَمَهُمْ وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَسُوغُ؛ حَيْثُ لَمْ يَفْعَلْهُ إِلَّا غَضَبًا لِلَّهِ وَأَنَفَةً لِدِينِهِ وَبُغْضًا لِلْكُفْرِ وَأَهْلِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُصَابِرَ وَيَنْتَظِرَ الْإِذْنَ مِنَ اللَّهِ فِي الْمُهَاجَرَةِ عَنْهُمْ، فَابْتُلِيَ بِبَطْنِ الْحُوتِ، وَمَعْنَى مُغَاضَبَتِهِ لِقَوْمِهِ: أَنَّهُ أَغْضَبَهُمْ بِمُفَارَقَتِهِ، لِخَوْفِهِمْ حُلُولَ الْعِقَابِ عَلَيْهِمْ عِنْدَهَا.

وَقَرَأَ أَبُو شَرَفٍ: "مُغْضَبًا".

قُرِئَ: ﴿نَقْدِرَ﴾[3]: وَ"نُقَدِّرَ": مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا، "وَيَقْدِرَ": بِالْيَاءِ بِالتَّخْفِيفِ، و"يُقْدَرَ"، و"يُقَدَّرَ": عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا، وَفُسِّرَتْ بِالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِ، وَبِتَقْدِيرِ اللَّهِ عَلَيْهِ عُقُوبَةً.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: لَقَدْ ضَرَبَتْنِي أَمْوَاجُ الْقُرْآنِ الْبَارِحَةَ فَغَرِقْتُ فِيهَا، فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي خَلَاصًا إِلَّا بِكَ، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا مُعَاوِيَةُ، فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ: أَوَيَظُنُّ نَبِيُّ اللَّهِ أَلَّا يَقْدِرَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: هَذَا مِنَ الْقَدْرِ لَا مِنَ الْقُدْرَةِ، وَالْمُخَفَّفُ يَصِحُّ أَنْ يُفَسَّرَ بِالْقُدْرَةِ، عَلَى مَعْنَى: أَنْ لَنْ نَعْمَلَ فِيهِ قُدْرَتَنَا، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ، بِمَعْنَى:

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

فَكَانَتْ حَالُهُ مُمَثَّلَةً بِحَالِ مَنْ ظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فِي مُرَاغَمَتِهِ قَوْمَهُ، مِنْ غَيْرِ انْتِظَارٍ لِأَمْرِ اللَّهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَسْبِقَ ذَلِكَ إِلَى وَهْمِهِ بِوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ يَرْدَعُهُ وَيَرُدُّهُ بِالْبُرْهَانِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُؤْمِنُ الْمُحَقِّقُ بِنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَا يُوَسْوِسُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى–: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[1]، وَالْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ "فِي الظُّلُمَاتِ"، أَيْ: فِي الظُّلْمَةِ الشَّدِيدَةِ الْمُتَكَاثِفَةِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾[2]، وَقَوْلِهِ: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[3].

وَقِيلَ: ظُلُمَاتُ بَطْنِ الْحُوتِ وَالْبَحْرِ وَاللَّيْلِ.

وَقِيلَ: ابْتَلَعَ حُوتَهُ حُوتٌ أَكْبَرُ مِنْهُ، فَحَصَلَ فِي ظُلْمَتَيْ بَطْنَيِ الْحُوتَيْنِ وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ، أَيْ: بِأَنَّهُ ﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾[4]، أَوْ بِمَعْنَى "أَيْ".

عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَا مِنْ مَكْرُوبٍ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ".

وَعَنِ الْحَسَنِ: مَا نَجَّاهُ وَاللَّهِ إِلَّا إِقْرَارُهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالظُّلْمِ.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[5]

"نُنَجِّي" وَ﴿نُنْجِي﴾[6] وَ"نُجِّيَ"، وَالنُّونُ لَا تُدْغَمُ فِي الْجِيمِ. وَمَنْ تَمَحَّلَ لِصِحَّتِهِ فَجَعَلَهُ فَعَلَ، وَقَالَ نَجَّى النَّجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَ الْيَاءَ وَأَسْنَدَهُ إِلَى مَصْدَرِهِ وَنَصَبَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّجَاءِ فَمُتَعَسِّفٌ بَارِدُ التَّعَسُّفِ.

---

[1] سورة الْأَحْزَابَ، الآية 10.

[2] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 27.

[3] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 17.

[4] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 257.

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1]

سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا يَرِثُهُ وَلَا يَدَعُهُ وَحِيدًا بِلَا وَارِثٍ، ثُمَّ رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ مُسْتَسْلِمًا، فَقَالَ: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2]، أَيْ: إِنْ لَمْ تَرْزُقْنِي مَنْ يَرِثُنِي فَلَا أُبَالِي؛ فَإِنَّكَ خَيْرُ وَارِثٍ، إِصْلَاحُ زَوْجِهِ: أَنْ جَعَلَهَا صَالِحَةً لِلْوِلَادَةِ بَعْدَ عَقْرِهَا.

وَقِيلَ: تَحْسِينُ خُلُقِهَا، وَكَانَتْ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ، الضَّمِيرُ لِلْمَذْكُورِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- يُرِيدُ: أَنَّهُمْ مَا اسْتَحَقُّوا الْإِجَابَةَ إِلَى طَلَبَاتِهِمْ إِلَّا لِمُبَادَرَتِهِمْ أَبْوَابَ الْخَيْرِ، وَمُسَارَعَتِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا، كَمَا يَفْعَلُ الرَّاغِبُونَ فِي الْأُمُورِ الْجَادُّونَ.

وَقُرِئَ: "رَغَبًا وَرَهَبًا" بِالْإِسْكَانِ؛ وَهُوَ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-:﴿ يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[3].

﴿خَاشِعِينَ﴾[4]: قَالَ الْحَسَنُ: ذُلُلًا لِأَمْرِ اللَّهِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْخُشُوعُ: الْخَوْفُ الدَّائِمُ فِي الْقَلْبِ.

وَقِيلَ: مُتَوَاضِعِينَ.

وَسُئِلَ الْأَعْمَشُ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: أَلَا تَدْرِي؟

قُلْتُ: أَفِدْنِي، قَالَ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ إِذَا أَرْخَى سِتْرَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، فَلْيَرَ اللَّهُ مِنْهُ خَيْرًا، لَعَلَّكَ تَرَى أَنَّهُ أَنْ يَأْكُلَ خَشِنًا وَيَلْبَسَ خَشِنًا وَيُطَأْطِئَ رَأْسَهُ.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[5]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة الزُّمَرَ، الآية 99.

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[1]: إِحْصَانًا كُلِّيًّا مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ جَمِيعًا؛ كَمَا قَالَتْ: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: نَفْخُ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ عِبَارَةٌ عَنْ إِحْيَائِهِ؛ قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[3]، أَيْ: أَحْيَيْتُهُ.

وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾[4]: ظَاهِرَ الْإِشْكَالِ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى إِحْيَاءِ مَرْيَمَ.

قُلْتُ: مَعْنَاهُ نَفَخْنَا الرُّوحَ فِي عِيسَى فِيهَا، أَيْ: أَحْيَيْنَاهُ فِي جَوْفِهَا؛ وَنَحْوُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ الزَّمَّارُ: نَفَخْتُ فِي بَيْتِ فُلَانٍ، أَيْ: نَفَخْتُ فِي الْمِزْمَارِ فِي بَيْتِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَفَعَلْنَا النَّفْخَ فِي مَرْيَمَ مِنْ جِهَةِ رُوحِنَا وَهُوَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، لِأَنَّهُ نَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا فَوَصَلَ النَّفْخُ إِلَى جَوْفِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: آيَتَيْنِ كَمَا قَالَ:﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾[5].

قُلْتُ: لِأَنَّ حَالَهُمَا بِمَجْمُوعِهِمَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ؛ وَهِيَ وِلَادَتُهَا إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[6]

الْأُمَّةُ: الْمِلَّةُ.

وَ﴿هَذِهِ﴾[7]: إِشَارَةٌ إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، أَيْ: إِنَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ هِيَ مِلَّتُكُمُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا لَا تَنْحَرِفُونَ عَنْهَا، يُشَارُ إِلَيْهَا مِلَّةً وَاحِدَةً غَيْرَ مُخْتَلِفَةٍ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة مَرْيَمَ، الآية 20.

[3] سورة مَرْيَمَ، الآية 72.

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة الْإِسْرَاءَ، الآية 12.

[6] سورة طَهَ، الآية .

[7] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَأَنَا﴾:[1] إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾:[2] وَنَصَبَ الْحَسَنُ أُمَّتَكُمْ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ هَذِهِ، وَرَفَعَ أُمَّةً خَبَرًا، وَعَنْهُ رَفْعُهُمَا جَمِيعًا خَبَرَيْنِ لِهَذِهِ، أَوْ نَوَى لِلثَّانِي مُبْتَدَأً، وَالْخِطَابُ لِلنَّاسِ كَافَّةً.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾[3]

وَالْأَصْلُ: وَتَقَطَّعْتُمْ، إِلَّا أَنَّ الْكَلَامَ حُرِّفَ إِلَى الْغَيْبَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ، كَأَنَّهُ يَنْعِي عَلَيْهِمْ مَا أَفْسَدُوهُ إِلَى آخَرِينَ وَيُقَبِّحُ عِنْدَهُمْ فِعْلَهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى عَظِيمِ مَا ارْتَكَبَ هَؤُلَاءِ فِي دِينِ اللَّهِ؟!

وَالْمَعْنَى: جَعَلُوا أَمْرَ دِينِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِطَعًا، كَمَا يَتَوَزَّعُ الْجَمَاعَةُ الشَّيْءَ وَيَتَقَسَّمُونَهُ، فَيَطِيرُ لِهَذَا نَصِيبٌ وَلِذَاكَ نَصِيبٌ، تَمْثِيلًا لِاخْتِلَافِهِمْ فِيهِ، وَصَيْرُورَتِهِمْ فِرَقًا وَأَحْزَابًا شَتَّى، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْفِرَقَ الْمُخْتَلِفَةَ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، فَهُوَ مُحَاسِبُهُمْ وَمُجَازِيهِمْ.

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾[4]

الْكُفْرَانُ: مَثَلٌ فِي حِرْمَانِ الثَّوَابِ، كَمَا أَنَّ الشُّكْرَ مَثَلٌ فِي إِعْطَائِهِ إِذَا قِيلَ لِلَّهِ: شَكُورٌ، وَقَدْ نَفَى نَفْيَ الْجِنْسِ؛ لِيَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ أَنْ يَقُولَ: فَلَا نَكْفُرُ سَعْيَهُ.

﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾[5]، أَيْ: نَحْنُ كَاتِبُو ذَلِكَ السَّعْيِ وَمُثْبِتُوهُ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ، وَمَا نَحْنُ مُثْبِتُوهُ فَهُوَ غَيْرُ ضَائِعٍ وَمُثَابٌ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[1]

اسْتُعِيرَ الْحَرَامُ لِلْمُمْتَنِعِ وُجُودُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2]، أَيْ: مَنَعَهُمَا مِنْهُمْ، وَأَبَى أَنْ يَكُونَا لَهُمْ.

وَقُرِئَ: "حَرَمَ"، وَ"حَرِمَ": بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، و"حَرَّمَ وَحُرِّمَ".

وَمَعْنَى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾[3]: عَزَمْنَا عَلَى إِهْلَاكِهَا، أَوْ قَدَّرْنَا إِهْلَاكَهَا.

وَمَعْنَى الرُّجُوعِ: الرُّجُوعُ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِنَابَةِ، وَمَجَازُ الْآيَةِ: أَنَّ قَوْمًا عَزَمَ اللَّهُ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ غَيْرُ مُتَصَوَّرٍ أَنْ يَرْجِعُوا وَيُنِيبُوا، إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ فَحِينَئِذٍ يَرْجِعُونَ، وَيَقُولُونَ: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[4]، يَعْنِي: أَنَّهُمْ مَطْبُوعٌ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَزَالُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَيَمُوتُونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ.

وَقُرِئَ: "إِنَّهُمْ": بِالْكَسْرِ، وَحَقُّ هَذَا أَنْ يَتِمَّ الْكَلَامُ قَبْلَهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ذَاكَ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالسَّعْيِ الْمَشْكُورِ غَيْرِ الْمَكْفُورِ، ثُمَّ عَلَّلَ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ عَنِ الْكُفْرِ، فَكَيْفَ لَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ، وَالْقِرَاءَةُ بِالْفَتْحِ يَصِحُّ حَمْلُهَا عَلَى هَذَا؟ أَيْ: لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ وَلَا صِلَةَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَتْ ﴿حَتَّى﴾[5]: وَاقِعَةً غَايَةً لَهُ، وَأَيَّةُ الثَّلَاثِ هِيَ؟

قُلْتُ: هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِحَرَامٍ، وَهِيَ غَايَةٌ لَهُ؛ لِأَنَّ امْتِنَاعَ رُجُوعِهِمْ لَا يَزُولُ حَتَّى تَقُومَ الْقِيَامَةُ، وَهِيَ ﴿حَتَّى﴾[6]: الَّتِي يُحْكَى بَعْدَهَا الْكَلَامُ، وَالْكَلَامُ الْمَحْكِيُّ: الْجُمْلَةُ مِنَ الشَّرْطِ

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 50.

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

وَالْجَزَاءِ، أَعْنِي: "إِذَا"، وَمَا فِي حَيِّزِهَا، حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَى: ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾[1]، وَهُوَ سَدُّهُمَا، كَمَا حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَى الْقَرْيَةِ وَهُوَ أَهْلُهَا.

وَقِيلَ: فُتِحَتْ؛ كَمَا قِيلَ: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾[2].

وَقُرِئَ: "آجُوجُ"، وَهُمَا قَبِيلَتَانِ مِنْ جِنْسِ الْإِنْسِ، يُقَالُ: النَّاسُ عَشَرَةُ أَجْزَاءَ: تِسْعَةٌ مِنْهَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ.

﴿وَهُمْ﴾[3] رَاجِعٌ إِلَى النَّاسِ الْمَسُوقِينَ إِلَى الْمَحْشَرِ.

وَقِيلَ: هُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ حِينَ يُفْتَحُ السَّدُّ.

الْحَدَبُ: النَّشَزُ مِنَ الأَرْض.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "مِنْ كُلِّ جَدَثٍ"، وَهُوَ الْقَبْرُ، الثَّاءُ: حِجَازِيَّةٌ، وَالْفَاءُ: تَمِيمِيَّةٌ.

وَقُرِئَ: "يَنْسُلُونَ": بِضَمِّ السِّينِ، وَنَسَلَ وَعَسَلَ: أَسْرَعَ.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[4]

"إِذَا": هِيَ إِذَا الْمُفَاجَأَةُ، وَهِيَ تَقَعُ فِي الْمُجَازَاةِ سَادَّةً مَسَدَّ الْفَاءِ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[5]، فَإِذَا جَاءَتِ الْفَاءُ مَعَهَا تَعَاوَنَتَا عَلَى وَصْلِ الْجَزَاءِ بِالشَّرْطِ، فَيَتَأَكَّدُ.

وَلَوْ قِيلَ: إِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ، أَوْ فَهِيَ شَاخِصَةٌ، كَانَ سَدِيدًا.

﴿هِيَ﴾[6] ضَمِيرٌ مُبْهَمٌ، تُوَضِّحُهُ الْأَبْصَارُ وَتُفَسِّرُهُ، كَمَا فُسِّرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَسَرُّوا.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة الرُّومَ، الآية 36.

[6] سورة طَهَ، الآية .

﴿يَا وَيْلَنَا﴾[1]: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: يَقُولُونَ: يَا وَيْلَنَا، وَيَقُولُونَ: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾[2]

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[3]: يَحْتَمِلُ الْأَصْنَامَ وَإِبْلِيسَ وَأَعْوَانَهُ؛ لِأَنَّهُمْ بِطَاعَتِهِمْ لَهُمْ وَاتِّبَاعِهِمْ خُطُوَاتِهِمْ فِي حُكْمِ عَبَدَتِهِمْ.

وَيُصَدِّقُهُ مَا رُوِيَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَصَنَادِيدُ قُرَيْشٍ فِي الْحَطِيمِ، وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[4]... الْآيَةَ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبَعْرِيِّ، فَرَآهُمْ يَتَهَامَسُونَ، فَقَالَ: فِفِيمَ خَوْضُكُمْ؟ فَأَخْبَرَهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَمَا وَاللَّهِ، لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصِمْتُهُ، فَدَعَوْهُ، فَقَالَ ابْنُ الزَّبَعْرِيِّ: أَأَنْتَ قُلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَدْ خَصِمْتُكَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، أَلَيْسَ الْيَهُودُ عَبَدُوا عُزَيْرًا، وَالنَّصَارَى عَبَدُوا الْمَسِيحَ، وَبَنُو مَلِيحٍ عَبَدُوا الْمَلَائِكَةَ؟ فَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "بَلْ هُمْ عَبَدُوا الشَّيَاطِينَ الَّتِي أَمَرَتْهُمْ بِذَلِكَ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾[5] ... الْآيَةَ، يَعْنِي: عُزَيْرًا، وَالْمَسِيحَ، وَالْمَلَائِكَةَ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قُرِنُوا بِآلِهَتِهِمْ؟

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية **101**.

قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ لِمُقَارَنَتِهِمْ فِي زِيَادَةِ غَمٍّ وَحَسْرَةٍ؛ حَيْثُ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ بِسَبَبِهِمْ، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ بَابٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَلِأَنَّهُمْ قَدَّرُوا، أَنَّهُمْ يَسْتَشْفِعُونَ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَيَسْتَنْفِعُونَ بِشَفَاعَتِهِمْ، فَإِذَا صَادَفُوا الْأَمْرَ عَلَى عَكْسِ مَا قَدَّرُوا، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا عَنَيْتَ بِمَا تَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَمَا مَعْنَى:﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾[1]؟

قُلْتُ: إِذَا كَانُوا هُمْ وَأَصْنَامُهُمْ فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: لَهُمْ زَفِيرٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الزَّافِرِينَ إِلَّا هُمْ دُونَ الْأَصْنَامِ لِلتَّغْلِيبِ وَلِعَدَمِ الْإِلْبَاسِ.

وَالْحَصَبُ: الْمَحْصُوبُ، أَيْ: يُحْصَبُ بِهِمْ فِي النَّارِ، وَالْحَصْبُ: الرَّمْيُ.

وَقُرِئَ بِسُكُونِ الصَّادِ؛ وَصْفًا بِالْمَصْدَرِ.

وَقُرِئَ: "حَطَبُ" وَ"حَضَبُ": بِالضَّادِ مُتَحَرِّكًا وَسَاكِنًا.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: يُجْعَلُونَ فِي تَوَابِيتَ مِنْ نَارٍ فَلَا يَسْمَعُونَ، وَيَجُوزُ أَنْ يُصِمَّهُمُ اللَّهُ كَمَا يُعْمِيهِمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]

﴿الْحُسْنَى﴾[3]: الْخَصْلَةُ الْمُفَضَّلَةُ فِي الْحُسْنِ تَأْنِيثُ الْأَحْسَنِ: إِمَّا السَّعَادَةُ، وَإِمَّا الْبُشْرَى بِالثَّوَابِ، وَإِمَّا التَّوْفِيقُ لِلطَّاعَةِ.

يُرْوَى أَنَّ عَلِيًّا –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا مِنْهُمْ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، ثُمَّ أُقِيمَتِ

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

الصَّلَاةُ، فَقَامَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾[1]، وَالْحَسِيسُ: الصَّوْتُ يُحَسُّ، وَالشَّهْوَةُ: طُلَبُ النَّفْسِ اللَّذَّةَ.

وَقُرِئَ: "لَا يَحْزُنُهُمُ" مِنْ أَحْزَنَ، وَ"الْفَزَعُ الْاَكْبَرُ": قِيلَ: النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ؛ لِقَوْلِهِ – تَعَالَى–: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[2].

وَعَنِ الْحَسَنِ: الِانْصِرَافُ إِلَى النَّارِ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: حِينَ يُطْبَقُ عَلَى النَّارِ.

وَقِيلَ: حِينَ يُذْبَحُ الْمَوْتُ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، أَيْ تَسْتَقْبِلُهُمْ ﴿الْمَلائِكَةُ﴾[3]: مُهَنِّئِينَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَيَقُولُونَ: هَذَا وَقْتُ ثَوَابِكُمُ الَّذِي وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ قَدْ حَلَّ.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[4]

الْعَامِلُ فِي ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾[5] لَا يَحْزُنُهُمْ، أَوِ الْفَزَعُ، أَوْ تَتَلَقَّاهُمْ.

وَقُرِئَ: "تُطْوَى السَّمَاءُ": عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَ"السِّجِلُّ": بِوَزْنِ الْعُتُلِّ، وَالسِّجِلُّ بِلَفْظِ الدَّلْوِ.

وَرُوِيَ فِيهِ الْكَسْرُ: وَهُوَ الصَّحِيفَةُ، أَيْ: كَمَا يُطْوَى الطُّومَارُ لِلْكِتَابَةِ، أَيْ: لِيُكْتَبَ فِيهِ، أَوْ: لِمَا يُكْتَبُ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ أَصْلُهُ الْمَصْدَرُ كَالْبِنَاءِ، ثُمَّ يُوَقَّعُ عَلَى الْمَكْتُوبِ. وَمَنْ جَمَعَ، فَمَعْنَاهُ: لِلْمَكْتُوبَاتِ، أَيْ: لِمَا يُكْتَبُ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ.

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة النَّمْلَ، الآية 87.

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

وَقِيلَ: ﴿السِّجِلِّ﴾[1]: مَلَكٌ يَطْوِي كُتُبَ بَنِي آدَمَ إِذَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: كَاتِبٌ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالْكِتَابُ -عَلَى هَذَا- اسْمُ الصَّحِيفَةِ الْمَكْتُوبِ فِيهَا، ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾[2]: مَفْعُولُ نُعِيدُ الَّذِي يُفَسِّرُهُ: ﴿نُعِيدُهُ﴾[3]، وَالْكَافُ: مَكْفُوفَةٌ بِمَا.

وَالْمَعْنَى: نُعِيدُ أَوَّلَ الْخَلْقِ كَمَا بَدَأْنَاهُ، تَشْبِيهًا لِلْإِعَادَةِ بِالْإِبْدَاءِ فِي تَنَاوُلِ الْقُدْرَةِ لَهُمَا عَلَى السَّوَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا أَوَّلُ الْخَلْقِ حَتَّى يُعِيدَهُ كَمَا بَدَأَهُ؟

قُلْتُ: أَوَّلُهُ إِيجَادُهُ عَنِ الْعَدَمِ، فَكَمَا أَوْجَدَهُ أَوَّلًا عَنْ عَدَمٍ، يُعِيدُهُ ثَانِيًا عَنْ عَدَمٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا بَالُ: "خَلْقٍ" مُنَكَّرًا؟

قُلْتُ: هُوَ كَقَوْلِكَ: هُوَ أَوَّلُ رَجُلٍ جَاءَنِي، تُرِيدُ: أَوَّلُ الرِّجَالِ، وَلَكِنَّكَ وَحَّدْتَهُ وَنَكَّرْتَهُ إِرَادَةَ تَفْصِيلِهِمْ رَجُلًا رَجُلًا، فَكَذَلِكَ مَعْنَى:﴿ أَوَّلَ خَلْقٍ﴾[4]: أَوَّلَ الْخَلْقِ، بِمَعْنَى: أَوَّلَ الْخَلَائِقِ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ مَصْدَرٌ لَا يُجْمَعُ، وَوَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ: أَنْ يَنْتَصِبَ الْكَافُ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ: ﴿نُعِيدُهُ﴾[5]، وَمَا مَوْصُولَةٌ، أَيْ: نُعِيدُ مِثْلَ الَّذِي بَدَأْنَاهُ نُعِيدُهُ، وَأَوَّلَ خَلْقٍ: ظَرْفٌ لَبَدَأْنَاهُ، أَيْ: أَوَّلَ مَا خَلَقَ، أَوْ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمَوْصُولِ السَّاقِطِ مِنَ اللَّفْظِ، الثَّابِتُ فِي الْمَعْنَى، "وَعْدًا": مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿نُعِيدُهُ﴾[6]: عِدَةٌ لِلْإِعَادَةِ.

﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[7]، أَيْ: قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[8]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .
[2] سورة طَهَ، الآية .
[3] سورة طَهَ، الآية .
[4] سورة طَهَ، الآية .
[5] سورة طَهَ، الآية .
[6] سورة طَهَ، الآية .
[7] سورة طَهَ، الآية .
[8] سورة طَهَ، الآية .

عَنِ الشَّعْبِيِّ –رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ–: زَبُورُ دَاوُدَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَالذِّكْرُ: التَّوْرَاةُ.

وَقِيلَ: اسْمٌ لِجِنْسِ مَا أَنْزَلَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْكُتُبِ، وَالذِّكْرُ: أُمُّ الْكِتَابِ، يَعْنِي: اللَّوْحَ، أَيْ: يَرِثُهَا الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ إِجْلَاءِ الْكُفَّارِ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأرض وَمَغَارِبَهَا﴾[1]، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأرض لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مَنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: هِيَ أَرْضُ الْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: الأرض الْمُقَدَّسَةُ، تَرِثُهَا أُمَّةُ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[3]

الْإِشَارَةُ إِلَى الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْمَوَاعِظِ الْبَالِغَةِ، وَالْبَلَاغُ: الْكِفَايَةُ وَمَا تَبْلُغُ بِهِ الْبُغْيَةُ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[4]

أَرْسَلَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:﴿ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[5]؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بِمَا يُسْعِدُهُمْ إِنِ اتَّبَعُوهُ، وَمَنْ خَالَفَ وَلَمْ يَتَّبِعْ؛ فَإِنَّمَا أَتَى مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ حَيْثُ ضَيَّعَ نَصِيبَهُ مِنْهَا، وَمِثَالُهُ: أَنْ يُفَجِّرَ اللَّهُ عَيْنًا غَدِيقَةً، فَيَسْقِي نَاسٌ زُرُوعَهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ بِمَائِهَا فَيُفْلِحُوا، وَيَبْقَى نَاسٌ

---

[1] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 137.

[2] سورة الْأَعْرَافَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

مُفَرِّطُونَ عَنِ السَّقْيِ فَيَضِيعُوا، فَالْعَيْنُ الْمُفَجَّرَةُ فِي نَفْسِهَا، نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ لِلْفَرِيقَيْنِ، وَلَكِنَّ الْكَسْلَانَ مِحْنَةٌ عَلَى نَفْسِهِ؛ حَيْثُ حَرَمَهَا مَا يَنْفَعُهَا.

وَقِيلَ: كَوْنُهُ رَحْمَةً لِلْفُجَّارِ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّ عُقُوبَتَهُمْ أُخِّرَتْ بِسَبَبِهِ وَأَمِنُوا بِهِ عَذَابَ الِاسْتِئْصَالِ.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]

إِنَّمَا: لِقَصْرِ الْحُكْمِ عَلَى شَيْءٍ، أَوْ لِقَصْرِ الشَّيْءِ عَلَى حُكْمٍ؛ كَقَوْلِكَ: إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ؛ وَإِنَّمَا يَقُومُ زَيْدٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ الْمِثَالَانِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ ﴿إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[2] مَعَ فَاعِلِهِ، بِمَنْزِلَةِ: إِنَّمَا يَقُومُ زَيْدٌ.

وَ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[3] بِمَنْزِلَةِ: إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ، وَفَائِدَةُ اجْتِمَاعِهِمَا: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَقْصُورٌ عَلَى اسْتِئْثَارِ اللَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[4]: أَنَّ الْوَحْيَ الْوَارِدَ عَلَى هَذَا السَّنَنِ مُوجِبٌ أَنْ تُخْلِصُوا التَّوْحِيدَ لِلَّهِ، وَأَنْ تَخْلَعُوا الْأَنْدَادَ، وَفِيهِ أَنَّ صِفَةَ الْوَحْدَانِيَّةِ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ طَرِيقُهَا السَّمْعَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّ الَّذِي يُوحِي إِلَيَّ، فَتَكُونُ "مَا" مَوْصُولَةً.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[5]

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

آذَنَ: مَنْقُولٌ مِنْ أَذِنَ إِذَا عَلِمَ؛ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْجَرْيِ مَجْرَى الْإِنْذَارِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1]، وَقَوْلُ ابْنِ حِلِّزَةَ:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ

وَالْمَعْنَى: أَنِّي بَعْدَ تَوَلِّيكُمْ وَإِعْرَاضِكُمْ عَنْ قَبُولِ مَا عُرِضَ عَلَيْكُمْ مِنْ وُجُوبِ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ، كَرَجُلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ هُدْنَةٌ فَأَحَسَّ مِنْهُمْ بِغَدْرَةٍ، فَنَبَذَ إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ، وَشَهَّرَ النَّبْذَ وَأَشَاعَهُ وَآذَنَهُمْ جَمِيعًا بِذَلِكَ، ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾[2]، أَيْ: مُسْتَوِينَ فِي الْإِعْلَامِ بِهِ، لَمْ يَطْوِهِ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَكَاشِفٌ كُلَّهُمْ، وَقَشَرَ الْعَصَا عَنْ لِحَائِهَا، وَ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾[3] هُ مِنْ غَلَبَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْكُمْ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَلْحَقَكُمْ بِذَلِكَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَدْرِي مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْلِمْنِي عِلْمَهُ وَلَمْ يُطْلِعْنِي عَلَيْهِ، وَاللَّهُ عَالِمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا تُجَاهِرُونَ بِهِ مِنْ كَلَامِ الطَّعَّانِينَ فِي الْإِسْلَامِ، و﴿تَكْتُمُونَ﴾[4] فِي صُدُورِكُمْ مَنِ الْإِحَنِ وَالْأَحْقَادِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ يُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، وَمَا أَدْرِي لَعَلَّ تَأْخِيرَ هَذَا الْمَوْعِدِ امْتِحَانٌ لَكُمْ لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْلَمُونَ، أَوْ تَمْتِيعٌ لَكُمْ ﴿إِلَى حِينٍ﴾[5]: لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْكُمْ؛ وَلِيَقَعَ الْمَوْعِدُ فِي وَقْتٍ هُوَ فِيهِ حِكْمَةٌ.

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[6]

---

[1] سورة الْبَقَرَة، الآية 279.

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

[6] سورة طَهَ، الآية .

قُرِئَ: "قُلْ"، و﴿قَالَ﴾[1]؛ عَلَى حِكَايَةِ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَ﴿رَبِّ احْكُمْ﴾[2]: عَلَى الِاكْتِفَاءِ بِالْكَسْرَةِ، و﴿رَبِّ احْكُمْ﴾[3]، عَلَى الضَّمِّ و"رَبِّي أَحْكَمُ": عَلَى أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ، و"رَبِّي أَحْكِمْ": مِنَ الْإِحْكَامِ، أَمَرَ بِاسْتِعْجَالِ الْعَذَابِ لِقَوْمِهِ فَعُذِّبُوا بِبَدْرٍ.

وَمَعْنَى ﴿بِالْحَقِّ﴾[4]: تَحَابَّهُمْ وَشَدِّدَ عَلَيْهِمْ كَمَا هُوَ حَقُّهُمْ، كَمَا قَالَ: "اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ".

قُرِئَ: ﴿تَصِفُونَ﴾[5]: بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، كَانُوا يَصِفُونَ الْحَالَ عَلَى خِلَافِ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ، وَكَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الشَّوْكَةُ وَالْغَلَبَةُ، فَكَذَّبَ اللَّهُ ظُنُونَهُمْ وَخَيَّبَ آمَالَهُمْ، وَنَصَرَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُؤْمِنِينَ، وَخَذَلَهُمْ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ، حَاسَبَهُ اللَّهُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَصَافَحَهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ كُلُّ نَبِيٍّ ذُكِرَ اسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ".

---

[1] سورة طَهَ، الآية .

[2] سورة طَهَ، الآية .

[3] سورة طَهَ، الآية .

[4] سورة طَهَ، الآية .

[5] سورة طَهَ، الآية .

سُورَةُ الْحَجِّ

سُورَةُ الْحَجِّ

مَكِّيَّةٌ، غَيْرَ سِتِّ آيَاتٍ، وَهِيَ: هَذَانِ خَصْمَانِ ...إِلَى قَوْلِهِ... إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ وَهِيَ ثَمَانٌ وَسَبْعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1]

الزَّلْزَلَةُ: شِدَّةُ التَّحْرِيكِ وَالْإِزْعَاجِ، وَأَنْ يُضَاعَفَ زَلِيلُ الْأَشْيَاءِ عَنْ مَقَارِّهَا وَمَرَاكِزِهَا وَلَا تَخْلُو ﴿السَّاعَةِ﴾ [2]مِنْ أَنْ تَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ الْفَاعِلَةِ لَهَا، كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تُزَلْزِلُ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْمَجَازِ الْحُكْمِيِّ، فَتَكُونُ الزَّلْزَلَةُ مَصْدَرًا مُضَافًا إِلَى فَاعِلِهِ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ الْمَفْعُولِ فِيهَا عَلَى طَرِيقَةِ الِاتِّسَاعِ فِي الظَّرْفِ وَإِجْرَائِهِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[3]، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَهَا﴾[4]، وَاخْتُلِفَ فِي وَقْتِهَا.

فَعَنِ الْحَسَنِ: أَنَّهَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة سَبَأ، الآية 33.

[4] سورة الزَّلْزَلَة، الآية 1.

وَعَنْ عَلْقَمَةَ وَالشَّعْبِيِّ: عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَمَرَ بَنِي آدَمَ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ عَلَّلَ وُجُوبَهَا عَلَيْهِمْ بِذِكْرِ السَّاعَةِ، وَوَصَفَهَا بِأَهْوَلِ صِفَةٍ؛ لِيَنْظُرُوا إِلَى تِلْكَ الصِّفَةِ بِبَصَائِرِهِمْ وَيَتَصَوَّرُوهَا بِعُقُولِهِمْ، حَتَّى يُبْقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَرْحَمُوهَا مِنْ شَدَائِدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ مِنَ التَّرَدِّي بِلِبَاسِ التَّقْوَى، الَّذِي لَا يُؤَمِّنُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَفْزَاعِ إِلَّا أَنْ يَتَرَدَّوْا بِهِ.

وَرُوِيَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ نَزَلَتَا لَيْلًا فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلَقِ، فَقَرَأَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يُرَ أَكْثَرَ بَاكِيًا مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا لَمْ يَحُطُّوا السُّرُوجَ عَنِ الدَّوَابِّ، وَلَمْ يَضْرِبُوا الْخِيَامَ وَقْتَ النُّزُولِ، وَلَمْ يَطْبُخُوا قِدْرًا، وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ حَزِينٍ وَبَاكٍ وَمُفَكِّرٍ.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا
وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1]

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾[2]: مَنْصُوبٌ بِتَذْهَلَ، وَالضَّمِيرُ لِلزَّلْزَلَةِ.

وَقُرِئَ: تُذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ: وَتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ، أَيْ: تُذْهِلُهَا الزَّلْزَلَةُ، وَالذُّهُولُ: الذَّهَابُ عَنِ الْأَمْرِ مَعَ دَهْشَةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ قِيلَ: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾[3] دُونَ مُرْضِعٍ؟

قُلْتُ: الْمُرْضِعَةُ الَّتِي هِيَ فِي حَالِ الإرضاعِ مُلْقِمَةٌ ثَدْيَهَا الصَّبِيَّ، وَالْمُرْضِعُ: الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ تُرْضِعَ، وَإِنْ لَمْ تُبَاشِرِ الإرضاعَ فِي حَالِ وَصْفِهَا بِهِ، فَقِيلَ: مُرْضِعَةٌ؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْهَوْلَ إِذَا فُوجِئَتْ بِهِ هَذِهِ وَقَدْ أَلْقَمَتِ الرَّضِيعَ ثَدْيَهَا، نَزَعَتْهُ عَنْ فِيهِ،

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

لِمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الدَّهْشَةِ، ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾[1]: عَنْ إِرْضَاعِهَا، أَوْ عَنِ الَّذِي أَرْضَعَتْهُ، وَهُوَ الطِّفْلُ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: تَذْهَلُ الْمُرْضِعَةُ عَنْ وَلَدِهَا لِغَيْرِ فِطَامٍ، وَتَضَعُ الْحَامِلُ مَا فِي بَطْنِهَا لِغَيْرِ تَمَامٍ.

قُرِئَ: ﴿وَتَرَى﴾[2]: بِالضَّمِّ مِنْ أَرَيْتُكَ قَائِمًا، أَوْ رُؤْيَتُكَ قَائِمًا، وَ﴿النَّاسَ﴾[3]: مَنْصُوبٌ وَمَرْفُوعٌ، وَالنَّصْبُ ظَاهِرٌ، وَمَنْ رَفَعَ جَعَلَ النَّاسَ اسْمَ تَرَى، وَأَنَّثَهُ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَمَاعَةِ.

وَقُرِئَ: "سَكْرَى"، وَ"بِسَكْرَى"، وَهُوَ نَظِيرُ: جَوْعَى وَعَطْشَى، فِي جَوْعَانَ وَعَطْشَانَ، وَسَكَارَى وَبِسَكَارَى؛ نَحْوَ: كَسَالَى وَعَجَالَى. وَعَنِ الْأَعْمَشِ: "سُكْرَى"، وَ"بِسُكْرَى" بِالضَّمِّ، وَهُوَ غَرِيبٌ.

وَالْمَعْنَى: وَتَرَاهُمْ سَكَارَى عَلَى التَّشْبِيهِ، وَمَا هُمْ بِسَكَارَى عَلَى التَّحْقِيقِ؛ وَلَكِنْ مَا رَهَقَهُمْ مِنْ خَوْفِ عَذَابِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَذْهَبَ عُقُولَهُمْ، وَطَيَّرَ تَمْيِيزَهُمْ، وَرَدَّهُمْ فِي نَحْوِ حَالِ مَنْ يَذْهَبُ السُّكْرُ بِعَقْلِهِ وَتَمْيِيزِهِ.

وَقِيلَ: وَتَرَاهُمْ سَكَارَى مِنَ الْخَوْفِ، وَمَا هُمْ بِسَكَارَى مِنَ الشَّرَابِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ قِيلَ أَوَّلًا: تَرَوْنَ، ثُمَّ قِيلَ: تَرَى، عَلَى الْإِفْرَادِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ أَوَّلًا عُلِّقَتْ بِالزَّلْزَلَةِ، فَجَعَلَ النَّاسَ جَمِيعًا رَائِينَ لَهَا، وَهِيَ مُعَلَّقَةٌ أَخِيرًا بِكَوْنِ النَّاسِ عَلَى حَالِ السُّكْرِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُجْعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَائِيًا لِسَائِرِهِمْ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[4]

قِيلَ: نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَانَ جَدِلًا يَقُولُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَالْقُرْآنُ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَاللَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ مَنْ بَلِيَ وَصَارَ تُرَابًا، وَهِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

تَعَاطَى الْجِدَالَ فِيمَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ وَمَا لَا يَجُوزُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَلَا يَرْجِعُ إِلَى عِلْمٍ وَلَا يَعَضُّ فِيهِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ، وَلَيْسَ فِيهِ اتِّبَاعٌ لِلْبُرْهَانِ وَلَا نُزُولٌ عَلَى النَّصَفَةِ، فَهُوَ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاءَ، غَيْرُ فَارِقٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

﴿وَيَتَّبِعُ﴾[1]: فِي ذَلِكَ خُطُوَاتِ ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ﴾[2]: عَاتٍ، عُلِمَ مِنْ حَالِهِ وَظَهَرَ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ مَنْ جَعَلَهُ وَلِيًّا لَهُ لَمْ تُثْمِرْ لَهُ وِلَايَتُهُ إِلَّا الْإِضْلَالَ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ وَالْهِدَايَةِ إِلَى النَّارِ.

وَمَا أَرَى رُؤَسَاءَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَالْحَشْوِيَّةِ الْمُتَلَقِّبِينَ بِالْإِمَامَةِ فِي دِينِ اللَّهِ إِلَّا دَاخِلِينَ تَحْتَ كُلِّ هَذَا دُخُولًا أَوَلِيًّا، بَلْ هُمْ أَشَدُّ الشَّيَاطِينِ إِضْلَالًا وَأَقْطَعُهُمْ لِطَرِيقِ الْحَقِّ؛ حَيْثُ دَوَّنُوا الضَّلَالَ تَدْوِينًا، وَلَقَّنُوهُ أَشْيَاعَهُمْ تَلْقِينًا، وَكَأَنَّهُمْ سَاطُوهُ بِلُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ؛ وَإِيَّاهُمْ عَنِيَ مَنْ قَالَ:

وَيَا رُبَّ مَقْفُوِّ الْخُطَا بَيْنَ قَوْمِـــــهِ ... طَرِيقُ نَجَاةٍ عِنْدَهُمْ مُسْتَوٍ نَهْجُ

وَلَوْ فَرَؤُوا فِي اللَّوْحِ مَا خُطَّ فِيهِ مِنْ ... بَيَانِ اعْوِجَاجٍ فِي طَرِيقَتِهِ عَجُّوا

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى الْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَضِيتَهُ لِمَلَائِكَتِكَ فِي سَمَاوَاتِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ فِي أَرْضِكَ، وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَالْكَتْبَةُ عَلَيْهِ مَثَلٌ، أَيْ: كَأَنَّمَا كُتِبَ إِضْلَالُ مَنْ يَتَوَلَّاهُ عَلَيْهِ وَرُقِمَ بِهِ لِظُهُورِ ذَلِكَ فِي حَالِهِ.

وَقُرِئَ: "أَنَّهُ"، "فَأَنَّهُ": بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، فَمَنْ فَتَحَ فَلِأَنَّ الْأَوَّلَ: فَاعِلُ كَتَبَ، وَالثَّانِيَ: عُطِفَ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَسَرَ فَعَلَى حِكَايَةِ الْمَكْتُوبِ كَمَا هُوَ؛ كَأَنَّمَا كُتِبَ عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامُ، كَمَا تَقُولُ: كَتَبْتُ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ: قِيلَ، أَوْ عَلَى أَنَّ كُتِبَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مِنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مِنْ يُرَدُّ إِلَى

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنَ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأرض هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنَ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[1]

قَرَأَ الْحَسَنُ: "مِنَ الْبَعَثِ": بِالتَّحْرِيكِ، وَنَظِيرُهُ: الْجَلَبُ وَالطَّرَدُ، فِي الْجَلْبِ وَالطَّرْدِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنِ ارْتَبْتُمْ فِي الْبَعْثِ فَمُزِيلُ رَيْبِكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا فِي بَدْءِ خَلْقِكُمْ، وَالْعَلَقَةُ: قِطْعَةُ الدَّمِ الْجَامِدَةُ، وَالْمُضْغَةُ: اللُّحْمَةُ الصَّغِيرَةُ قَدْرَ مَا يُمْضَغُ، وَالْمُخَلَّقَةُ: الْمُسَوَّاةُ الْمَلْسَاءُ مِنَ النُّقْصَانِ وَالْعَيْبِ، يُقَالُ: خَلَقَ السِّوَاكَ وَالْعُودَ: إِذَا سَوَّاهُ وَمَلَّسَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: صَخْرَةٌ خَلْقَاءُ، وَإِذَا كَانَتْ مَلْسَاءَ؛ كَأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– يَخْلُقُ الْمُضَغَ مُتَفَاوِتَةً: مِنْهَا مَا هُوَ كَامِلُ الْخِلْقَةِ أَمْلَسُ مِنَ الْعُيُوبِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَلَى عَكْسِ ذَلِكَ، فَيَتْبَعُ ذَلِكَ التَّفَاوُتَ تَفَاوُتُ النَّاسِ فِي خَلْقِهِمْ، وَصُوَرِهِمْ وَطُولِهِمْ وَقِصَرِهِمْ، وَتَمَامِهِمْ وَنُقْصَانِهِمْ.

وَإِنَّمَا نَقَلْنَاكُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَمِنْ خِلْقَةٍ إِلَى خِلْقَةٍ: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[2]: بِهَذَا التَّدْرِيجِ قُدْرَتَنَا وَحِكْمَتَنَا، وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ الْبَشَرِ مِنْ تُرَابٍ أَوَّلًا، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثَانِيًا وَلَا تَنَاسُبَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ، وَقَدَرَ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ النُّطْفَةَ عَلَقَةً وَبَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ ظَاهِرٌ، ثُمَّ يَجْعَلُ الْعَلَقَةَ مُضْغَةً وَالْمُضْغَةَ عِظَامًا: قَدَرَ عَلَى إِعَادَةِ مَا أَبْدَأَهُ، بَلْ هَذَا أَدْخَلُ فِي الْقُدْرَةِ مِنْ تِلْكَ، وَأَهْوَنُ فِي الْقِيَاسِ، وَوُرُودُ الْفِعْلِ غَيْرَ مُعَدًّى إِلَى الْمُبَيَّنِ: إِعْلَامٌ بِأَنَّ أَفْعَالَهُ هَذِهِ يَتَبَيَّنُ بِهَا مِنْ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ مَا لَا يَكْتَنِهُهُ الذِّكْرُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: "لِيُبَيِّنَ لَكُمْ"، وَيُقِرُّ، بِالْيَاءِ.

وَقُرِئَ: "وَنُقِرَّ"، وَ"نُخْرِجَكُمْ": بِالنُّونِ وَالنَّصْبِ، وَ"يُقِرَّ"، وَ"يُخْرِجَكُمْ"، وَ"يُقِرُّ"، وَ"يُخْرِجُكُمْ": بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ.

وَعَنْ يَعْقُوبَ: "نُقُرُّ": بِالنُّونِ وَضَمِّ الْقَافِ، مِنْ قَرَّ الْمَاءَ إِذَا صَبَّهُ، فَالْقِرَاءَةُ بِالرَّفْعِ إِخْبَارٌ بِأَنَّهُ يُقِرُّ، ﴿فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾[3]: أَنْ يُقِرَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[4]: وَهُوَ وَقْتُ الْوَضْعِ آخِرُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، أَوْ تِسْعَةٍ، أَوْ سَنَتَيْنِ، أَوْ أَرْبَعٍ، أَوْ كَمَا شَاءَ

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَقَدَّرَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ إِقْرَارَهُ مَجَّتْهُ الْأَرْحَامُ أَوْ أَسْقَطَتْهُ، وَالْقِرَاءَةُ بِالنَّصْبِ: تَعْلِيلٌ مَعْطُوفٌ عَلَى تَعْلِيلٍ، وَمَعْنَاهُ: خَلَقْنَاكُمْ مُدَرَّجِينَ هَذَا التَّدْرِيجَ لِغَرَضَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ نُبَيِّنَ قُدْرَتَنَا.

– وَالثَّانِي: أَنَّ نُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَنْ نُقِرُّ، حَتَّى يُولَدُوا وَيَنْشَؤُوا وَيَبْلُغُوا حَدَّ التَّكْلِيفِ فَأُكَلِّفَهُمْ.

وَيُعَضِّدُ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾[1]، وَحْدَهُ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ الدَّلَالَةُ عَلَى الْجِنْسِ، وَيُحْتَمَلُ: نُخْرِجُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ طِفْلًا، الْأَشُدُّ: كَمَالُ الْقُوَّةِ وَالْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ، وَهُوَ مِنْ أَلْفَاظِ الْجُمُوعِ الَّتِي لَمْ يُسْتَعْمَلْ لَهَا وَاحِدٌ كَالْأَسِدَّةِ وَالْقُتُودِ وَالْأَبَاطِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَأَنَّهَا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَبُنِيَتْ لِذَلِكَ عَلَى لَفْظِ الْجَمْعِ.

وَقُرِئَ "وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى"، أَيْ: يَتَوَفَّاهُ اللَّهُ.

﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾[2]: الْهَرَمِ وَالْخَرَفِ، حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ الْأُولَى فِي أَوَانِ طُفُولَتِهِ: ضَعِيفُ الْبِنْيَةِ، سَخِيفُ الْعَقْلِ، قَلِيلُ الْفَهْمِ، بَيَّنَ أَنَّهُ كَمَا قَدَرَ عَلَى أَنْ يُرَقِّيَهُ فِي دَرَجَاتِ الزِّيَادَةِ حَتَّى يُبَلِّغَهُ حَدَّ التَّمَامِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحُطَّهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى الْحَالَةِ السُّفْلَى، ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[3]، أَيْ: لِيَصِيرَ نَسَّاءَ، بِحَيْثُ إِذْ كَسَبَ عِلْمًا فِي شَيْءٍ لَمْ يَنْشَبْ أَنْ يَنْسَاهُ وَيَزِلَّ عَنْهُ عِلْمُهُ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْهُ مِنْ سَاعَتِهِ، يَقُولُ لَكَ: مَنْ هَذَا؟ فَتَقُولُ: فُلَانٌ، فَمَا يَلْبَثُ لَحْظَةً إِلَّا سَأَلَكَ عَنْهُ.

وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو "الْعُمْرِ": بِسُكُونِ الْمِيمِ.

الْهَامِدَةُ: الْمَيِّتَةُ الْيَابِسَةُ؛ وَهَذِهِ دَلَالَةٌ ثَانِيَةٌ عَلَى الْبَعْثِ، وَلِظُهُورِهَا وَكَوْنِهَا مُشَاهَدَةً مُعَايَنَةً، كَرَّرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ.

﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[4]: تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ وَانْتَفَخَتْ.

وَقُرِئَ: "رَبَأَتْ"، أَيِ: ارْتَفَعَتْ، الْبَهِيجُ: الْحَسَنُ السَّارُّ لِلنَّاظِرِ إِلَيْهِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية 55.

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[1]

أَيْ: ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ خَلْقِ بَنِي آدَمَ وَإِحْيَاءِ الأرض، مَعَ مَا فِي تَضَاعِيفِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْحِكَمِ وَاللَّطَائِفِ، حَاصِلٌ بِهَذَا، وَهُوَ السَّبَبُ فِي حُصُولِهِ، وَلَوْلَاهُ لَمْ يُتَصَوَّرْ كَوْنُهُ، وَهُوَ: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾[2]، أَيِ: الثَّابِتُ الْمَوْجُودُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَعَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ، وَأَنَّهُ حَكِيمٌ لَا يُخْلِفُ مِيعَادَهُ، وَقَدْ وَعَدَ السَّاعَةَ وَالْبَعْثَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَفِيَ بِمَا وَعَدَ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[3]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ.

وَقِيلَ: كُرِّرَ كَمَا كُرِّرَتْ سَائِرُ الْأَقَاصِيصِ.

وَقِيلَ: الْأَوَّلُ فِي الْمُقَلِّدِينَ، وَهَذَا فِي الْمُقَلَّدِينَ.

وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ: الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ، وَبِالْهُدَى: الِاسْتِدْلَالُ وَالنَّظَرُ؛ لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْمَعْرِفَةِ، وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ: الْوَحْيُ، أَيْ: يُجَادِلُ بِظَنٍّ وَتَخْمِينٍ، لَا بِأَحَدِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَثَنَّى الْعَطْفَ: عِبَارَةً عَنِ الْكِبْرِ وَالْخُيَلَاءِ، كَتَصْعِيرِ الْخَدِّ وَلَيِّ الْجِيدِ.

وَقِيلَ: عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الذِّكْرِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: "ثَانِيَ عِطْفِهِ"، بِفَتْحِ الْعَيْنِ، أَيْ: مَانِعٌ تَعَطُّفَهُ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿لِيُضِلَّ﴾[1]: تَعْلِيلٌ لِلْمُجَادَلَةِ.

قُرِئَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا كَانَ غَرَضُهُ مِنْ جِدَالِهِ الضَّلَالَ: ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، فَكَيْفَ عَلَّلَ بِهِ؟ وَمَا كَانَ أَيْضًا– مُهْتَدِيًا حَتَّى إِذَا جَادَلَ خَرَجَ بِالْجِدَالِ مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ؟

قُلْتُ: لَمَّا أَدَّى جِدَالُهُ إِلَى الضَّلَالِ، جُعِلَ كَأَنَّهُ غَرَضُهُ، وَلَمَّا كَانَ الْهُدَى مُعْرِضًا لَهُ فَتَرَكَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ وَأَقْبَلَ عَلَى الْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، جُعِلَ كَالْخَارِجِ مِنَ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ، وَخِزْيُهُ: مَا أَصَابَهُ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الصَّغَارِ وَالْقَتْلِ، وَالسَّبَبُ فِيمَا مُنِيَ بِهِ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ: هُوَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، وَعَدْلُ اللَّهِ فِي مُعَاقَبَتِهِ الْفُجَّارَ وَإِثَابَتِهِ الصَّالِحِينَ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[3]

﴿عَلَى حَرْفٍ﴾[4]: عَلَى طَرَفٍ مِنَ الدِّينِ لَا فِي وَسَطِهِ وَقَلْبِهِ، وَهَذَا مَثَلٌ؛ لِكَوْنِهِمْ عَلَى قَلَقٍ وَاضْطِرَابٍ فِي دِينِهِمْ، لَا عَلَى سُكُونٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، كَالَّذِي يَكُونُ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الْعَسْكَرِ، فَإِنْ أَحَسَّ بِظَفَرٍ وَغَنِيمَةٍ قَرَّ وَاطْمَأَنَّ، وَإِلَّا فَرَّ وَطَارَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالُوا: نَزَلَتْ فِي أَعَارِيبَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا صَحَّ بَدَنُهُ وَنَتَجَتْ فَرَسُهُ مُهْرًا سَرِيًّا، وَوَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلَامًا سَوِيًّا، وَكَثُرَ مَالُهُ وَمَا شِيَتُهُ، قَالَ: مَا أَصَبْتُ مُنْذُ دَخَلْتُ فِي دِينِي هَذَا إِلَّا خَيْرًا، وَاطْمَأَنَّ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِهِ، قَالَ: مَا أَصَبْتُ إِلَّا شَرًّا، وَانْقَلَبَ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمَ فَأَصَابَتْهُ مَصَائِبُ، فَتَشَاءَمَ بِالْإِسْلَامِ، فَأَتَى النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: أَقِلْنِي، فَقَالَ: "إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُقَالُ

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

"؛ فَنَزَلَتْ. الْمُصَابُ بِالْمِحْنَةِ بِتَرْكِ التَّسْلِيمِ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَالْخُرُوجِ إِلَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ: جَامِعٌ عَلَى نَفْسِهِ مِحْنَتَيْنِ:

– إِحْدَاهُمَا: ذَهَابُ مَا أُصِيبَ بِهِ.

– وَالثَّانِيَةُ: ذَهَابُ ثَوَابِ الصَّابِرِينَ، فَهُوَ خُسْرَانُ الدَّارَيْنِ.

وَقُرِئَ: "خَاسِرٌ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ": بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ، فَالنَّصْبُ: عَلَى الْحَالِ، وَالرَّفْعُ: عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، وَوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ، وَهُوَ وَجْهٌ حَسَنٌ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، اسْتُعِيرَ ﴿الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[1]: مِنْ ضَلَالِ مَنْ أَبْعَدَ فِي التِّيهِ ضَالًّا، فَطَالَتْ وَبَعُدَتْ مَسَافَةُ ضَلَالَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: الضَّرَرُ وَالنَّفْعُ مَنْفِيَّانِ عَنِ الْأَصْنَامِ مُثْبَتَانِ لَهَا فِي الْآيَتَيْنِ، وَهَذَا تَنَاقُضٌ.

قُلْتُ: إِذَا حَصَلَ الْمَعْنَى ذَهَبَ هَذَا الْوَهْمُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– سَفَّهَ الْكَافِرَ بِأَنَّهُ يَعْبُدُ جَمَادًا لَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَهُوَ يَعْتَقِدُ فِيهِ بِجَهْلِهِ وَضَلَالِهِ أَنَّهُ يُسْتَنْفَعُ بِهِ حِينَ يُسْتَشْفَعُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُولُ هَذَا الْكَافِرُ بِدُعَاءٍ وَصُرَاخٍ، حِينَ يَرَى اسْتِضْرَارَهُ بِالْأَصْنَامِ وَدُخُولَهُ النَّارَ بِعِبَادَتِهَا، وَلَا يَرَى أَثَرَ الشَّفَاعَةِ الَّتِي ادَّعَاهَا لَهَا، ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[2]: أَوْ كَرَّرَ يَدْعُو، كَأَنَّهُ قَالَ: يَدْعُو يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ، ثُمَّ قَالَ: لَمَنْ ضَرُّهُ بِكَوْنِهِ مَعْبُودًا أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ بِكَوْنِهِ شَفِيعًا لَبِئْسَ الْمَوْلَى، وَفِي حَرْفِ عَبْدِ اللَّهِ: "مَنْ ضَرُّهُ": بِغَيْرِ لَامٍ، الْمَوْلَى: النَّاصِرُ، وَالْعَشِيرُ: الصَّاحِبُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾[3].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[4]

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الزُّخْرُفِ، الآية 38.

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

هَذَا كَلَامٌ قَدْ دَخَلَهُ اخْتِصَارٌ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ رَسُولَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ كَانَ يَظُنُّ مِنْ حَاسِدِيهِ وَأَعَادِيهِ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ خِلَافَ ذَلِكَ وَيَطْمَعُ فِيهِ، وَيَغِيظُهُ أَنَّهُ يَظْفَرُ بِمَطْلُوبِهِ، فَلْيَسْتَقْصِ وُسْعَهُ وَلْيَسْتَفْرِغْ مَجْهُودَهُ فِي إِزَالَةِ مَا يَغِيظُهُ، بِأَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ مَنْ بَلَغَ مِنْهُ الْغَيْظُ كُلَّ مَبْلَغٍ حَتَّى مَدَّ حَبْلًا إِلَى سَمَاءِ بَيْتِهِ فَاخْتَنَقَ، فَلْيَنْظُرْ وَلْيُصَوِّرْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ هَلْ يَذْهَبُ نَصْرُ اللَّهِ الَّذِي يَغِيظُهُ؟

وَسُمِّيَ الِاخْتِنَاقُ قَطْعًا؛ لِأَنَّ الْمُخْتَنِقَ يَقْطَعُ نَفَسَهُ بِحَبْسِ مَجَارِيهِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْبَهْرِ: الْقَطْعُ، وَسُمِّيَ فِعْلُهُ كَيْدًا؛ لِأَنَّهُ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْكَيْدِ؛ حَيْثُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِهْزَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُكِدْ بِهِ مَحْسُودَهُ إِنَّمَا كَادَ بِهِ نَفْسَهُ، وَالْمُرَادُ: لَيْسَ فِي يَدِهِ إِلَّا مَا لَيْسَ بِمُذْهِبٍ لِمَا يَغِيظُهُ.

وَقِيلَ: فَلْيَمْدُدْ بِحَبْلٍ إِلَى السَّمَاءِ الْمُظِلَّةِ، وَلْيَصْعَدْ عَلَيْهِ فَلْيَقْطَعِ الْوَحْيَ أَوْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: كَانَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِشِدَّةِ غَيْظِهِمْ وَحَنَقِهِمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَسْتَبْطِؤُونَ مَا وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنَ النَّصْرِ، وَآخَرُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُرِيدُونَ اتِّبَاعَهُ وَيَخْشَوْنَ أَنْ لَا يَثْبُتَ أَمْرُهُ؛ فَنَزَلَتْ، وَقَدْ فُسِّرَ النَّصْرُ: بِالرِّزْقِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّ الْأَرْزَاقَ بِيَدِ اللَّهِ، لَا تُنَالُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ وَلَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنَ الرِّضَا بِقِسْمَتِهِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ رَازِقِهِ وَلَيْسَ بِهِ صَبْرٌ وَاسْتِسْلَامٌ، فَلْيَبْلُغْ غَايَةَ الْجَزَعِ وَهُوَ الِاخْتِنَاقُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَقْلِبُ الْقِسْمَةَ وَلَا يَرُدُّهُ مَرْزُوقًا.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾[1]

أَيْ: وَمِثْلُ ذَلِكَ الْإِنْزَالِ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ كُلَّهُ، ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[2].

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾[1]: بِهِ الَّذِينَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ، أَوْ يُثَبِّتُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَزِيدُهُمْ هُدًى، أَنْزَلَهُ كَذَلِكَ مُبَيَّنًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا
إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]

الْفَصْلُ مُطْلَقٌ يَحْتَمِلُ الْفَصْلَ بَيْنَهُمْ فِي الْأَحْوَالِ وَالْأَمَاكِنِ جَمِيعًا، فَلَا يُجَازِيهِمْ جَزَاءً وَاحِدًا بِغَيْرِ تَفَاوُتٍ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ فِي مَوْطِنٍ وَاحِدٍ.

وَقِيلَ: الْأَدْيَانُ خَمْسَةٌ: أَرْبَعَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَوَاحِدٌ لِلرَّحْمَنِ، جُعِلَ الصَّابِئُونَ مَعَ النَّصَارَى؛ لِأَنَّهُمْ نَوْعٌ مِنْهُمْ.

وَقِيلَ: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾[3]: يَقْضِي بَيْنَهُمْ، أَيْ: بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَأُدْخِلَتْ: ﴿إِنَّ﴾[4] عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ جُزْأَيِ الْجُمْلَةِ؛ لِزِيَادَةِ التَّوْكِيدِ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرْبَلَهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرض وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مَنْ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ
وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مَنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[5]

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .
[2] سورة الْحَجِّ، الآية .
[3] سورة الْحَجِّ، الآية .
[4] سورة الْحَجِّ، الآية .
[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

سُمِّيَتْ مُطَاوَعَتُهَا لَهُ فِيمَا يُحْدِثُ فِيهَا مِنْ أَفْعَالِهِ وَيُجْرِيهَا عَلَيْهِ مِنْ تَدْبِيرِهِ وَتَسْخِيرِهِ لَهَا: سُجُودًا لَهُ؛ تَشْبِيهًا لِمُطَاوَعَتِهَا بِإِدْخَالِ أَفْعَالِ الْمُكَلَّفِ فِي بَابِ الطَّاعَةِ وَالِانْقِيَادِ، وَهُوَ السُّجُودُ الَّذِي كَلُّ خُضُوعٍ دُونَهُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾[1]، وَبِمَا فِيهِ مِنَ الِاعْتِرَاضَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ السُّجُودَ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي فَسَّرْتَهُ بِهِ، لَا يَسْجُدُهُ بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ.

– وَالثَّانِي: أَنَّ السُّجُودَ قَدْ أُسْنِدَ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ إِلَى مَنْ فِي الأرض مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَوَّلًا، فَإِسْنَادُهُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ آخِرًا مُنَاقَضَةٌ؟

قُلْتُ: لَا أَنْظِمُ كَثِيرًا فِي الْمُفْرَدَاتِ الْمُتَنَاسِقَةِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ حُكْمِ الْفِعْلِ؛ وَإِنَّمَا أَرْفَعُهُ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿يَسْجُدُ﴾[2]، أَيْ: وَيَسْجُدُ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ سُجُودَ طَاعَةٍ وَعِبَادَةٍ، وَلَمْ أَقُلْ: أُفَسِّرُ يَسْجُدُ الَّذِي هُوَ ظَاهِرٌ بِمَعْنَى: الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ الْوَاحِدَ لَا يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، أَوْ أَرْفَعُهُ عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ وَهُوَ مُثَابٌ؛ لِأَنَّ خَبَرَ مُقَابِلِهِ يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾[3]، وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ ﴿مِنَ النَّاسِ﴾[4]: خَبَرًا لَهُ، أَيْ: مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ هُمُ النَّاسُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَهُمُ الصَّالِحُونَ وَالْمُتَّقُونَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُبَالَغَ فِي تَكْثِيرِ الْمَحْقُوقِينَ بِالْعَذَابِ، فَيُعْطَفُ كَثِيرٌ عَلَى كَثِيرٍ، ثُمَّ يُخْبَرُ عَنْهُمْ بِحُقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَكَثِيرٌ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ حُقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ.

وَقُرِئَ: "حُقَّ": بِالضَّمِّ، وَقُرِئَ: "حَقًّا"، أَيْ: حُقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ حَقًّا، وَمَنْ أَهَانَهُ اللَّهُ –بِأَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ الشَّقَاوَةَ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ مِنْ كُفْرِهِ أَوْ فِسْقِهِ–، فَقَدْ بَقِيَ مُهَانًا، لَنْ تَجِدَ لَهُ مُكْرِمًا.

وَقُرِئَ: "مُكْرَمٌ"، بِفَتْحِ الرَّاءِ، بِمَعْنَى: الْإِكْرَامِ، إِنَّهُ ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[5] مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِهَانَةِ؛ وَلَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا يَقْتَضِيهِ عَمَلُ الْعَامِلِينَ وَاعْتِقَادُ الْمُعْتَقِدِينَ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[1]

الْخَصْمُ: صِفَةٌ وُصِفَ بِهَا الْفَوْجُ أَوِ الْفَرِيقُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: هَذَانِ فَوْجَانِ أَوْ فَرِيقَانِ مُخْتَصِمَانِ، وَقَوْلُهُ: ﴿هَذَانِ﴾[2]:لِلَّفْظِ وَ﴿اخْتَصَمُوا﴾[3]: لِلْمَعْنَى؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا﴾[4].

وَلَوْ قِيلَ: هَؤُلَاءِ خَصْمَانِ، أَوِ اخْتَصَمَا: جَازَ، يُرَادُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَجَعَ إِلَى أَهْلِ الْأَدْيَانِ السِّتَّةِ، ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾[5]، أَيْ: فِي دِينِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِاللَّهِ، وَأَقْدَمُ مِنْكُمْ كِتَابًا، وَنَبِيُّنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ، وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِاللَّهِ، آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ، وَآمَنَّا بِنَبِيِّكُمْ وَبِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ، وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ كِتَابَنَا وَنَبِيَّنَا ثُمَّ تَرَكْتُمُوهُ وَكَفَرْتُمْ بِهِ حَسَدًا، فَهَذِهِ خُصُومَتُهُمْ فِي رَبِّهِمْ، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾[6]: هُوَ فَصْلُ الْخُصُومَةِ الْمُعْنَى بِقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[7].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ الْكِسَائِيِّ: "خِصْمَانِ": بِالْكَسْرِ.

وَقُرِئَ: "قُطِعَتْ": بِالتَّخْفِيفِ، كَأَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– يُقَدِّرُ لَهُمْ نِيرَانًا عَلَى مَقَادِيرِ جُثَثِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِمْ كَمَا تُقَطَّعُ الثِّيَابُ الْمَلْبُوسَةُ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة مُحَمَّدَ، الآية 16.

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْحَجِّ، الآية .

[7] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ تُظَاهَرَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تِلْكَ النِّيرَانُ كَالثِّيَابِ الْمُظَاهَرَةِ عَلَى اللَّابِسِ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ؛ وَنَحْوُهُ: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[1].

﴿الْحَمِيمُ﴾[2]: الْمَاءُ الْحَارُّ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَوْ سَقَطَتْ مِنْهُ نُقْطَةٌ عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا لَأَذَابَتْهَا، ﴿يُصْهَرُ﴾[3]: يُذَابُ.

وَعَنِ الْحَسَنِ بِتَشْدِيدِ الْهَاءِ لِلْمُبَالَغَةِ، أَيْ: إِذَا صُبَّ الْحَمِيمُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَانَ تَأْثِيرُهُ فِي الْبَاطِنِ نَحْوَ تَأْثِيرِهِ فِي الظَّاهِرِ، فَيُذِيبُ أَحْشَاءَهُمْ وَأَمْعَاءَهُمْ كَمَا يُذِيبُ جُلُودَهُمْ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[4].

وَالْمَقَامِعُ: السِّيَاطُ، فِي الْحَدِيثِ:" لَوْ وُضِعَتْ مِقْمَعَةٌ مِنْهَا فِي الأرض فَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلَانِ مَا أَقَلُّوهَا".

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "رَدُّوا فِيهَا"، وَالْإِعَادَةُ وَالرَّدُّ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْخُرُوجِ، فَالْمَعْنَى: كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ فَخَرَجُوا أُعِيدُوا فِيهَا.

وَمَعْنَى الْخُرُوجِ: مَا يُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ النَّارَ تَضْرِبُهُمْ بِلَهَبِهَا فَتَرْفَعُهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي أَعْلَاهَا ضُرِبُوا بِالْمَقَامِعِ فَهَوَوْا فِيهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا، ﴿و﴾[5] قِيلَ لَهُمْ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[6].

وَ﴿الْحَرِيقِ﴾[7]: الْغَلِيظُ مِنَ النَّارِ الْمُنْتَشِرُ الْعَظِيمُ الْإِهْلَاكِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية 50.
[2] سورة الْحَجِّ، الآية .
[3] سورة الْحَجِّ، الآية .
[4] سورة مُحَمَّدَ، الآية 15.
[5] سورة الْحَجِّ، الآية .
[6] سورة الْحَجِّ، الآية .
[7] سورة الْحَجِّ، الآية .

الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]

﴿يُحَلَّوْنَ﴾[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ حَلِيَتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ حَالٍ، ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾[3]: بِالنَّصْبِ عَلَى: ﴿وَيُؤْتُونَ لُؤْلُؤًا﴾[4]؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَحُورًا عِينًا﴾[5]، وَ﴿لُؤْلُؤًا﴾[6]: بِقَلْبِ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ وَاوًا، وَلُولِيًا؛ بِقَلْبِهِمَا وَاوَيْنِ، ثُمَّ بِقَلْبِ الثَّانِيَةِ يَاءً كَأُدْلٍ، وَلُولٍ كَأُدْلٍ فِيمَنْ جَرَّ، وَلُولُؤٌ، وَلِيلِيًا، بِقَلْبِهِمَا يَاءَيْنِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَهَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَلْهَمَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَهَدَاهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ: فُلَانٌ يُحْسِنُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَيُنْعِشُ الْمُصْطَهَدِينَ، لَا يُرَادُ حَالٌ وَلَا اسْتِقْبَالٌ؛ وَإِنَّمَا يُرَادُ اسْتِمْرَارُ وُجُودِ الْإِحْسَانِ مِنْهُ وَالنَّعْشَةِ فِي جَمِيعِ أَزْمِنَتِهِ وَأَوْقَاتِهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[7]، أَيِ: الصُّدُودُ مِنْهُمْ مُسْتَمِرٌّ دَائِمٌ، ﴿لِلنَّاسِ﴾[8]، أَيِ: الَّذِينَ يَقَعُ عَلَيْهِمُ اسْمُ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ حَاضِرٍ وَبَادٍ وَتَانِئٍ وَطَارِئٍ وَمَكِّيٍّ وَآفَاقِيٍّ.

وَقَدِ اسْتَشْهَدَ بِهِ أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ قَائِلِينَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: مَكَّةُ، عَلَى امْتِنَاعِ جَوَازِ بَيْعِ دُورِ مَكَّةَ وَإِجَارَتِهَا.

---

1 سورة الْحَجِّ، الآية .
2 سورة الْحَجِّ، الآية .
3 سورة الْحَجِّ، الآية .
4 سورة الْحَجِّ، الآية .
5 سورة الْحَجِّ، الآية .
6 سورة الْحَجِّ، الآية .
7 سورة الْحَجِّ، الآية .
8 سورة الْحَجِّ، الآية .

وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: لَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ، وَقَدْ حَاوَرَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، فَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾[1]، وَقَالَ: أَنْسَبَ الدِّيَارَ إِلَى مَالِكِيهَا، أَوْ غَيْرِ مَالِكِيهَا.

وَاشْتَرَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- دَارَ السِّجْنِ مِنْ مَالِكِيهِ أَوْ غَيْرِ مَالِكِيهِ، "سَوَآءً" بِالنَّصْبِ: قِرَاءَةُ حَفْصٍ، وَالْبَاقُونَ عَلَى الرَّفْعِ، وَوَجْهُ النَّصْبِ أَنَّهُ ثَانِي مَفْعُولَيْ جَعَلْنَاهُ، أَيْ: جَعَلْنَاهُ مُسْتَوِيًا، ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾[2]: وَفِي الْقِرَاءَةِ بِالرَّفْعِ، الْجُمْعَةُ مَفْعُولٌ ثَانٍ، الْإِلْحَادُ: الْعُدُولُ عَنِ الْقَصْدِ، وَأَصْلُهُ: إِلْحَادُ الْحَافِرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾[3]: حَالَانِ مُتَرَادِفَتَانِ، وَمَفْعُولُ "يُرِدْ": مَتْرُوكٌ لِيَتَنَاوَلَ كُلَّ مُتَنَاوَلٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ مُرَادًا مَا عَادِلًا عَنِ الْقَصْدِ ظَالِمًا، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]، يَعْنِي: أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى مَنْ كَانَ فِيهِ أَنْ يَضْبُطَ نَفْسَهُ وَيَسْلُكَ طَرِيقَ السَّدَادِ وَالْعَدْلِ فِي جَمِيعِ مَا يَهُمُّ بِهِ وَيَقْصِدُهُ.

وَقِيلَ: الْإِلْحَادُ فِي الْحَرَمِ: مَنْعُ النَّاسِ عَنْ عِمَارَتِهِ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الِاحْتِكَارُ.

وَعَنْ عَطَاءٍ: قَوْلُ الرَّجُلِ فِي الْمُبَايَعَةِ: "لَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ فُسْطَاطَانِ: أَحَدُهُمَا: فِي الْحِلِّ، وَالْآخَرُ: فِي الْحَرَمِ؛ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُعَاتِبَ أَهْلَهُ عَاتَبَهُمْ فِي الْحِلِّ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ مِنَ الْإِلْحَادِ فِيهِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: "لَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ".

وَقُرِئَ: "يَرِدْ": بِفَتْحِ الْيَاءِ مِنَ الْوُرُودِ، وَمَعْنَاهُ: مَنْ أَتَى فِيهِ بِإِلْحَادٍ ظَالِمًا.

وَعَنِ الْحَسَنِ: وَمَنْ يُرِدْ إِلْحَادَهُ بِظُلْمٍ، أَرَادَ: إِلْحَادًا فِيهِ، فَأَضَافَهُ عَلَى الِاتِّسَاعِ فِي الظَّرْفِ، كَمَكْرِ اللَّيْلِ، وَمَعْنَاهُ: مَنْ يُرِدْ أَنْ يُلْحِدَ فِيهِ ظَالِمًا، وَخَبَرُ إِنَّ: مَحْذُوفٌ؛ لِدَلَالَةِ جَوَابِ الشَّرْطِ عَلَيْهِ، تَقْدِيرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ نُذِيقُهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، وَكُلُّ مَنِ ارْتَكَبَ فِيهِ ذَنْبًا فَهُوَ كَذَلِكَ.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: الْهَمَّةُ فِي الْحَرَمِ تُكْتَبُ ذَنْبًا.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية 40.

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1]

وَاذْكُرْ حِينَ جَعَلْنَا ﴿لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[2]: مَبَاءَةً، أَيْ: مَرْجِعًا يُرْجَعُ إِلَيْهِ لِلْعِمَارَةِ وَالْعِبَادَةِ، رُفِعَ الْبَيْتُ إِلَى السَّمَاءِ أَيَّامَ الطُّوفَانِ، وَكَانَ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ مَكَانَهُ بِرِيحٍ أَرْسَلَهَا يُقَالُ لَهَا الْخُجُوجُ، كَنَسَتْ مَا حَوْلَهُ، فَبَنَاهُ عَلَى أُسِّهِ الْقَدِيمِ، وَأَنْ هِيَ الْمُفَسِّرَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُ النَّهْيُ عَنِ الشِّرْكِ وَالْأَمْرُ بِتَطْهِيرِ الْبَيْتِ تَفْسِيرًا لِلتَّبْوِئَةِ؟

قُلْتُ: كَانَتِ التَّبْوِئَةُ مَقْصُودَةً مِنْ أَجْلِ الْعِبَادَةِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: تَعَبَّدْنَا إِبْرَاهِيمَ قُلْنَا لَهُ: ﴿لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾[3]: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَقْذَارِ أَنْ تُطْرَحَ حَوْلَهُ.

وَقُرِئَ: "يُشْرَكْ": بِالْيَاءِ عَلَى الْغَيْبَةِ.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[4]

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾: نَادِ فِيهِمْ.

وَقَرَأَ ابْنُ مُحَيْصِنٍ: "وَأَذِّنْ".

وَالنِّدَاءُ بِالْحَجِّ: أَنْ يَقُولَ: حُجُّوا، أَوْ عَلَيْكُمْ بِالْحَجِّ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ صَعِدَ أَبَا قُبَيْسٍ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، حُجُّوا بَيْتَ رَبِّكُمْ".

وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ خِطَابٌ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أُمِرَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿رِجَالا﴾[1] مُشَاةً جَمْعُ: رَاجِلٍ، كَقَائِمٍ وَقِيَامٍ.

وَقُرِئَ: "رُجَالًا": بِضَمِّ الرَّاءِ مُخَفَّفَ الْجِيمِ وَمُثَقَّلَةً، وَ"رَجَالَى" كَعَجَالَى.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾[2]: حَالٌ مَعْطُوفَةٌ عَلَى حَالٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: رِجَالًا وَرُكْبَانًا.

﴿يَأْتِينَ﴾[3] صِفَةٌ لِكُلِّ ضَامِرٍ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ.

وَقُرِئَ: "يَأْتُونَ": صِفَةٌ لِلرِّجَالِ وَالرُّكْبَانِ، وَالْعَمِيقُ: الْبَعِيدُ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "مُعِيقٌ "، يُقَالُ: بِئْرٌ بَعِيدَةُ الْعُمْقِ وَالْمَعْقِ.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[4]

نَكَّرَ الْمَنَافِعَ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ مَنَافِعَ مُخْتَصَّةً بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ دِينِيَّةً وَدُنْيَوِيَّةً لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: أَنَّهُ كَانَ يُفَاضِلُ بَيْنَ الْعِبَادَاتِ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ، فَلَمَّا حَجَّ فَضَّلَ الْحَجَّ عَلَى الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا؛ لِمَا شَاهَدَ مِنْ تِلْكَ الْخَصَائِصِ، وَكَنَّى عَنِ النَّحْرِ وَالذَّبْحِ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَا يَنْفَكُّونَ عَنْ ذِكْرِ اسْمِهِ إِذَا نَحَرُوا أَوْ ذَبَحُوا، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ فِيمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ اسْمُهُ، وَقَدْ حَسُنَ الْكَلَامُ تَحْسِينًا بَيِّنًا: أَنْ جَمَعَ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾[5]، وَقَوْلِهِ: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ﴾[6].

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَلَوْ قِيلَ: لِيَنْحَرُوا فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ، لَمْ تَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْحُسْنِ وَالرَّوْعَةِ، الْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ: أَيَّامُ الْعَشْرِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ، وَعِنْدَ صَاحِبَيْهِ: أَيَّامُ النَّحْرِ، الْبَهِيمَةُ: مُبْهَمَةٌ فِي كُلِّ ذَاتِ أَرْبَعٍ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَبُيِّنَتْ بِالْأَنْعَامِ: وَهِيَ الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالضَّأْنُ، وَالْمَعْزُ، الْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِنْهَا أَمْرُ إِبَاحَةٍ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا لَا يَأْكُلُونَ مِنْ نَسَائِكِهِمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَدْبًا، لِمَا فِيهِ مِنْ مُسَاوَاةِ الْفُقَرَاءِ وَمُوَاسَاتِهِمْ وَمِنَ اسْتِعْمَالِ التَّوَاضُعِ، وَمِنْ ثَمَّةَ اسْتَحَبَّ الْفُقَهَاءُ أَنْ يَأْكُلَ الْمُوَسِّعُ مِنْ أُضْحِيَتِهِ مِقْدَارَ الثُّلُثِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ بَعَثَ بِهَدْيٍ، وَقَالَ فِيهِ: إِذَا نَحَرْتَهُ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ وَابْعَثْ مِنْهُ إِلَعُتْبَةَ، يَعْنِي ابْنَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: "كُلُوا وَادَّخِرُوا وَانْتَجِرُوا".

﴿الْبَائِسَ﴾[1] الَّذِي أَصَابَهُ بُؤْسٌ، أَيْ: شِدَّةٌ، وَ﴿الْفَقِيرَ﴾[2]: الَّذِي أَضْعَفَهُ الْإِعْسَارُ.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[3]

قَضَاءُ التَّفَثِ: قَصُّ الشَّارِبِ وَالْأَظْفَارِ وَنَتْفُ الْإِبِطِ وَالِاسْتِحْدَادُ، وَالتَّفَثُ: الْوَسَخُ، فَالْمُرَادُ: قَضَاءُ إِزَالَةِ التَّفَثِ.

وَقُرِئَ: "وَلِيُوَفُّوا": بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ، ﴿نُذُورَهُمْ﴾[4]: مُوَاجِبُ حَجِّهِمْ، أَوْ مَا عَسَى يُنْذِرُونَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ فِي حَجِّهِمْ، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾[5]: طَوَافَ الْإِفَاضَةِ، وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ، وَيَقَعُ بِهِ تَمَامُ التَّحَلُّلِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَقِيلَ: طَوَافُ الصَّدْرِ، وَهُوَ طَوَافُ الْوَدَاعِ، ﴿الْعَتِيقِ﴾[1] الْقَدِيمُ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ عَنِ الْحَسَنِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: أُعْتِقَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، كَمْ مِنْ جَبَّارٍ سَارَ إِلَيْهِ لِيَهْدِمَهُ فَمَنَعَهُ اللَّهُ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: لَمْ يُمَلَّكْ قَطُّ. وَعَنْهُ: أُعْتِقَ مِنَ الْغَرَقِ.

وَقِيلَ: بَيْتٌ كَرِيمٌ، مِنْ قَوْلِهِمْ: عِتَاقُ الْخَيْلِ وَالطَّيْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ الْحَجَّاجُ فَلَمْ يُمْنَعْ. قُلْتُ: مَا قَصَدَ التَّسَلُّطَ عَلَى الْبَيْتِ؛ وَإِنَّمَا تَحَصَّنَ بِهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَاحْتَالَ لِإِخْرَاجِهِ ثُمَّ بَنَاهُ، وَلَمَّا قَصَدَ التَّسَلُّطَ عَلَيْهِ أَبَرْهَةُ، فُعِلَ بِهِ مَا فُعِلَ.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2]

﴿ذَلِكَ﴾[3]: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيِ: الْأَمْرُ وَالشَّأْنُ ذَلِكَ، كَمَا يُقَدِّمُ الْكَاتِبُ جُمْلَةً مِنْ كِتَابِهِ فِي بَعْضِ الْمَعَانِي، ثُمَّ إِذَا أَرَادَ الْخَوْضَ فِي مَعْنًى آخَرَ قَالَ: هَذَا وَقَدْ كَانَ كَذَا، وَالْحُرْمَةُ: مَا لَا يَحِلُّ هَتْكُهُ، وَجَمِيعُ مَا كَلَّفَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- بِهَذِهِ الصِّفَةِ مِنْ مَنَاسِكِ الْحَجِّ وَغَيْرِهَا، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا فِي جَمِيعِ تَكَالِيفِهِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَاصًّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَجِّ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: الْحُرُمَاتُ خَمْسٌ الْكَعْبَةُ الْحَرَامُ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَالْبَلَدُ الْحَرَامُ، وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ، وَالْمُحْرِمُ حَتَّى يَحِلَّ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾[4]، أَيْ فَالتَّعْظِيمُ خَيْرٌ لَهُ، وَمَعْنَى التَّعْظِيمِ: الْعِلْمُ بِأَنَّهَا وَاجِبَةُ الْمُرَاعَاةِ وَالْحِفْظِ وَالْقِيَامِ بِمُرَاعَاتِهَا، الْمَتْلُوُّ لَا يُسْتَثْنَى مِنَ

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

الْأَنْعَامِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى: ﴿إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[1]: آيَةُ تَحْرِيمِهِ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ﴾[2].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّ لَكُمُ الْأَنْعَامَ كُلَّهَا إِلَّا مَا اسْتَثْنَاهُ فِي كِتَابِهِ، فَحَافِظُوا عَلَى حُدُودِهِ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُحَرِّمُوا مِمَّا أُحِلَّ شَيْئًا، كَتَحْرِيمِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْبَحِيرَةَ وَالسَّائِبَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَأَنْ تُحِلُّوا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، كَإِحْلَالِهِمْ أَكْلَ الْمَوْقُوذَةِ وَالْمَيْتَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

لَمَّا حَثَّ عَلَى تَعْظِيمِ حُرُمَاتِهِ وَأَحْمَدَ مَنْ يُعَظِّمُهَا، أَتْبَعَهُ الْأَمْرَ بِاجْتِنَابِ الْأَوْثَانِ وَقَوْلِ الزُّورِ؛ لِأَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ وَنَفْيَ الشُّرَكَاءِ عَنْهُ وَصِدْقَ الْقَوْلِ، أَعْظَمُ الْحُرُمَاتِ وَأَسْبَقُهَا خَطْوًا، وَجُمِعَ الشِّرْكُ وَقَوْلُ الزُّورِ فِي قِرَانٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الشِّرْكَ مِنْ بَابِ الزُّورِ، لِأَنَّ الْمُشْرِكَ زَاعِمٌ أَنَّ الْوَثَنَ تَحِقُّ لَهُ الْعِبَادَةُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: فَاجْتَنِبُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ الَّتِي هِيَ رَأْسُ الزُّورِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ كُلَّهُ لَا تَقْرَبُوا شَيْئًا مِنْهُ؛ لِتَمَادِيهِ فِي الْقُبْحِ وَالسَّمَاجَةِ، وَمَا ظَنُّكَ بِشَيْءٍ مِنْ قَبِيلِهِ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَسَمَّى الْأَوْثَانَ رِجْسًا، وَكَذَلِكَ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ، عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ، يَعْنِي: أَنَّكُمْ كَمَا تَنْفِرُونَ بِطِبَاعِكُمْ عَنِ الرِّجْسِ وَتَجْتَنِبُونَهُ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مِثْلَ تِلْكَ النَّفْرَةِ.

وَنَبَّهَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[3]، جَعَلَ الْعِلَّةَ فِي اجْتِنَابِهِ أَنَّهُ رِجْسٌ، وَالرِّجْسُ مُجْتَنَبٌ.

﴿مِنَ الأَوْثَانِ﴾[4]: بَيَانٌ لِلرِّجْسِ وَتَمْيِيزٌ لَهُ، كَقَوْلِكَ: عِنْدِي عِشْرُونَ مِنَ الدَّرَاهِمِ؛ لِأَنَّ الرِّجْسَ مُبْهَمٌ يَتَنَاوَلُ غَيْرَ شَيْءٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ الَّذِي هُوَ الْأَوْثَانُ، وَالزُّوْرُ وَالِازْوِرَارُ، وَهُوَ الِانْحِرَافُ، كَمَا أَنَّ الْإِفْكَ مِنْ أَفَكَهُ إِذَا صَرَفَهُ.

وَقِيلَ: ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾[5] قَوْلُهُمْ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ افْتِرَائِهِمْ.

وَقِيلَ: شَهَادَةُ الزُّورِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 90.

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ صَلَّى الصُّبْحَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ قَائِمًا وَاسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: "عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ "، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.

وَقِيلَ: الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ.

وَقِيلَ: قَوْلُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي تَلْبِيَتِهِمْ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكٌ هُوَ لَكَ تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، وَيَجُوزُ فِي هَذَا التَّشْبِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُرَكَّبِ وَالْمُفَرَّقِ، فَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا مُرَكَّبًا، فَكَأَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَقَدْ أَهْلَكَ نَفْسَهُ إِهْلَاكًا لَيْسَ بَعْدَهُ نِهَايَةٌ، بِأَنْ صَوَّرَ حَالَهُ بِصُورَةِ حَالِ مَنْ خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَطَفَتْهُ الطَّيْرُ، فَتَفَرَّقَ مِزَعًا فِي حَوَاصِلِهَا، أَوْ عَصَفَتْ بِهِ الرِّيحُ حَتَّى هَوَتْ بِهِ فِي بَعْضِ الْمَطَاوِحِ الْبَعِيدَةِ، وَإِنْ كَانَ مُفَرَّقًا فَقَدْ شَبَّهَ الْإِيمَانَ فِي عُلُوِّهِ بِالسَّمَاءِ، وَالَّذِي تَرَكَ الْإِيمَانَ وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ بِالسَّاقِطِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْأَهْوَاءَ الَّتِي تَتَوَزَّعُ أَفْكَارَهُ بِالطَّيْرِ الْمُخْتَطِفَةِ، وَالشَّيْطَانَ الَّذِي يُطَوِّحُ بِهِ فِي وَادِي الضَّلَالَةِ بِالرِّيحِ الَّتِي تَهْوِي بِمَا عَصَفَتْ بِهِ فِي بَعْضِ الْمَهَاوِي الْمُتْلِفَةِ.

وَقُرِئَ: "فَتَخِطِفُهُ": بِكَسْرِ الْخَاءِ وَالطَّاءِ، وَبِكَسْرِ التَّاءِ مَعَ كَسْرِهِمَا؛ وَهِيَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ، وَأَصْلُهَا تَخْتَطِفُهُ.

وَقُرِئَ: "الرِّيَاحُ".

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1]

تَعْظِيمُ الشَّعَائِرِ –وَهِيَ الْهَدَايَا، لِأَنَّهَا مِنْ مَعَالِمِ الْحَجِّ–: أَنْ يَخْتَارَهَا عِظَامَ الْأَجْرَامِ حِسَانًا سِمَاتًا غَالِيَةَ الْأَثْمَانِ، وَيَتْرُكَ الْمِكَاسَ فِي شِرَائِهَا، فَقَدْ كَانُوا يُغَالُونَ فِي ثَلَاثٍ –وَيَكْرَهُونَ الْمِكَاسَ فِيهِنَّ–: الْهَدْيُ، وَالْأُضْحِيَّةُ، وَالرَّقَبَةُ.

وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَنَّهُ أَهْدَى نَجِيبَةً طُلِبَتْ مِنْهُ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يَبِيعَهَا وَيَشْتَرِيَ بِثَمَنِهَا بُدْنًا، فَنَهَاهُ عَنْ

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

ذَلِكَ، وَقَالَ: "بَلْ أَهْدِهَا"، وَأَهْدَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِائَةَ بَدَنَةٍ، فِيهَا جَمَلٌ لِأَبِي جَهْلٍ فِي أَنْفِهِ بُرَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَسُوقُ الْبُدْنَ مُجَلَّلَةً بِالْقَبَاطِيِّ، فَيَتَصَدَّقُ بِلُحُومِهَا وَبِجَلَالِهَا، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فِي التَّقَرُّبِ بِهَا وَإِهْدَائِهَا إِلَى بَيْتِهِ الْمُعَظَّمِ أَمْرٌ عَظِيمٌ لَا بُدَّ أَنْ يُقَامَ بِهِ وَيُسَارَعُ فِيهِ.

﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1]، أَيْ: فَإِنَّ تَعْظِيمَهَا مِنْ أَفْعَالِ ذَوِي تَقْوَى الْقُلُوبِ، فَحُذِفَتْ هَذِهِ الْمُضَافَاتُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى إِلَّا بِتَقْدِيرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ رَاجِعٍ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَى: "مَنْ"؛ لِيَرْتَبِطَ بِهِ؛ وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ الْقُلُوبُ، لِأَنَّهَا مَرَاكِزُ التَّقْوَى الَّتِي إِذَا ثَبَتَتْ فِيهَا وَتَمَكَّنَتْ، ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[2]: إِلَى أَنْ تُنْحَرَ وَيُتَصَدَّقَ بِلُحُومِهَا وَيُؤْكَلَ مِنْهَا، وَ﴿ثُمَّ﴾[3]: لِلتَّرَاخِي فِي الْوَقْتِ، فَاسْتُعِيرَتْ لِلتَّرَاخِي فِي الْأَحْوَالِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ لَكُمْ فِي الْهَدَايَا مَنَافِعَ كَثِيرَةً فِي دُنْيَاكُمْ وَدِينِكُمْ؛ وَإِنَّمَا يَعْتَدُّ اللَّهُ بِالْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ؛ قَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾[4]، وَأَعْظَمُ هَذِهِ الْمَنَافِعِ وَأَبْعَدُهَا شَوْطًا فِي النَّفْعِ: ﴿مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ﴾[5]، أَيْ: وُجُوبُ نَحْرِهَا، أَوْ وَقْتُ وُجُوبِ نَحْرِهَا فِي الْحَرَمِ مُنْتَهِيَةً إِلَى الْبَيْتِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[6].

وَالْمُرَادُ: نَحْرُهَا فِي الْحَرَمِ الَّذِي هُوَ فِي حُكْمِ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ الْحَرَمَ هُوَ حَرِيمُ الْبَيْتِ؛ وَمِثْلُ هَذَا فِي الِاتِّسَاعِ قَوْلُكَ: بَلَغْنَا الْبَلَدَ، وَإِنَّمَا شَارَفْتُمُوهُ وَاتَّصَلَ مَسِيرُكُمْ بِحُدُودِهِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالشَّعَائِرِ: الْمَنَاسِكُ كُلُّهَا.

وَ﴿مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[7]: يَأْبَاهُ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْأَنْفَالَ، الآية 67.

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْمَائِدَةَ، الآية 95.

[7] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1]

شَرَعَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَنْ يَنْسَكُوا لَهُ، أَيْ: يَذْبَحُوا لِوَجْهِهِ عَلَى وَجْهِ التَّقَرُّبِ، وَجَعَلَ الْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ أَنْ يُذْكَرَ اسْمُهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ عَلَى النَّسَائِكَ.

قُرِئَ: ﴿مَنْسَكًا﴾[2]: بِفَتْحِ السِّينِ وَكَسْرِهَا، وَهُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: النُّسُكِ، وَالْمَكْسُورُ يَكُونُ بِمَعْنَى: الْمَوْضِعِ.

﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾[3]، أَيْ: أَخْلِصُوا لَهُ الذِّكْرَ خَاصَّةً، وَاجْعَلُوهُ لِوَجْهِهِ سَالِمًا، أَيْ: خَالِصًا لَا تَشُوبُوهُ بِإِشْرَاكٍ.

الْمُخْبِتُونَ: الْمُتَوَاضِعُونَ الْخَاشِعُونَ، مِنَ الْخَبْتِ وَهُوَ الْمُطْمَئِنُّ مِنَ الأرض.

وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَظْلِمُونَ، وَإِذَا ظُلِمُوا لَمْ يَنْتَصِرُوا.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ": بِالنَّصْبِ عَلَى تَقْدِيرِ النُّونِ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ": عَلَى الْأَصْلِ.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]

"الْبُدْنُ": جَمْعُ بَدَنَةٍ؛ سُمِّيَتْ لِعِظَمِ بَدَنِهَا، وَهِيَ الْإِبِلُ خَاصَّةً، وَلِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَلْحَقَ الْبَقَرَ بِالْإِبِلِ حِينَ قَالَ: "الْبَدَنَةُ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةُ عَنْ

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

سَبْعَةٍ"، فَجَعَلَ الْبَقَرَ فِي حُكْمِ الْإِبِلِ، صَارَتِ الْبَدَنَةُ فِي الشَّرِيعَةِ مُتَنَاوِلَةً لِلْجِنْسَيْنِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَإِلَّا فَالْبُدْنُ هِيَ الْإِبِلُ وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الْآيَةُ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَالْبُدُنَ": بِضَمَّتَيْنِ، كَثُمُرٍ فِي جَمْعِ ثَمَرَةٍ، وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ بِالضَّمَّتَيْنِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ عَلَى لَفْظِ الْوَقْفِ.

وَقُرِئَ بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾[1].

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[2]، أَيْ: مِنْ أَعْلَامِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ، وَإِضَافَتُهَا إِلَى اسْمِهِ؛ تَعْظِيمٌ لَهَا.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[3] كَقَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾[4]، وَمِنْ شَأْنِ الْحَاجِّ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى شَيْءٍ فِيهِ خَيْرٌ وَمَنَافِعُ بِشَهَادَةِ اللَّهِ، عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ إِلَّا تِسْعَةَ دَنَانِيرَ، فَاشْتَرَى بِهَا بَدَنَةً، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَبِّي يَقُولُ: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[5].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: دُنْيَا وَآخِرَةً، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ: مَنِ احْتَاجَ إِلَى ظَهْرِهَا رَكِبَ، وَمَنِ احْتَاجَ إِلَى لَبَنِهَا شَرِبَ، وَذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ: أَنْ يَقُولَ عِنْدَ النَّحْرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ، مِنْكَ وَإِلَيْكَ.

﴿صَوَافَّ﴾[6]: قَائِمَاتٍ، قَدْ صَفَفْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ.

وَقُرِئَ: "صَوَافِنَ": مِنْ صُفُونِ الْفَرَسِ، وَهُوَ: أَنْ يَقُومَ عَلَى ثَلَاثٍ وَيَنْصُبَ الرَّابِعَةَ عَلَى طَرَفِ سُنْبُكِهِ؛ لِأَنَّ الْبَدَنَةَ تُعْقَلُ إِحْدَى يَدَيْهَا، فَتَقُومُ عَلَى ثَلَاثٍ.

وَقُرِئَ: "صَوَافِيَ"، أَيْ: خَوَالِصَ لِوَجْهِ اللَّهِ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ: "صَوَافِنًا": بِالتَّنْوِينِ عِوَضًا مِنْ حَرْفِ الْإِطْلَاقِ عِنْدَ الْوَقْفِ وَعَنْ بَعْضِهِمْ: صَوَافَّ؛ نَحْوَ مَثَلِ الْعَرَبِ، أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا، بِسُكُونِ الْيَاءِ.

---

[1] سورة يس، الآية 39.

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية 3.

[5] سورة الْحَجِّ، الآية 36.

[6] سورة الْحَجِّ، الآية .

وُجُوبُ الْجُنُوبِ: وُقُوعُهَا عَلَى الأرض، وَمِنْ وَجَبَ الْحَائِطُ وَجْبَةً إِذَا سَقَطَ، وَوَجَبَتِ الشَّمْسُ جَبَّةً: غَرَبَتْ.

وَالْمَعْنَى: فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا وَسَكَنَتْ نَسَائِسُهَا حَلَّ لَكُمُ الْأَكْلُ مِنْهَا وَالْإِطْعَامُ "الْقَانِعُ": السَّائِلُ، مِنْ قَنَعْتُ إِلَيْهِ وَكَنَعْتُ: إِذَا خَضَعْتُ لَهُ وَسَأَلْتُهُ قَنُوعًا؛ "وَالْمُعْتَرُّ": الْمُعْتَرِضُ بِغَيْرِ سُؤَالٍ، أَوِ الْقَانِعُ الرَّاضِي بِمَا عِنْدَهُ وَبِمَا يُعْطِي مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ، مِنْ قَنِعْتُ قَنَعًا وَقَنَاعَةً، وَالْمُعْتَرُّ: الْمُعْتَرِضُ بِسُؤَالٍ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: وَالْمُعْتَرِي، وَعَرَّهُ وَعَرَاهُ وَاعْتَرَاهُ وَاعْتَرَّهُ: بِمَعْنَى.

وَقَرَأَ أَبُو رَجَاءٍ "الْقَنْعُ"، وَهُوَ الرَّاضِي لَا غَيْرَ، يُقَالُ: قَنِعَ فَهُوَ قَنِعٌ وَقَانِعٌ.

مَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ وَاسْتَحْمَدَ إِلَيْهِمْ بِأَنْ سَخَّرَ لَهُمُ الْبُدْنَ مِثْلَ التَّسْخِيرِ الَّذِي رَأَوْا وَعَلِمُوا، يَأْخُذُونَهَا مُنْقَادَةً لِلْأَخْذِ طَيِّعَةً فَيَعْقِلُونَهَا وَيَحْبِسُونَهَا صَافَّةً قَوَائِمَهَا، ثُمَّ يَطْعَنُونَ فِي لَبَانِهَا، وَلَوْلَا تَسْخِيرُ اللَّهِ لَمْ تُطَقْ، وَلَمْ تَكُنْ بِأَعْجَزَ مِنْ بَعْضِ الْوُحُوشِ الَّتِي هِيَ أَصْغَرُ مِنْهَا جِرْمًا وَأَقَلُّ قُوَّةً، وَكَفَى بِمَا يَتَأَبَّدُ مِنَ الْإِبِلِ شَاهِدًا وَعِبْرَةً.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]

أَيْ: لَنْ يُصِيبَ رِضَا اللَّهِ اللُّحُومُ الْمُتَصَدَّقُ بِهَا وَلَا الدِّمَاءُ الْمِهْرَاقَةُ بِالنَّحْرِ، وَالْمُرَادُ أَصْحَابُ اللُّحُومِ وَالدِّمَاءِ.

وَالْمَعْنَى: لَنْ يَرْضِيَ الْمُضَحُّونَ وَالْمُقَرَّبُونَ رَبَّهُمْ إِلَّا بِمُرَاعَاةِ النِّيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالِاحْتِفَاظِ بِشُرُوطِ التَّقْوَى فِي حِلِّ مَا قُرِّبَ بِهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَافَظَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَأَوَامِرِ الْوَرَعِ، فَإِذَا لَمْ يُرَاعُوا ذَلِكَ، لَمْ تُغْنِ عَنْهُمُ التَّضْحِيَةُ وَالتَّقْرِيبُ وَإِنْ كَثُرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ.

وَقُرِئَ: "لَنْ تَنَالَ اللَّهَ"، وَلَكِنْ تَنَالُهُ: بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

وَقِيلَ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَحَرُوا الْبُدْنَ نَضَحُوا الدِّمَاءَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَلَطَّخُوهُ بِالدَّمِ، فَلَمَّا حَجَّ الْمُسْلِمُونَ أَرَادُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

كُرِّرَ تَذْكِيرُ النِّعْمَةِ بِالتَّسْخِيرِ ثُمَّ قَالَ: لِتَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى هِدَايَتِهِ إِيَّاكُمْ لِأَعْلَامِ دِينِهِ وَمَنَاسِكِ حَجِّهِ، بِأَنْ تُكَبِّرُوا وَتُهَلِّلُوا، فَاخْتُصِرَ الْكَلَامُ بِأَنْ ضُمِّنَ التَّكْبِيرُ مَعْنَى الشُّكْرِ، وَعُدِّيَ تَعْدِيَتَهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[1]

خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِدَفْعِهِ عَنْهُمْ وَنُصْرَتِهِ لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[2]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾[3]، وَقَالَ: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[4]؛ وَجَعَلَ الْعِلَّةَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَضْدَادَهُمْ: وَهُمُ الْخَوَنَةُ الْكَفَرَةُ الَّذِينَ يَخُونُونَ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَيَخُونُونَ أَمَانَاتِهِمْ وَيَكْفُرُونَ نِعَمَ اللَّهِ وَيَغْمِطُونَهَا.

وَمَنْ قَرَأَ: ﴿يُدَافِعُ﴾[5]، فَمَعْنَاهُ: يُبَالِغُ فِي الدَّفْعِ عَنْهُمْ، كَمَا يُبَالِغُ مَنْ يُغَالِبُ فِيهِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الْمُغَالِبِ يَجِيءُ أَقْوَى وَأَبْلَغَ.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[6]

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة غَافِرَ، الآية 51.

[3] سورة الصَّافَّاتِ، الآية 172.

[4] سورة الْجُمُعَةَ، الآية 13.

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿أُذِنَ﴾[1] وَ﴿يُقَاتَلُونَ﴾[2] قُرِئَا عَلَى لَفْظِ الْمَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ جَمِيعًا، وَالْمَعْنَى: أُذِنَ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ، فَحُذِفَ الْمَأْذُونُ فِيهِ؛ لِدَلَالَةِ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهِ، ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[3]، أَيْ: بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ مَظْلُومِينَ وَهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كَانَ مُشْرِكُو مَكَّةَ يُؤْذُونَهُمْ أَذًى شَدِيدًا، وَكَانُوا يَأْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: مِنْ بَيْنِ مَضْرُوبٍ وَمَشْجُوجٍ يَتَظَلَّمُونَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: "اصْبِرُوا؛ فَإِنِّي لَمْ أُومَرْ بِالْقِتَالِ" حَتَّى هَاجَرَ؛ فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ أُذِنَ فِيهَا بِالْقِتَالِ بَعْدَ مَا نُهِيَ عَنْهُ فِي نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ آيَةً.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ خَرَجُوا مُهَاجِرِينَ فَاعْتَرَضَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ فَأُذِنَ لَهُمْ فِي مُقَاتَلَتِهِمْ، وَالْإِخْبَارُ بِكَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى نَصْرِهِمْ عِدَةٌ مِنْهُ بِالنَّصْرِ وَارِدَةٌ عَلَى سَنَنِ كَلَامِ الْجَبَابِرَةِ، وَمَا مَرَّ مِنْ دَفْعِهِ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا مُؤْذِنٌ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعِدَةِ أَيْضًا، ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾[4]: فِي مَحَلِّ الْجَرِّ عَلَى الْإِبْدَالِ مِنْ ﴿حَقٍّ﴾[5]، أَيْ: بِغَيْرِ مُوجِبٍ سِوَى التَّوْحِيدِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُوجِبَ الْإِقْرَارِ وَالتَّمْكِينِ لَا مُوجِبَ الْإِخْرَاجِ وَالتَّسْيِيرِ، وَمِثْلُهُ: ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[6].

دَفْعُ اللَّهِ بَعْضَ النَّاسِ بِبَعْضٍ: إِظْهَارُهُ وَتَسْلِيطُهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ بِالْمُجَاهِدَةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَاسْتَوْلَى الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي أَزْمِنَتِهِمْ، وَعَلَى مُتَعَبَّدَاتِهِمْ فَهَدَمُوهَا، وَلَمْ يَتْرُكُوا لِلنَّصَارَى بِيَعًا، وَلَا لِرُهْبَانِهِمْ صَوَامِعَ، وَلَا لِلْيَهُودِ صَلَوَاتٍ، وَلَا لِلْمُسْلِمِينَ مَسَاجِدَ، أَوْ لَغَلَبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَعَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ فِي ذِمَّتِهِمْ وَهَدَمُوا مُتَعَبَّدَاتِ الْفَرِيقَيْنِ.

وَقُرِئَ: "دِفَاعُ"، و"لَهُدِمَتْ": بِالتَّخْفِيفِ، وَسُمِّيَتِ الْكَنِيسَةُ "صَلَاةً"، لِأَنَّهُ يُصَلَّى فِيهَا.

وَقِيلَ: هِيَ كَلِمَةٌ مُعَرَّبَةٌ، أَصْلُهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ: صَلُوثَا.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْمَائِدَةِ، الآية 59.

﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[1]، أَيْ: يَنْصُرُ دِينَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ: هُوَ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِظَهْرِ الْغَيْبِ عَمَّا سَتَكُونُ عَلَيْهِ سِيرَةُ الْمُهَاجِرِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- إِنْ مَكَّنَهُمْ فِي الأرض وَبَسَطَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَكَيْفَ يَقُومُونَ بِأَمْرِ الدِّينِ.

وَعَنْ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: هَذَا وَاللَّهِ ثَنَاءٌ قَبْلَ بَلَاءٍ، يُرِيدُ: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يُحْدِثُوا مِنَ الْخَيْرِ مَا أَحْدَثُوا، وَقَالُوا: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ أَمْرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِ التَّمْكِينَ وَنَفَاذَ الْأَمْرِ مَعَ السِّيرَةِ الْعَادِلَةِ غَيْرَهُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَا حَظَّ فِي ذَلِكَ لِلْأَنْصَارِ وَالطُّلَقَاءِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقِيلَ: ﴿الَّذِينَ﴾[2]: مَنْصُوبٌ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ مَنْ يَنْصُرُهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَجْرُورٌ، تَابِعٌ لِلَّذِينِ أُخْرِجُوا.

﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[3]، أَيْ: مَرْجِعُهَا إِلَى حُكْمِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَفِيهِ تَأْكِيدٌ لِمَا وَعَدَهُ مِنْ إِظْهَارِ أَوْلِيَائِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِمْ.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[4]

يَقُولُ لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَسْلِيَةً لَهُ: لَسْتَ بِأَوْحَدِيٍّ فِي التَّكْذِيبِ؛ فَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ قَبْلَكَ أَقْوَامُهُمْ، وَكَفَاكَ بِهِمْ أُسْوَةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾[5] وَلَمْ يَقُلْ: قَوْمُ مُوسَى؟

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

قُلْتُ: لِأَنَّ مُوسَى مَا كَذَّبَهُ قَوْمُهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ؛ وَإِنَّمَا كَذَبَهُ غَيْرُ قَوْمِهِ وَهُمُ الْقِبْطُ، وَفِيهِ شَيْءٌ آخَرُ، كَأَنَّهُ قِيلَ بَعْدَ مَا ذَكَرَ تَكْذِيبَ كُلِّ قَوْمٍ رَسُولَهُمْ، وَكُذِّبَ مُوسَى أَيْضًا- مَعَ وُضُوحِ آيَاتِهِ، وَعِظَمِ مُعْجِزَاتِهِ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِهِ؟

النَّكِيرُ: بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ وَالتَّغْيِيرِ، حَيْثُ أَبْدَلَهُمُ بِالنِّعْمَةِ مِحْنَةً، وَبِالْحَيَاةِ هَلَاكًا، وَبِالْعِمَارَةِ خَرَابًا.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[1]

كُلُّ مُرْتَفِعٍ أَظَلَّكَ مِنْ سَقْفِ بَيْتٍ أَوْ خَيْمَةٍ أَوْ ظُلَّةٍ أَوْ كَرْمٍ، فَهُوَ "عَرْشٌ"، وَالْخَاوِي: السَّاقِطُ، مِنْ خَوَى النَّجْمُ إِذَا سَقَطَ، أَوِ الْخَالِي: مِنْ خَوَى الْمَنْزِلُ: إِذَا خَلَا مِنْ أَهْلِهِ، وَخَوَى بَطْنُ الْحَامِلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾[2]: لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِخَاوِيَةٍ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهَا سَاقِطَةٌ عَلَى سُقُوفِهَا، أَيْ: خَرَّتْ سُقُوفُهَا عَلَى الأرض، ثُمَّ تَهَدَّمَتْ حِيطَانُهَا فَسَقَطَتْ فَوْقَ السُّقُوفِ، أَوْ أَنَّهَا سَاقِطَةٌ أَوْ خَالِيَةٌ مَعَ بَقَاءِ عُرُوشِهَا وَسَلَامَتِهَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: هِيَ خَالِيَةٌ، وَهِيَ عَلَى عُرُوشِهَا، أَيْ: قَائِمَةٌ مُطِلَّةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، عَلَى مَعْنَى: أَنَّ السُّقُوفَ سَقَطَتْ إِلَى الأرض فَصَارَتْ فِي قَرَارِ الْحِيطَانِ وَبَقِيَتِ الْحِيطَانُ مَائِلَةً فَهِيَ مُشْرِفَةٌ عَلَى السُّقُوفِ السَّاقِطَةِ.

فَإِنْ قُلْتُ: مَا مَحَلُّ الْجُمْلَتَيْنِ مِنَ الْإِعْرَابِ، أَعْنِي: "وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ"؟

قُلْتُ: الْأُولَى: فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، وَالثَّانِيَةُ: لَا مَحَلَّ لَهَا، لِأَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى أَهْلَكْنَاهَا، وَهَذَا الْفِعْلُ لَيْسَ لَهُ مَحَلٌّ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ "مُعَطَّلَةٌ": مَنْ أَعْطَلَهُ، بِمَعْنَى: عَطَّلَهُ، وَمَعْنَى الْمُعَطَّلَةِ: أَنَّهَا عَامِرَةٌ فِيهَا الْمَاءُ، وَمَعَهَا آلَاتُ الِاسْتِقَاءِ؛ إِلَّا أَنَّهَا عُطِّلَتْ، أَيْ: تُرِكَتْ لَا يُسْتَقَى مِنْهَا لِهَلَاكِ أَهْلِهَا،

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَالْمُشَيَّدُ: الْمُجَصَّصُ أَوِ الْمَرْفُوعُ الْبُنْيَانِ، وَالْمَعْنَى: كَمْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَا؟ وَكَمْ بِئْرٍ عَطَّلْنَا عَنْ سُقَاتِهَا؟ وَقَصْرٍ مُشَيَّدٍ أَخْلَيْنَاهُ عَنْ سَاكِنِيهِ؟ فَتُرِكَ ذَلِكَ؛ لِدَلَالَةِ مُعَطَّلَةٍ عَلَيْهِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾[1] بِمَعْنَى "مَعَ" أَوْجَهُ.

رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ بِئْرٌ نَزَّ عَلَيْهَا صَالِحٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– مَعَ أَرْبَعَةِ آلَافِ نَفَرٍ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، وَنَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ، وَهِيَ بِحَضْرَمَوْتَ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ صَالِحًا حِينَ حَضَرَهَا مَاتَ، وَثَمَّةَ بَلْدَةٌ عِنْدَ الْبِئْرِ اسْمُهَا: "حَاضُورَاءُ" بَنَاهَا قَوْمُ صَالِحٍ، وَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ جَلْهَسَ بْنَ جُلَّاسَ، وَأَقَامُوا بِهَا زَمَانًا ثُمَّ كَفَرُوا وَعَبَدُوا صَنَمًا، وَأَرْسَلَ اللَّهُ أَلِيهِمْ حَنْظَلَةَ بْنَ صَفْوَانَ نَبِيًّا فَقَتَلُوهُ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ، وَعَطَّلَ بِئْرَهُمْ، وَخَرَّبَ قُصُورَهُمْ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2]

يُحْتَمَلُ أَنَّهُمْ لَمْ يُسَافِرُوا فَحُثُّوا عَلَى السَّفَرِ؛ لِيَرَوْا مُصَارِعَ مَنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ، وَيُشَاهِدُوا آثَارَهُمْ فَيَعْتَبِرُوا، وَأَنْ يَكُونُوا قَدْ سَافَرُوا وَرَأَوْا ذَلِكَ وَلَكِنْ لَمْ يَعْتَبِرُوا، فَجُعِلُوا كَأَنْ لَمْ يُسَافِرُوا وَلَمْ يَرَوْا.

وَقُرِئَ: "فَيَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ": بِالْيَاءِ، أَيْ: يَعْقِلُونَ مَا يَجِبُ أَنْ يُعْقَلَ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَيَسْمَعُونَ مَا يَجِبُ سَمَاعُهُ مِنَ الْوَحْيِ.

﴿فَإِنَّهَا﴾[3]، الضَّمِيرُ: ضَمِيرُ الشَّأْنِ وَالْقِصَّةِ، يَجِيءُ مُذَكَّرًا وَمُؤَنَّثًا.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "فَإِنَّهُ".

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَمِيرًا مُبْهَمًا يُفَسِّرُهُ: ﴿الْأَبْصَارُ﴾[4]، وَفِي تَعْمَى ضَمِيرٌ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ أَبْصَارَهُمْ صَحِيحَةٌ سَالِمَةٌ لَا عَمَى بِهَا؛ وَإِنَّمَا الْعَمَى بِقُلُوبِهِمْ، أَوْ لَا يُعْتَدُّ بِعَمَى الْأَبْصَارِ، فَكَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَمَى بِالْإِضَافَةِ إِلَى عَمَى الْقُلُوبِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي ذِكْرِ الصُّدُورِ؟

قُلْتُ: الَّذِي قَدْ تُعُورِفَ وَاعْتُقِدَ أَنَّ الْعَمَى عَلَى الْحَقِيقَةِ مَكَانَهُ الْبَصَرُ، وَهُوَ أَنْ تَصَابَ الْحَدَقَةُ بِمَا يَطْمِسُ نُورَهَا، وَاسْتِعْمَالُهُ فِي الْقَلْبِ اسْتِعَارَةٌ وَمَثَلٌ، فَلَمَّا أُرِيدَ إِثْبَاتُ مَا هُوَ خِلَافُ الْمُعْتَقَدِ مِنْ نِسْبَةِ الْعَمَى إِلَى الْقُلُوبِ حَقِيقَةً وَنَفْيُهُ عَنِ الْأَبْصَارِ، احْتَاجَ هَذَا التَّصْوِيرُ إِلَى زِيَادَةِ تَعْيِينٍ وَفَضْلِ تَعْرِيفٍ؛ لِيَتَقَرَّرَ أَنَّ مَكَانَ الْعَمَى هُوَ الْقُلُوبُ لَا الْأَبْصَارُ، كَمَا تَقُولُ: لَيْسَ الْمَضَاءُ لِلسَّيْفِ، وَلَكِنَّهُ لِلسَانِكَ الَّذِي بَيْنَ فَكَّيْكَ، فَقَوْلُكَ: "الَّذِي بَيْنَ فَكَّيْكَ": تَقْرِيرٌ لِمَا ادَّعَيْتَهُ لِلسَانِهِ وَتَثْبِيتٌ؛ لِأَنَّ مَحَلَّ الْمَضَاءِ هُوَ هُوَ لَا غَيْرَ، وَكَأَنَّكَ قُلْتَ: مَا نَفَيْتُ الْمَضَاءَ عَنِ السَّيْفِ وَأَثْبَتُّهُ لِلسَانِكَ فَلْتَةً وَلَا سَهْوًا مِنِّي، وَلَكِنْ تَعَمَّدْتُ بِهِ إِيَّاهُ بِعَيْنِهِ تَعَمُّدًا.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1]

أَنْكَرَ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْمُتَوَعَّدِ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ الْعَاجِلِ أَوِ الْآجِلِ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلِمَ يَسْتَعْجِلُونَ بِهِ؟ كَأَنَّهُمْ يُجَوِّزُونَ الْفَوْتَ؛ وَإِنَّمَا يَجُوزُ ذَلِكَ عَلَى مِيعَادِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخُلْفُ، وَاللَّهُ –عَزَّ وَعَلَا– لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَمَا وَعَدَهُ لَيُصِيبَنَّهُمْ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَهُوَ –سُبْحَانُهُ– حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ، وَمِنْ حِلْمِهِ وَوَقَارِهِ وَاسْتِقْصَارِهِ الْمُدَدَ الطُّوَالَ أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَهُ كَأَلْفِ سَنَةٍ عِنْدَكُمْ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُونَ بِعَذَابِ مَنْ يَوْمٌ وَاحِدٌ مِنْ أَيَّامِ عَذَابِهِ فِي طُولِ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ سِنِيكُمْ؛ لِأَنَّ أَيَّامَ الشَّدَائِدِ مُسْتَطَالَةٌ، أَوْ كَأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْوَاحِدَ لِشِدَّةِ عَذَابِهِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِنْ سِنِي الْعَذَابِ.

وَقِيلَ: وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ فِي النَّظْرَةِ وَالْإِمْهَالِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَقُرِئَ: "تَعُدُّونَ": بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، ثُمَّ قَالَ: وَكَمْ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ كَانُوا مِثْلَكُمْ ظَالِمِينَ قَدْ أَنْظَرْتُهُمْ حِينًا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ بِالْعَذَابِ وَالْمَرْجِعِ إِلَيَّ وَإِلَى حُكْمِي.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كَانَتِ الْأُولَى مَعْطُوفَةً بِالْفَاءِ، وَهَذِهِ بِالْوَاوِ؟

قُلْتُ: الْأُولَى وَقَعَتْ بَدَلًا عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[1]، وَأَمَّا هَذِهِ فَحُكْمُهَا حُكْمُ مَا تَقَدَّمَهَا مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ الْمَعْطُوفَتَيْنِ بِالْوَاوِ، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾[2].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[3]

يُقَالُ: سَعَيْتُ فِي أَمْرِ فُلَانٍ: إِذَا أَصْلَحَهُ أَوْ أَفْسَدَهُ بِسَعْيِهِ، وَعَاجَزَهُ: سَابَقَهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي طَلَبِ إِعْجَازِ الْآخَرِ عَنِ اللَّحَاقِ بِهِ، فَإِذَا سَبَقَهُ قِيلَ: أَعْجَزَهُ وَعَجَّزَهُ، وَالْمَعْنَى: سَعَوْا فِي مَعْنَاهَا بِالْفَسَادِ مِنَ الطَّعْنِ فِيهَا؛ حَيْثُ سَمَّوْهَا: سِحْرًا، وَشِعْرًا، وَأَسَاطِيرَ، وَمِنْ تَثْبِيطِ النَّاسِ عَنْهَا سَابِقِينَ أَوْ مُسَابِقِينَ فِي زَعْمِهِمْ، وَتَقْدِيرِهِمْ طَامِعِينَ أَنَّ كَيْدَهُمْ لِلْإِسْلَامِ يَتِمُّ لَهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَأَنَّ الْقِيَاسَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا أَنَا لَكِنْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، لِذِكْرِ الْفَرِيقَيْنِ بَعْدَهُ.

قُلْتُ: الْحَدِيثُ مَسُوقٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ نِدَاءٌ لَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[4]، وَوُصِفُوا بِالِاسْتِعْجَالِ؛ وَإِنَّمَا أُقْحِمَ الْمُؤْمِنُونَ وَثَوَابُهُمْ لِيُغَاظُوا.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة غَافِرَ، الآية 82.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]

﴿مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾[2]: دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى تَغَايُرِ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ، وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ: "مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا"، قِيلَ: فَكَمِ الرُّسُلُ مِنْهُمْ: قَالَ: "ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا".

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الرَّسُولَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: مَنْ جَمَعَ إِلَى الْمُعْجِزَةِ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِ، وَالنَّبِيُّ غَيْرُ الرَّسُولِ: مَنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ كِتَابٌ؛ وَإِنَّمَا أُمِرَ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى شَرِيعَةِ مَنْ قَبْلَهُ.

وَالسَّبَبُ فِي نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا أَعْرَضَ عَنْهُ قَوْمٌ وَشَاقُّوهُ، وَخَالَفَهُ عَشِيرَتُهُ، وَلَمْ يُشَايِعُوهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ تَمَنَّى لِفَرْطِ ضَجَرِهِ مِنْ إِعْرَاضِهِمْ وَلِحِرْصِهِ وَتَهَالُكِهِ عَلَى إِسْلَامِهِمْ أَلَّا يَنْزِلَ عَلَيْهِ مَا يُنَفِّرُهُمْ، لَعَلَّهُ يَتَّخِذُ ذَلِكَ طَرِيقًا إِلَى اسْتِمَالَتِهِمْ وَاسْتِنْزَالِهِمْ عَنْ غَيِّهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَاسْتَمَرَّ بِهِ مَا تَمَنَّاهُ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ: وَالنَّجْمِ، وَهُوَ مِنْ نَادِي قَوْمِهِ، وَذَلِكَ التَّمَنِّي فِي نَفْسِهِ، فَأَخَذَ يَقْرَؤُهَا، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾[3].

﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾[4]: الَّتِي تَمَنَّاهَا، أَيْ: وَسْوَسَ إِلَيْهِ بِمَا شَيَّعَهَا بِهِ، فَسَبَقَ لِسَانُهُ عَلَى سَبِيلِ السَّهْوِ وَالْغَلَطِ إِلَى أَنْ قَالَ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى.

وَرُوِيَ: الْغَرَانِقَةُ، وَلَمْ يَفْطَنْ لَهُ حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الْعِصْمَةُ فَتَنَبَّهَ عَلَيْهِ.

وَقِيلَ: نَبَّهَهُ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– أَوْ تَكَلَّمَ الشَّيْطَانُ بِذَلِكَ فَأَسْمَعَهُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَجَدَ فِي آخِرِهَا سَجَدَ مَعَهُ جَمِيعُ مَنْ فِي النَّادِي وَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ، وَكَانَ تَمْكِينُ الشَّيْطَانِ مِنْ ذَلِكَ مِحْنَةً مِنَ اللَّهِ وَابْتِلَاءً، زَادَ الْمُنَافِقُونَ بِهِ شَكًّا وَظُلْمَةً، وَالْمُؤْمِنُونَ نُورًا وَإِيقَانًا.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِكَ كَانَتْ هَجِيرَاهُمْ كَذَلِكَ إِذَا تَمَنَّوْا مِثْلَ مَا تَمَنَّيْتَ، مَكَّنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ لِيُلْقِيَ فِي أَمَانِيِّهِمْ مَا أَلْقَى فِي أُمْنِيَّتِكَ، إِرَادَةَ امْتِحَانِ مَنْ حَوْلَهُمْ، وَاللَّهُ –سُبْحَانَهُ– لَهُ أَنْ يَمْتَحِنَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ صُنُوفِ الْمِحَنِ وَأَنْوَاعِ الْفِتَنِ؛ لِيُضَاعِفَ ثَوَابَ الثَّابِتِينَ وَيَزِيدَ فِي عِقَابِ الْمُذَبْذَبِينَ.

وَقِيلَ: "تَمَنَّى": قَرَأَ.

وَأَنْشَدَ :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ تَمَنِّي دَاوُدَ الزَّبُورَ عَلَى رِسْـــــــــلِ

وَأُمْنِيَّتُهُ: قِرَاءَتُهُ.

وَقِيلَ: تِلْكَ الْغَرَانِيقُ: إِشَارَةٌ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، أَيْ: هُمُ الشُّفَعَاءُ لَا الْأَصْنَامُ، ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾[1]، أَيْ: يَذْهَبُ بِهِ وَيُبْطِلُهُ.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾[2]، أَيْ: يُثْبِتُهَا.

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]

وَالَّذِينَ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[4] الْمُنَافِقُونَ وَالشَّاكُّونَ، ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[5]: الْمُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾[1]، يُرِيدُ: وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَأَصْلُهُ: وَإِنَّهُمْ، فَوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ قَضَاءً عَلَيْهِمْ بِالظُّلْمِ، ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾[2]، أَيْ: لِيَعْلَمُوا أَنَّ تَمْكِينَ الشَّيْطَانِ مِنَ الْإِلْقَاءِ: هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَالْحِكْمَةُ.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[3]: إِلَى أَنْ يَتَأَوَّلُوا مَا يَتَشَابَهُ فِي الدِّينِ بِالتَّأْوِيلَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَيَطْلُبُوا لِمَا أُشْكِلَ مِنْهُ الْمَحْمَلَ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْأُصُولُ وَالْمَحْكَمَةُ وَالْقَوَانِينُ الْمُمَهِّدَةُ؛ حَتَّى لَا تَلْحَقَهُمْ حَيْرَةٌ وَلَا تَعْتَرِيَهُمْ شُبْهَةٌ وَلَا تَزِلَّ أَقْدَامُهُمْ.

وَقُرِئَ: "لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا" بِالتَّنْوِينِ.

﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[4]

الضَّمِيرُ فِي ﴿مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾[5]: لِلْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْيَوْمُ الْعَقِيمُ: يَوْمُ بَدْرٍ؛ وَإِنَّمَا وُصِفَ يَوْمُ الْحَرْبِ بِالْعَقِيمِ؛ لِأَنَّ أَوْلَادَ النِّسَاءِ يُقْتَلُونَ فِيهِ، فَيَصِرْنَ كَأَنَّهُنَّ عُقْمٌ لَمْ يَلِدْنَ، أَوْ لِأَنَّ الْمُقَاتِلِينَ يُقَالُ لَهُمْ: أَبْنَاءُ الْحَرْبِ، فَإِذَا قُتِلُوا وُصِفَ يَوْمُ الْحَرْبِ بِالْعَقِيمِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ.

وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، يُقَالُ: رِيحٌ عَقِيمٌ: إِذَا لَمْ تَنْشِئْ مَطَرًا وَلَمْ تُلَقِّحْ شَجَرًا.

وَقِيلَ: لَا مَثَلَ لَهُ فِي عِظَمِ أَمْرِهِ لِقِتَالِ الْمَلَائِكَةِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- فِيهِ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّاعَةِ: مُقَدِّمَاتُهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالسَّاعَةِ وَبِيَوْمٍ عَقِيمٍ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُهَا، فَوُضِعَ ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[6] مَوْضِعَ الضَّمِيرِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: التَّنْوِينُ فِي ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[2] عِنْ أَيِّ جُمْلَةٍ يَنُوبُ؟

قُلْتُ: تَقْدِيرُهُ: الْمُلْكُ يَوْمَ يُؤْمِنُونَ، أَوْ يَوْمَ تَزُولُ مِرْيَتِهِمْ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾[3].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلا يَرْضَوْنَهُ
وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[4]

لَمَّا جَمَعَتْهُمُ الْمُهَاجَرَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَوَّى بَيْنَهُمْ فِي الْمَوْعِدِ، وَأَنْ يُعْطَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مِثْلَ مَا يُعْطَى مَنْ قُتِلَ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِدَرَجَاتِ الْعَامِلِينَ وَمَرَاتِبِ اسْتِحْقَاقِهِمْ، ﴿حَلِيمٌ﴾[5]: عَنْ تَفْرِيطِ الْمُفَرِّطِ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

رُوِيَ أَنَّ طَوَائِفَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَرَضِيَ عَنْهُمْ– قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ الَّذِي قُتِلُوا قَدْ عَلِمْنَا مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ نُجَاهِدُ مَعَكَ كَمَا جَاهَدُوا، فَمَا لَنَا إِنْ مِتْنَا مَعَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية 55.

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[1]

تَسْمِيَةُ الِابْتِدَاءِ بِالْجَزَاءِ؛ لِمُلَابَسَتِهِ لَهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ سَبَبٌ وَذَاكَ مُسَبَّبٌ عَنْهُ كَمَا يَحْمِلُونَ النَّظِيرَ عَلَى النَّظِيرِ وَالنَّقِيضَ عَلَى النَّقِيضِ لِلْمُلَابَسَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَابَقَ ذِكْرُ الْعَفُوِّ الْغَفُورِ هَذَا الْمَوْضِعَ؟

قُلْتُ: الْمُعَاقَبُ مَبْعُوثٌ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– عَلَى الْإِخْلَالِ بِالْعِقَابِ، وَالْعَفْوُ عَنِ الْجَانِي –عَلَى طَرِيقِ التَّنْزِيهِ لَا التَّحْرِيمِ– وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، وَمُسْتَوْجِبٌ عِنْدَ اللَّهِ الْمَدْحَ إِنْ آثَرَ مَا نُدِبَ إِلَيْهِ وَسَلَكَ سَبِيلَ التَّنْزِيهِ، فَحِينَ لَمْ يُؤْثِرْ ذَلِكَ وَانْتَصَرَ وَعَاقَبَ، وَلَمْ يَنْظُرْ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[2]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[3].

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[4]: فَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ، أَيْ: لَا يَلُومُهُ عَلَى تَرْكِ مَا بَعَثَهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ ضَامِنٌ لِنَصْرِهِ فِي كَرَّتِهِ الثَّانِيَةِ مِنْ إِخْلَالِهِ بِالْعَفْوِ وَانْتِقَامِهِ مِنَ الْبَاغِي عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَضْمَنَ لَهُ النَّصْرَ عَلَى الْبَاغِي، وَيُعَرِّضَ مَعَ ذَلِكَ بِمَا كَانَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْعَفْوِ، وَيُلَوِّحَ بِهِ بِذِكْرِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، أَوْ دَلَّ بِذِكْرِ الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ عَلَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْعُقُوبَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالْعَفْوِ إِلَّا الْقَادِرُ عَلَى ضِدِّهِ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلَ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[5]

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الشُّورَى، الآية 40.

[3] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 237.

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿ذَلِكَ﴾[1]، أَيْ: ذَلِكَ النَّصْرُ بِسَبَبِ أَنَّهُ قَادِرٌ، وَمِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ الْبَالِغَةِ أَنَّهُ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[2]، أَوْ بِسَبَبِ: أَنَّهُ خَالِقُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمُصَرِّفُهُمَا فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَجْرِي فِيهِمَا عَلَى أَيْدِي عِبَادِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْبَغْيِ وَالْإِنْصَافِ، وَأَنَّهُ ﴿سَمِيعٌ﴾[3]: لِمَا يَقُولُونَ، ﴿بَصِيرٌ﴾[4]: بِمَا يَفْعَلُونَ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: إِيلَاجِ أَحَدِ الْمَلَوَيْنِ فِي الْآخَرِ؟

قُلْتُ: تَحْصِيلُ ظُلْمَةِ هَذَا فِي مَكَانِ ضِيَاءِ ذَاكَ بِغَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ، وَضِيَاءِ ذَاكَ فِي مَكَانِ ظُلْمَةِ هَذَا بِطُلُوعِهَا، كَمَا يُضِيءُ السِّرْبُ بِالسِّرَاجِ وَيُظْلِمُ بِفَقْدِهِ.

وَقِيلَ: هُوَ زِيَادَتُهُ فِي أَحَدِهِمَا مَا يَنْقُصُ مِنَ الْآخَرِ مِنَ السَّاعَاتِ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[5]

وَقُرِئَ "تَدْعُونَ": بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

وَقَرَأَ الْيَمَانِيُّ: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾، بِلَفْظِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ، وَالْوَاوُ رَاجِعَةٌ إِلَى "مَا"؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْآلِهَةِ، أَيْ: ذَلِكَ الْوَصْفُ بِخَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْإِحَاطَةِ بِمَا يَجْرِي فِيهِمَا وَإِدْرَاكُ كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، بِسَبَبِ أَنَّهُ اللَّهُ الْحَقُّ الثَّابِتُ إِلَهِيَّتُهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يُدَّعَى إِلَهًا دُونَهُ بَاطِلُ الدَّعْوَةِ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ شَأْنًا وَأَكْبَرَ سُلْطَانًا.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأرض مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1]

قُرِئَ: "مُخْضِرَةً"، أَيْ: ذَاتَ خَضَرٍ، عَلَى مُفْعِلَةٍ، كَمُقْبِلَةٍ وَمُسْبِعَةٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: فَأَصْبَحَتْ؟ وَلِمَ صُرِفَ إِلَى لَفْظِ الْمُضَارِعِ؟

قُلْتُ: لِنُكْتَةٍ فِيهِ، وَهِيَ: إِفَادَةُ بَقَاءِ أَثَرِ الْمَطَرِ زَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ، كَمَا تَقُولُ: أَنْعَمَ عَلَيَّ فُلَانٌ عَامَ كَذَا، فَأَرُوحُ وَأَغْدُوا شَاكِرًا لَهُ، وَلَوْ قُلْتَ: فَرِحْتُ وَغَدَوْتُ، وَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ الْمَوْقِعَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا لَهُ رَفَعَ لَمْ يَنْصِبْ جَوَابًا لِلِاسْتِفْهَامِ؟

قُلْتُ: لَوْ نَصَبَ لَأَعْطَى مَا هُوَ عَكْسُ الْغَرَضِ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ إِثْبَاتُ الِاخْضِرَارِ، فَيَنْقَلِبُ بِالنَّصْبِ إِلَى نَفْيِ الِاخْضِرَارِ، مِثَالُهُ أَنْ تَقُولَ لِصَاحِبِكَ: أَلَمْ تَرَ أَنِّي أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ فَتَشْكُرُ: إِنْ نَصَبْتَهُ فَأَنْتَ نَافٍ لِشُكْرِهِ شَاكٍ تَفْرِيطَهُ فِيهِ، وَإِنْ رَفَعْتَهُ فَأَنْتَ مُثْبِتٌ لِلشُّكْرِ.

وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَرْغَبَ لَهُ مَنِ اتَّسَمَ بِالْعِلْمِ فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ وَتَوْقِيرِ أَهْلِهِ.

﴿لَطِيفٌ﴾[2]: وَاصِلٌ عِلْمُهُ أَوْ فَضْلُهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ.

﴿خَبِيرٌ﴾[3]: بِمَصَالِحِ الْخَلْقِ وَمَنَافِعِهِمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾[4]

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾[1]: مِنَ الْبَهَائِمِ مُذَلَّلَةً لِلرُّكُوبِ فِي الْبَرِّ، وَمِنَ الْمَرَاكِبِ جَارِيَةٌ فِي الْبَحْرِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْمُسَخَّرَاتِ.

وَقُرِئَ: "وَالْفُلْكُ": بِالرَّفْعِ عَلَى الِابْتِدَاءِ.

﴿أَنْ تَقَعَ﴾[2]: كَرَاهَةَ أَنْ تَقَعَ ﴿إِلا ّ﴾[3]: بِمَشِيئَتِهِ ﴿أَحْيَاكُمْ﴾[4]: بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ جَمَادًا تُرَابًا، وَنُطْفَةً، وَعَلَقَةً، وَمُضْغَةً.

﴿لَكَفُورٌ﴾[5]: لَجَحُودٌ؛ لِمَا أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ ضُرُوبِ النِّعَمِ.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾[6]

هُوَ نَهْيٌ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أَيْ: لَا تَلْتَفِتْ إِلَى قَوْلِهِمْ وَلَا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ أَنْ يُنَازِعُوكَ، أَوْ هُوَ زَجْرٌ لَهُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِالْمُنَازَعَةِ فِي الدِّينِ وَهُمْ جُهَّالٌ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ كُفَّارُ خُزَاعَةَ، رُوِيَ أَنَّ بُدَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ وَبِشْرَ بْنَ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيَّيْنِ وَغَيْرَهُمَا قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: مَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ، وَلَا تَأْكُلُونَ مَا قَتَلَهُ اللَّهُ! يَعْنُونَ: الْمَيْتَةَ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ نَهْيٌ لَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ مُنَازَعَتِهِمْ، كَمَا تَقُولُ: لَا يُضَارِبَنَّكَ فُلَانٌ، أَيْ: لَا تُضَارِبْهُ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي الْفِعْلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ.

﴿فِي الأَمْرِ﴾[7] فِي أَمْرِ الدِّينِ.

وَقِيلَ: فِي أَمْرِ النَّسَائِكِ.

---

1 سورة الْحَجِّ، الآية .

2 سورة الْحَجِّ، الآية .

3 سورة الْحَجِّ، الآية .

4 سورة الْحَجِّ، الآية .

5 سورة الْحَجِّ، الآية .

6 سورة الْحَجِّ، الآية .

7 سورة الْحَجِّ، الآية .

وَقُرِئَ: "فَلَا يَنْزَعُنَّكَ"، أَيِ: اثْبُتْ فِي دِينِكَ ثَبَاتًا لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَجْذِبُوكَ لِيُزِيلُوكَ عَنْهُ، وَالْمُرَادُ: زِيَادَةُ التَّثْبِيتِ لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَا يُهَيِّجُ حَمِيَّتَهُ وَيُلْهِبُ غَضَبَهُ لِلَّهِ وَلِدِينِهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾[1]، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، ﴿فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾[3].

وَهَيْهَاتَ أَنْ تَرْتَعَ هِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَوْلَ ذَلِكَ الْحِمَى؛ وَلَكِنَّهُ وَارِدٌ عَلَى مَا قُلْتُ لَكَ مِنْ إِرَادَةِ التَّهْيِيجِ وَالْإِلْهَابِ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ مِنْ نَازَعْتُهُ فَنَزَعْتُهُ أَنْزِعُهُ، أَيْ: غَلَبْتُهُ، أَيْ: لَا يَغْلِبُنَّكَ فِي الْمُنَازَعَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَاءَتْ نَظِيرَةُ هَذِهِ الْآيَةِ مَعْطُوفَةً بِالْوَاوِ، وَقَدْ نُزِعَتْ مِنْ هَذِهِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ تِلْكَ وَقَعَتْ مَعَ مَا يُدَانِيهَا وَيُنَاسِبُهَا مِنَ الْآيِ الْوَارِدَةِ فِي أَمْرِ النَّسَائِكِ، فَعُطِفَتْ عَلَى أَخَوَاتِهَا، وَأَمَّا هَذِهِ فَوَاقِعَةٌ مَعَ أَبَاعِدَ عَنْ مَعْنَاهَا فَلَمْ تَجِدْ مَعْطَفًا.

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[4]

أَيْ: وَإِنْ أَبَوْا لِلَجَاجِهِمْ إِلَّا الْمُجَادَلَةَ بَعْدَ اجْتِهَادِكَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ تَنَازُعٌ، فَادْفَعْهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِكُمْ وَبِقُبْحِهَا وَبِمَا تَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَزَاءِ، فَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِهِ.

وَهَذَا وَعِيدٌ وَإِنْذَارٌ، وَلَكِنْ بِرِفْقٍ وَلِينٍ.

---

[1] سورة الْقَصَصَ، الآية 87.

[2] سورة الْأَنْعَامَ، الآية 14.

[3] سورة الْقَصَصَ، الآية 86.

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأرض إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[2]: خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، أَيْ: يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَمَسْلَاةٌ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِمَّا كَانَ يَلْقَى مِنْهُمْ، وَكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يَعْمَلُونَ، وَمَعْلُومٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَحْدُثُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض، وَقَدْ كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ قَبْلَ حُدُوثِهِ، وَالْإِحَاطَةُ بِذَلِكَ وَإِثْبَاتُهُ وَحِفْظُهُ عَلَيْهِ، ﴿يَسِيرٌ﴾[3]، لِأَنَّ الْعَالِمَ بِالذَّاتِ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ وَلَا يَمْتَنِعُ تَعَلُّقٌ بِمَعْلُومٍ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[4]

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾[5]: مَا لَمْ يَتَمَسَّكُوا فِي صِحَّةِ عِبَادَتِهِ بِبُرْهَانٍ سَمَاوِيٍّ مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ وَالسَّمْعِ، وَلَا أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهَا عِلْمٌ ضَرُورِيٌّ، وَلَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا دَلِيلٌ عَقْلِيٌّ، ﴿وَمَا﴾: لِلَّذِينِ ارْتَكَبُوا مِثْلَ هَذَا الظُّلْمِ مِنْ أَحَدٍ يَنْصُرُهُمْ وَيُصَوِّبُ مَذْهَبَهُمْ.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ
وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[6]

---

1 سورة الْحَجِّ، الآية .
2 سورة الْحَجِّ، الآية .
3 سورة الْحَجِّ، الآية .
4 سورة الْحَجِّ، الآية .
5 سورة الْحَجِّ، الآية .
6 سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿الْمُنْكَرَ﴾[1]: الْفَظِيعُ مِنَ التَّجَهُّمِ وَالْبُسُورِ، أَوِ الْإِنْكَارِ، كَالْمُكْرَمِ بِمَعْنَى: الْإِكْرَامِ.

وَقُرِئَ: "يَعْرِفُ"، وَالْمُنْكَرُ، وَالسَّطْوُ: الْوَثْبُ وَالْبَطْشُ.

وَقُرِئَ: "النَّارُ": بِالرَّفْعِ، عَلَى أَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: مَا هُوَ؟ فَقِيلَ: النَّارُ، أَيْ: هُوَ النَّارُ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى الِاخْتِصَاصِ، وَبِالْجَرِّ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ: ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ﴾[2] مِنْ غَيْظِكُمْ عَلَى التَّالِينَ وَسَطْوِكُمْ عَلَيْهِمْ، أَوْ مِمَّا أَصَابَكُمْ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالضَّجَرِ بِسَبَبِ مَا تُلِيَ عَلَيْكُمْ.

﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾[3]: اسْتِئْنَافُ كَلَامٍ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ ﴿النَّارُ﴾[4]: مُبْتَدَأً، وَ﴿وَعَدَهَا﴾[5]: خَبَرًا، وَأَنْ يَكُونَ حَالًا عَنْهَا إِذَا نَصَبْتَهَا أَوْ جَرَرْتَهَا بِإِضْمَارِ "قَدْ".

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[6]

فَإِنْ قُلْتَ: الَّذِي جَاءَ بِهِ لَيْسَ بِمَثَلٍ، فَكَيْفَ سَمَّاهُ مَثَلًا؟

قُلْتُ: قَدْ سُمِّيَتِ الصِّفَةُ أَوِ الْقِصَّةُ الرَّائِعَةُ الْمُلْتَقَاةُ بِالِاسْتِحْسَانِ وَالِاسْتِغْرَابِ: مَثَلًا؛ تَشْبِيهًا لَهَا بِبَعْضِ الْأَمْثَالِ الْمَسِيرَةِ؛ لِكَوْنِهَا مُسْتَحْسَنَةً مُسْتَغْرَبَةً عِنْدَهُمْ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْحَجِّ، الآية .

قُرِئَ: ﴿تَدْعُونَ﴾[1]: بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، وَيَدْعُونَ: مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ: ﴿لَنْ﴾[2] أُخْتُ "لَا" فِي نَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ، إِلَّا أَنَّ "لَنْ" تَنْفِيهِ نَفْيًا مُؤَكَّدًا، تَأْكِيدُهُ هَا هُنَا الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ خَلْقَ الذُّبَابِ مِنْهُمْ مُسْتَحِيلٌ مُنَافٍ لِأَحْوَالِهِمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: مُحَالٌ أَنْ يَخْلُقُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ: ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾[3]؟

قُلْتُ: النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، كَأَنَّهُ قَالَ: مُسْتَحِيلٌ أَنْ يَخْلُقُوا الذُّبَابَ مَشْرُوطًا عَلَيْهِمُ اجْتِمَاعُهُمْ جَمِيعًا لِخَلْقِهِ وَتَعَاوُنُهُمْ عَلَيْهِ.

وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِي تَجْهِيلِ قُرَيْشٍ وَاسْتِرْكَاكِ عُقُولِهِمْ، وَالشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ خَزَمَهُمْ بِخَزَائِمِهِ؛ حَيْثُ وَصَفُوا بِالْإِلَهِيَّةِ –الَّتِي تَقْتَضِي الِاقْتِدَارَ عَلَى الْمَقْدُورَاتِ كُلِّهَا، وَالْإِحَاطَةِ بِالْمَعْلُومَاتِ عَنْ آخِرِهَا– صُوَرًا وَتَمَاثِيلَ يَسْتَحِيلُ مِنْهَا أَنْ تَقْدِرَ عَلَى أَقَلِّ مَا خَلَقَهُ وَأَذَلَّهُ وَأَصْغَرَهُ وَأَحْقَرَهُ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَتَسَانَدُوا، وَأَدَلُّ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَجْزِهِمْ وَانْتِفَاءِ قُدْرَتِهِمْ: أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْأَقَلَّ الْأَذَلَّ لَوِ اخْتَطَفَ مِنْهُمْ شَيْئًا فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَسْتَخْلِصُوهُ مِنْهُ لَمْ يَقْدِرُوا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[4]: كَالتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّبَابِ فِي الضَّعْفِ، وَلَوْ حَقَّقْتَ وَجَدْتَ الطَّالِبَ أَضْعَفَ وَأَضْعَفَ؛ لِأَنَّ الذُّبَابَ حَيَوَانٌ، وَهُوَ جَمَادٌ، وَهُوَ غَالِبٌ وَذَاكَ مَغْلُوبٌ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَطْلُونَهَا بِالزَّعْفَرَانِ، وَرُؤُوسَهَا بِالْعَسَلِ، وَيُغْلِقُونَ عَلَيْهَا الْأَبْوَابَ، فَيَدْخُلُ الذُّبَابُ مِنَ الْكُوَى فَيَأْكُلُهُ.

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[5]

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1]، أَيْ: مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، حَتَّى لَا يُسَمُّوا بِاسْمِهِ مَنْ هُوَ مُنْسَلِخٌ عَنْ صِفَاتِهِ بِأَسْرِهَا، وَلَا يُؤَهِّلُوهُ لِلْعِبَادَةِ، وَلَا يَتَّخِذُوهُ شَرِيكًا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ غَالِبٌ، فَكَيْفَ يُتَّخَذُ الْعَاجِزُ الْمَغْلُوبُ شَبِيهًا بِهِ؟

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[2]

هَذَا رَدٌّ لِمَا أَنْكَرُوهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ مِنَ الْبَشَرِ، وَبَيَانٌ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ عَلَى ضَرْبَيْنِ: مَلَائِكَةٌ وَبَشَرٌ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى– دَرَّاكٌ لِلْمُدْرَكَاتِ، عَالِمٌ بِأَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ مَا مَضَى مِنْهَا وَمَا غَبَرَ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُ الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَالَّذِي هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ فِي حُكْمِهِ وَتَدَابِيرِهِ وَاخْتِيَارِ رُسُلِهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]

لِلذِّكْرِ شَأْنٌ لَيْسَ لِغَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ دَلَالَاتٌ عَلَى ذَلِكَ، فَمِنْ ثَمَّةَ دَعَا الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلًا إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ ذِكْرٌ خَالِصٌ، ثُمَّ إِلَى الْعِبَادَةِ بِغَيْرِ الصَّلَاةِ كَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَالْغَزْوِ، ثُمَّ عَمَّ بِالْحَثِّ عَلَى سَائِرِ الْخَيْرَاتِ.

وَقِيلَ: كَانَ النَّاسُ أَوَّلَ مَا أَسْلَمُوا يَسْجُدُونَ بِلَا رُكُوعٍ وَيَرْكَعُونَ بِلَا سُجُودٍ، فَأُمِرُوا أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُمْ بِرُكُوعٍ وَسُجُودٍ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَقِيلَ: مَعْنَى: ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾[1]: اقْصُدُوا بِرُكُوعِكُمْ وَسُجُودِكُمْ وَجْهَ اللَّهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾[2]: صِلَةُ الْأَرْحَامِ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، أَيِ: افْعَلُوا هَذَا كُلَّهُ وَأَنْتُمْ رَاجُونَ لِلْفَلَاحِ طَامِعُونَ فِيهِ، غَيْرُ مُسْتَيْقِنِينَ وَلَا تَتَّكِلُوا عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ سَجْدَتَانِ؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنْ لَمْ تَسْجُدْهُمَا، فَلَا تَقْرَأْهُمَا".

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– فُضِّلَتْ سُورَةُ الْحَجِّ بِسَجْدَتَيْنِ.

وَبِذَلِكَ احْتَجَّ الشَّافِعِيُّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فَرَأَى سَجْدَتَيْنِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ –رَضِيَ لِلَّهِ عَنْهُمْ– لَا يَرَوْنَ فِيهَا إِلَّا سَجْدَةً وَاحِدَةً؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: قُرِنَ السُّجُودُ بِالرُّكُوعِ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا سَجْدَةُ صَلَاةٍ لَا سَجْدَةُ تِلَاوَةٍ.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[4]

﴿وَجَاهِدُوا﴾[5]: أَمْرٌ بِالْغَزْوِ وَبِمُجَاهِدَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى وَهُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ رَجَعَ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَقَالَ:" رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ، ﴿فِي اللَّهِ﴾[1]، أَيْ: فِي ذَاتِ اللَّهِ وَمِنْ أَجْلِهِ، يُقَالُ: هُوَ حَقٌّ عَالِمٌ، وَجَدٌّ عَالِمٌ، أَيْ: عَالِمٌ حَقًّا وَجَدًّا، وَمِنْهُ: ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ، وَكَانَ الْقِيَاسُ: حَقَّ الْجِهَادِ فِيهِ أَوْ حَقَّ جِهَادِكُمْ فِيهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾[3]؟

قُلْتُ: الْإِضَافَةُ: تَكُونُ بِأَدْنَى مُلَابَسَةٍ وَاخْتِصَاصٍ، فَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ مُخْتَصًّا بِاللَّهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَفْعُولٌ لِوَجْهِهِ وَمِنْ أَجْلِهِ، صَحَّتْ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُتَّسَعَ فِي الظَّرْفِ؛ كَقَوْلِهِ:

وَيَوْمًا شَهِدْنَاهُ سُلَيْمًا وَعَامِـــــرًا

﴿اجْتَبَاكُمْ﴾[4]: اخْتَارَكُمْ لِدِينِهِ وَلِنُصْرَتِهِ، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5]: فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ لِلْمُجْرِمِينَ، وَفَسَحَ بِأَنْوَاعِ الرُّخَصِ وَالْكَفَّارَاتِ وَالدِّيَاتِ وَالْأُرُوشِ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[6]، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هِيَ الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ الْمَوْسُومَةُ بِذَلِكَ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

نُصِبَ الْمِلَّةُ بِمَضْمُونِ مَا تَقَدَّمَهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَسَّعَ دِينَكُمْ تَوْسِعَةً مِلَّةَ أَبِيكُمْ، ثُمَّ حَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، أَوْ عَلَى الِاخْتِصَاصِ، أَيْ: أَعْنِي بِالدِّينِ مِلَّةَ أَبِيكُمْ؛ كَقَوْلِكَ: الْحَمْدُ للَّهِ الْحَمِيدَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ يَكُنْ "إِبْرَاهِيمُ" أَبًا لِلْأُمَّةِ كُلِّهَا.

قُلْتُ: هُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَكَانَ أَبًا لِأُمَّتِهِ؛ لِأَنَّ أُمَّةَ الرَّسُولِ فِي حُكْمِ أَوْلَادِهِ، ﴿هُوَ﴾[7]: يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى–.

وَقِيلَ: إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

[4] سورة الْحَجِّ، الآية .

[5] سورة الْحَجِّ، الآية .

[6] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 185.

[7] سورة الْحَجِّ، الآية .

وَيَشْهَدُ لِلْقَوْلِ الْأَوَّلِ: قِرَاءَةُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "اللَّهُ سَمَّاكُمْ".

﴿مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾[1]، أَيْ: مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ وَفِي الْقُرْآنِ، أَيْ: فَضَّلَكُمْ عَلَى الْأُمَمِ وَسَمَّاكُمْ بِهَذَا الِاسْمِ الْأَكْرَمِ، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾[2]: أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ؛ ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[3]: بِأَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْهُمْ، وَإِذْ خَصَّكُمْ بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ وَالْأَثَرَةِ، فَاعْبُدُوهُ وَثِقُوا بِهِ وَلَا تَطْلُبُوا النُّصْرَةَ وَالْوِلَايَةَ إِلَّا مِنْهُ؛ فَهُوَ خَيْرُ مَوْلًى وَنَاصِرٍ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَجِّ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ كَحَجَّةٍ حَجَّهَا، وَعُمْرَةٍ اعْتَمَرَهَا بِعَدَدِ مَنْ حَجَّ وَاعْتَمَرَ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا بَقِيَ".

---

[1] سورة الْحَجِّ، الآية .

[2] سورة الْحَجِّ، الآية .

[3] سورة الْحَجِّ، الآية .

سورة المؤمنون

سورة المؤمنون

مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ مِائَةٌ وَتِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً، وَثَمَانِي عَشْرَةَ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[1]

﴿قَدْ﴾[2]: نَقِيضُهُ "لَمَّا" هِيَ تُثْبِتُ الْمُتَوَقَّعَ وَ"لَمَّا" تَنْفِيهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا مُتَوَقِّعِينَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْبِشَارَةِ، وَهِيَ الْإِخْبَارُ بِثَبَاتِ الْفَلَاحِ لَهُمْ، فَخُوطِبُوا بِمَا دَلَّ عَلَى ثَبَاتِ مَا تَوَقَّعُوهُ، وَالْفَلَاحُ: الظَّفَرُ بِالْمُرَادِ، وَقِيلَ: الْبَقَاءُ فِي الْخَيْرِ، و"أَفْلَحَ": دَخَلَ فِي الْفَلَاحِ، كَأَبْشَرَ: دَخَلَ فِي الْبِشَارَةِ، وَيُقَالُ: أَفْلَحَهُ: أَصَارَهُ إِلَى الْفَلَاحِ، وَعَلَيْهِ قِرَاءَةُ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ "أَفْلَحَ"، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَعَنْهُ: "أَفْلَحُوا"، عَلَى: أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ، أَوْ عَلَى الْإِبْهَامِ وَالتَّفْسِيرِ، وَعَنْهُ: "أَفْلَحُ"؛ بِضَمَّةٍ بِغَيْرِ وَاوٍ؛ اجْتِزَاءً بِهَا عَنْهَا؛ كَقَوْلِهِ:

فَلَوْ أَنَّ الْأَطِبَّا كَانَ حَوْلِي

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُؤْمِنُ؟

قُلْتُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ الْمُصَدِّقُ، وَأَمَّا فِي الشَّرِيعَةِ فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ كُلَّ مَنْ نَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ مُوَاطِئًا قَلْبُهُ لِسَانَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

– وَالْآخَرُ: أَنَّهُ صِفَةُ مَدْحٍ، لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا الْبَرُّ التَّقِيُّ دُونَ الْفَاسِقِ الشَّقِيِّ.

الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: خَشْيَةُ الْقَلْبِ وَإِلْبَادُ الْبَصَرِ –عَنْ قَتَادَةَ: وَهُوَ إِلْزَامُهُ مَوْضِعَ السُّجُودِ، وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي رَافِعًا بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، رَمَى بِبَصَرِهِ نَحْوَ مَسْجِدِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، هَابَ الرَّحْمَنَ أَنْ يَشُدَّ بَصَرَهُ إِلَى شَيْءٍ، أَوْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِشَأْنٍ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: هُوَ جَمْعُ الْهِمَّةِ لَهَا، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهَا، وَمِنَ الْخُشُوعِ: أَنْ يَسْتَعْمِلَ الْآدَابَ، فَيَتَوَقَّى كَفَّ الثَّوْبِ، وَالْعَبَثَ بِجَسَدِهِ وَثِيَابِهِ، وَالِالْتِفَاتَ، وَالتَّمَطِّيَ، وَالتَّثَاؤُبَ، وَالتَّغْمِيضَ، وَتَغْطِيَةَ الْفَمِ، وَالسَّدْلَ، وَالْفَرْقَعَةَ، وَالتَّشْبِيكَ، وَالِاخْتِصَارَ، وَتَقْلِيبَ الْحَصَا.

رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :– أَنَّهُ أَبْصَرَ رَجُلًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ: "لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ خَشَعَتْ جَوَارِحُهُ".

وَنَظَرَ الْحَسَنُ إِلَى رَجُلٍ يَعْبَثُ بِالْحَصَا، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، زَوِّجْنِي الْحُورَ الْعِينَ، فَقَالَ: بِئْسَ الْخَاطِبُ أَنْتَ! تَخْطُبُ وَأَنْتَ تَعْبَثُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ أُضِيفَتِ الصَّلَاةُ إِلَيْهِمْ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الصَّلَاةَ دَائِرَةٌ بَيْنَ الْمُصَلِّي وَالْمُصَلَّى لَهُ، فَالْمُصَلِّي هُوَ الْمُنْتَفِعُ بِهَا وَحْدَهُ وَهِيَ عُدَّتُهُ وَذَخِيرَتُهُ فَهِيَ صَلَاتُهُ: وَأَمَّا الْمُصَلَّى لَهُ، فَغَنِيٌّ مُتَعَالٍ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَالِانْتِفَاعِ بِهَا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1]

اللَّغْوُ: مَا لَا يَعْنِيكَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، كَاللَّعِبِ وَالْهَزْلِ وَمَا تُوجِبُ الْمُرُوءَةُ إِلْغَاءَهُ وَاطِّرَاحَهُ، يَعْنِي: أَنَّ بِهِمْ مِنَ الْجِدِّ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنِ الْهَزْلِ.

لَمَّا وَصَفَهُمْ بِالْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، أَتْبَعَهُ الْوَصْفَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ اللَّغْوِ؛ لِيَجْمَعَ لَهُمُ الْفِعْلَ وَالتَّرْكَ الشَّاقَّيْنِ عَلَى الْأَنْفُسِ اللَّذَيْنِ هُمَا قَاعِدَتَا بِنَاءِ التَّكْلِيفِ.

---

[1] سورة ، الآية .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾[1]

الزَّكَاةُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ عَيْنٍ وَمَعْنَى، فَالْعَيْنُ: الْقَدْرُ الَّذِي يُخْرِجُهُ الْمُزَكِّي مِنَ النِّصَابِ إِلَى الْفَقِيرِ، وَالْمَعْنَى: فَهَلِ الْمُزَكِّي الَّذِي هُوَ التَّزْكِيَةُ، وَهُوَ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ، فَجَعَلَ الْمُزَكِّينَ فَاعِلِينَ لَهُ وَلَا يَسُوغُ فِيهِ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ مَصْدَرٍ إِلَّا يُعَبَّرُ عَنْ مَعْنَاهُ بِالْفِعْلِ وَيُقَالُ لِمُحَدِّثِهِ: فَاعِلٌ، تَقُولُ لِلضَّارِبِ: فَاعِلُ الضَّرْبِ، وَلِلْقَاتِلِ: فَاعِلُ الْقَتْلِ، وَلِلْمُزَكِّي: فَاعِلُ التَّزْكِيَةِ، وَعَلَى هَذَا الْكَلَامِ كُلِّهِ وَالتَّحْقِيقُ فِيهِ أَنَّكَ تَقُولُ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ: مَنْ فَاعِلٌ هَذَا؟ فَيُقَالُ لَكَ: فَاعِلُهُ اللَّهُ أَوْ بَعْضُ الْخَلْقِ، وَلَمْ يَمْتَنِعِ الزَّكَاةُ الدَّالَّةُ عَلَى الْعَيْنِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهَا فَاعِلُونَ، لِخُرُوجِهَا مِنْ صِحَّةِ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا الْفَاعِلُ؛ وَلَكِنْ لِأَنَّ الْخَلْقَ لَيْسُوا بِفَاعِلِيهَا.

وَقَدْ أَنْشَدَ لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ:

الْمُطْعِمُونَ الطَّعَامَ فِي السَّنَةِ الْأَزْمَةِ وَالْفَاعِلُونَ لِلزَّكَوَاتِ

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالزَّكَاةِ: الْعَيْنُ، وَيُقَدَّرُ مُضَافٌ مَحْذُوفٌ وَهُوَ الْأَدَاءُ، وَحَمْلُ الْبَيْتِ عَلَى هَذَا أَصَحُّ؛ لِأَنَّهَا فِيهِ مَجْمُوعَةٌ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[2]

﴿عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾[3]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيِ: الْأَوَّالِينَ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ، أَوْ قَوَّامِينَ عَلَيْهِنَّ، مِنْ قَوْلِكَ: كَانَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانَةٍ فَمَاتَ عَنْهَا فَخَلَفَ عَلَيْهَا فُلَانٌ؛ وَنَظِيرُهُ: كَانَ زِيَادٌ عَلَى الْبَصْرَةِ، أَيْ: وَالِيًا عَلَيْهَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: فُلَانَةٌ تَحْتَ فُلَانٍ؛ وَمِنْ ثَمَّةَ سُمِّيَتِ الْمَرْأَةُ فِرَاشًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ فِي كَافَّةِ الْأَحْوَالِ، إِلَّا فِي حَالِ تَزَوُّجِهِمْ أَوْ تَسَرِّيهِمْ، أَوْ تُعَلَّقُ "عَلَى" بِمَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ: ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[4]؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: يُلَامُونَ إِلَّا عَلَى

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

أَزْوَاجِهِمْ، أَيْ: يُلَامُونَ عَلَى كُلِّ مُبَاشِرٍ إِلَّا عَلَى مَا أُطْلِقَ لَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ عَلَيْهِ، أَوْ تَجْعَلُهُ صِلَةً لِحَافِظِينَ، مِنْ قَوْلِكَ: احْفَظْ عَلَيَّ عَنَانَ فَرَسِي، عَلَى تَضْمِينِهِ مَعْنَى النَّفْيِ، كَمَا ضُمِّنَ قَوْلُهُمْ: نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا فَعَلْتَ مَعْنَى: مَا طَلَبْتُ مِنْكَ إِلَّا فِعْلَكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: مَنْ مَلَكَتْ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُ أُرِيدَ مِنْ جِنْسِ الْعُقَلَاءِ مَا يَجْرِي مَجْرَى غَيْرِ الْعُقَلَاءِ وَهُمُ الْإِنَاثُ جَعَلَ الْمُسْتَثْنَى حَدًّا أَوْجَبَ الْوُقُوفَ عِنْدَهُ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ أَحْدَثَ ابْتِغَاءَ وَرَاءِ هَذَا الْحَدِّ مَعَ فُسْحَتِهِ وَاتِّسَاعِهِ، وَهُوَ إِبَاحَةُ أَرْبَعٍ مِنَ الْحَرَائِرِ، وَمِنَ الْإِمَاءِ مَا شِئْتَ، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ﴾[1]: الْكَامِلُونَ فِي الْعُدْوَانِ الْمُتَنَاهُونَ فِيهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْمُتْعَةِ؟

قُلْتُ: لَا؛ لِأَنَّ الْمَنْكُوحَةَ نِكَاحَ الْمُتْعَةِ مِنْ جُمْلَةِ الْأَزْوَاجِ إِذَا صَحَّ النِّكَاحُ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[2]

وَقُرِئَ: "لِأَمَانَتِهِمْ"، سُمِّيَ الشَّيْءُ الْمُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ وَالْمُعَاهَدُ عَلَيْهِ أَمَانَةً وَعَهْدًا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[3]، وَقَالَ: ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾[4].

وَإِنَّمَا تُؤَدَّى الْعُيُونُ لَا الْمَعَانِي، وَيُخَانُ الْمُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ، لَا الْأَمَانَةُ فِي نَفْسِهَا، وَالرَّاعِي: الْقَائِمُ عَلَى الشَّيْءِ بِحِفْظٍ وَإِصْلَاحٍ كَرَاعِي الْغَنَمِ وَرَاعِي الرَّعِيَّةِ، وَيُقَالُ: مَنْ رَاعِي هَذَا الشَّيْءِ؟ أَيْ: مُتَوَلِّيهِ وَصَاحِبُهُ، وَيُحْتَمَلُ الْعُمُومُ فِي كُلِّ مَا ائْتُمِنُوا عَلَيْهِ وَعُوهِدُوا مِنْ جِهَةِ اللَّهِ –تَعَالَى–، وَمِنْ جِهَةِ الْخَلْقِ، وَالْخُصُوصُ فِيمَا حَمَلُوهُ مِنْ أَمَانَاتِ النَّاسِ وَعُهُودِهِمْ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة النِّسَاءَ، الآية 58.

[4] سورة الْأَنْفَالَ، الآية 27.

سورة الْأَنْفَالَ، الآية 277.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[1]

وَقُرِئَ: "عَلَى صَلَاتِهِمْ".

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ كَرَّرَ ذِكْرَ الصَّلَاةِ أَوَّلًا وَآخِرًا؟

قُلْتُ: هُمَا ذِكْرَانِ مُخْتَلِفَانِ فَلَيْسَ بِتَكْرِيرٍ، وُصِفُوا أَوَّلًا بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ، وَآخِرًا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا؛ وَذَلِكَ أَنْ لَا يَسْهُوا عَنْهَا، وَيُؤَدُّوهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَيُقِيمُوا أَرْكَانَهَا، وَيُوَكِّلُوا نُفُوسَهُمْ بِالِاهْتِمَامِ بِهَا، وَبِمَا يَنْبَغِي أَنْ تَتِمَّ بِهِ أَوْصَافُهَا، وَأَيْضًا فَقَدْ وُحِّدَتْ أَوَّلًا؛ لِيُفَادَ الْخُشُوعُ فِي جِنْسِ الصَّلَاةِ أَيَّ صَلَاةٍ كَانَتْ، وَجُمِعَتْ آخِرًا؛ لِتُفَادَ الْمُحَافَظَةُ عَلَى أَعْدَادِهَا، وَهِيَ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْوَتْرُ، وَالسُّنَنُ الْمُرَتَّبَةُ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ، وَالْعِيدَيْنِ وَالْجِنَازَةِ، وَالِاسْتِسْقَاءِ، وَالْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ، وَصَلَاةُ الضُّحَى، وَالتَّهَجُّدِ، وَصَلَاةُ التَّسْبِيحِ، وَصَلَاةُ الْحَاجَةِ، وَغَيْرُهَا مِنَ النَّوَافِلِ.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]

أَيْ: "فَأُولَئِكَ": الْجَامِعُونَ لِهَذِهِ الْأَوْصَافِ، ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[3]: الْأَحِقَّاءُ بِأَنْ يُسَمَّوْا وُرَّاثًا دُونَ مَنْ عَدَاهُمْ، ثُمَّ تَرْجَمَ الْوَارِثِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾[4]: فَجَاءَ بِفَخَامَةٍ وَجَزَالَةٍ لِإِرْثِهِمْ لَا تَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ، وَمَعْنَى الْإِرْثِ: مَا مَرَّ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ، أَنَّثَ الْفِرْدَوْسَ عَلَى تَأْوِيلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ: الْبُسْتَانُ الْوَاسِعُ الْجَامِعُ لِأَصْنَافِ الثَّمَرِ.

رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– بَنَى جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَجَعَلَ خِلَالَهَا الْمِسْكَ وَالْأَذْفَرَ، وَفِي رِوَايَةٍ: وَلَبِنَةً مِنْ مِسْكٍ مُذَرِّي وَغَرَسَ فِيهَا مِنْ جَيِّدِ الْفَاكِهَةِ وَجَيِّدِ الرَّيْحَانِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1]

السُّلَالَةُ: الْخُلَاصَةُ؛ لِأَنَّهَا تُسَلُّ مِنْ بَيْنِ الْكَدَرِ، و"فُعَالَةٌ": وَبِنَاءٌ لِلْقِلَّةِ كَالْقُلَامَةِ وَالْقُمَامَةِ، وَعَنِ الْحَسَنِ: مَاءٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ الطِّينِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مِنْ وَمِنْ؟

قُلْتُ: الْأَوَّلُ: لِلِابْتِدَاءِ، وَالثَّانِي: لِلْبَيَانِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿مِنَ الأَوْثَانِ﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: "جَعَلْنَا": الْإِنْسَانَ نُطْفَةً؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ خَلَقَ جَوْهَرَ الْإِنْسَانِ أَوَّلًا طِينًا، ثُمَّ جَعَلَ جَوْهَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ نُطْفَةً، الْقَرَارُ: الْمُسْتَقَرُّ، وَالْمُرَادُ: الرَّحِمُ، وُصِفَتْ بِالْمَكَانَةِ الَّتِي هِيَ صِفَةُ الْمُسْتَقَرِّ فِيهَا؛ كَقَوْلِكَ: طَرِيقٌ سَائِرٌ، أَوْ بِمَكَانَتِهَا فِي نَفْسِهَا؛ لِأَنَّهَا مُكِّنَتْ بِحَيْثُ هِيَ وَأُحْرِزَتْ، قُرِئَ: "عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعَظْمَ"، وَ"عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ "، وَ"عَظْمًا فَكَسَوْنَا الْعَظْمَ": وُضِعَ الْوَاحِدُ مَكَانَ الْجَمْعِ لِزَوَالِ اللَّبْسِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ ذُو عِظَامٍ كَثِيرَةٍ، ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾[3]، أَيْ: خَلْقًا مُبَايِنًا لِلْخَلْقِ الْأَوَّلِ مُبَايَنَةً مَا أَبْعَدَهَا؛ حَيْثُ جَعَلَهُ حَيَوَانًا وَكَانَ جَمَادًا، وَنَاطِقًا وَكَانَ أَبْكَمَ، وَسَمِيعًا وَكَانَ أَصَمَّ، وَبَصِيرًا وَكَانَ أَكْمَهَ، وَأَوْدَعَ بَاطِنَهُ وَظَاهِرَهُ –بَلْ كُلَّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ، وَكُلَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ– عَجَائِبَ فِطْرَةٍ وَغَرَائِبَ حِكْمَةٍ، لَا تُدْرَكُ بِوَصْفِ الْوَاصِفِ وَلَا تَبْلُغُ بِشَرْحِ الشَّارِحِ.

وَقَدِ احْتَجَّ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ فِيمَنْ غَصَبَ بَيْضَةً فَأَفْرَخَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: يَضْمَنُ الْبَيْضَةَ وَلَا يَرُدُّ الْفَرْخَ؛ لِأَنَّهُ خَلْقٌ آخَرُ سِوَى الْبَيْضَةِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾[1]: فَتَعَالَى أَمْرُهُ فِي قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[2]، أَيْ: أَحْسَنُ الْمُقَدِّرِينَ تَقْدِيرًا، فَتَرَكَ ذِكْرَ الْمُمَيَّزِ؛ لِدَلَالَةِ الْخَالِقِينَ عَلَيْهِ؛ وَنَحْوُهُ: طَرْحُ الْمَأْذُونِ فِيهِ فِي قَوْلِهِ:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾[3]، لِدَلَالَةِ الصِّلَةِ.

وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ خَلْقًا آخَرَ، قَالَ: "فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ".

وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ كَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَنَطَقَ بِذَلِكَ قَبْلَ إِمْلَائِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "اكْتُبْ هَكَذَا نَزَلَتْ"، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا يُوحَى إِلَيْهِ، فَأَنَا نَبِيٌّ يُوحَى إِلَيَّ، فَلَحِقَ بِمَكَّةَ كَافِرًا، ثُمَّ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[4]

قَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ: "لَمَائِتُونَ"، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالْمَائِتِ: أَنَّ الْمَيِّتَ كَالْحَيِّ صِفَةٌ ثَابِتَةٌ، وَأَمَّا الْمَائِتُ، فَيَدُلُّ عَلَى الْحُدُوثِ، تَقُولُ: زَيْدٌ مَائِتٌ الْآنَ، وَمَائِتٌ غَدًا؛ كَقَوْلِكَ: يَمُوتُ؛ وَنَحْوُهُمَا: ضَيِّقٌ وَضَائِقٌ.

وَفِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾[5]، جَعَلَ الْإِمَاتَةَ الَّتِي هِيَ إِعْدَامُ الْحَيَاةِ، وَالْبَعْثَ الَّذِي هُوَ إِعَادَةُ مَا يُفْنِيهِ وَيَعْدِمُهُ: دَلِيلَيْنِ أَيْضًا– عَلَى اقْتِدَارٍ عَظِيمٍ بَعْدَ الْإِنْشَاءِ وَالِاخْتِرَاعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِذًا لَا حَيَاةَ إِلَّا حَيَاةَ الْإِنْشَاءِ وَحَيَاةَ الْبَعْثِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة هُودَ، الآية 12.

قُلْتُ: لَيْسَ فِي ذِكْرِ الْحَيَاتَيْنِ نُفْيُ الثَّالِثَةِ وَهِيَ حَيَاةُ الْقَبْرِ، كَمَا لَوْ ذَكَرْتَ ثُلُثَيْ مَا عِنْدَكَ وَطَوَيْتَ ذِكْرَ ثُلُثِهِ لَمْ يَكُنْ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الثُّلُثَ لَيْسَ عِنْدَكَ وَأَيْضًا-، فَالْغَرَضُ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ: الْإِنْشَاءُ، وَالْإِمَاتَةُ، وَالْإِعَادَةُ، وَالْمَطْوِيُّ ذِكْرُهَا مِنْ جِنْسِ الْإِعَادَةِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[1]

الطَّرَائِقُ: السَّمَاوَاتُ؛ لِأَنَّهُ طُورِقَ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ كَمُطَارَقَةِ النَّعْلِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَوْقَهُ مِثْلُهُ فَهُوَ طَرِيقَةٌ، أَوْ لِأَنَّهَا طُرُقُ الْمَلَائِكَةِ وَمُتَقَلَّبَاتُهُمْ، وَقِيلَ: الْأَفْلَاكُ؛ لِأَنَّهَا طَرَائِقُ الْكَوَاكِبِ فِيهَا مَسِيرُهَا: أَرَادَ بِالْخَلْقِ السَّمَاوَاتِ، كَأَنَّهُ قَالَ: خَلَقْنَاهُمْ فَوْقَهُمْ، ﴿وَمَا كُنَّا﴾[2]: عَنْهَا ﴿غَافِلِينَ﴾[3]: وَعَنْ حِفْظِهَا وَإِمْسَاكِهَا أَنْ تَقَعَ فَوْقَهُمْ بِقُدْرَتِنَا، أَوْ أَرَادَ بِهِ النَّاسَ وَأَنَّهُ إِنَّمَا خَلَقَهَا فَوْقَهُمْ لِيَفْتَحَ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ وَالْبَرَكَاتِ مِنْهَا، وَيَنْفَعَهُمْ بِأَنْوَاعِ مَنَافِعِهَا، وَمَا كَانَ غَافِلًا عَنْهُمْ وَمَا يُصْلِحُهُمْ.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[4]

﴿بِقَدَرٍ﴾[5]: بِتَقْدِيرٍ يَسْلَمُونَ مَعَهُ مِنَ الْمَضَرَّةِ، وَيَصِلُونَ إِلَى الْمَنْفَعَةِ، أَوْ بِمِقْدَارِ مَا عَلِمْنَاهُ مِنْ حَاجَاتِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأرض﴾[6]؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .

الأرض﴾[1]، وَقِيلَ: جَعَلْنَاهُ ثَابِتًا فِي الأرض، وَقِيلَ: إِنَّهَا خَمْسَةُ أَنْهَارٍ: سِيحُونُ نَهْرُ الْهِنْدِ، وَجِيحُونُ: نَهْرُ بَلْخٍ، وَدِجْلَةُ وَالْفُرَاتُ: نَهْرَا الْعِرَاقِ، وَالنِّيلُ: نَهْرُ مِصْرَ، أَنْزَلَهَا اللَّهُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عُيُونِ الْجَنَّةِ، فَاسْتَوْدَعَهَا الْجِبَالَ، وَأَجْرَاهَا فِي الأرض، وَجَعَلَ فِيهَا مَنَافِعَ لِلنَّاسِ فِي أَصْنَافِ مَعَايِشِهِمْ، وَكَمَا قَدَرَ عَلَى أَنْزَالِهِ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى رَفْعِهِ وَإِزَالَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾[2]: مِنْ أَوْقَعِ النَّكِرَاتِ وَأَحَزِّهَا لِلْمُفَصَّلِ، وَالْمَعْنَى: عَلَى وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الذَّهَابِ بِهِ وَطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِهِ، وَفِيهِ إِيذَانٌ بِاقْتِدَارِ الْمُذْهِبِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَعَايَى عَلَيْهِ شَيْءٌ إِذَا أَرَادَهُ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْإِيعَادِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[3]، فَعَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَسْتَعْظِمُوا النِّعْمَةَ فِي الْمَاءِ وَيُقَيِّدُوهَا بِالشُّكْرِ الدَّائِمِ، وَيَخَافُوا نِفَارَهَا إِذَا لَمْ تُشْكَرْ.

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾[4]

خَصَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ الثَّلَاثَةَ؛ لِأَنَّهَا أَكْرَمُ الشَّجَرِ وَأَفْضَلُهَا وَأَجْمَعُهَا لِلْمَنَافِعِ، وَوَصَفَ النَّخْلَ وَالْعِنَبَ بِأَنَّ ثَمَرَهُمَا جَامِعٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: بِأَنَّهُ فَاكِهَةٌ يُتَفَكَّهُ بِهَا، وَطَعَامٌ يُؤْكَلُ رَطْبًا وَيَابِسًا، رَطْبًا وَعِنَبًا، وَتَمْرًا وَزَبِيبًا، وَالزَّيْتُونُ بِأَنَّ دُهْنَهُ صَالِحٌ لِلِاسْتِصْبَاحِ وَالِاصْطِبَاغِ جَمِيعًا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ:﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[5] مِنْ قَوْلِهِمْ: يَأْكُلُ فُلَانٌ مِنْ حِرْفَةٍ يَحْتَرِفُهَا، وَمِنْ ضَيْعَةٍ يَغْتَلُّهَا، وَمِنْ تِجَارَةٍ يَتَرَبَّحُ بِهَا: يَعْنُونَ أَنَّهَا طُعْمَتُهُ وَجِهَتُهُ الَّتِي مِنْهَا يُحَصِّلُ رِزْقَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَهَذِهِ الْجَنَّاتُ وُجُوهُ أَرْزَاقِكُمْ وَمَعَايِشِكُمْ، مِنْهَا تَرْتَزِقُونَ وَتَتَعَيَّشُونَ.

---

[1] سورة الزُّمَر، الآية 21.

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة الْمُلْكَ، الآية 30.

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿وَشَجَرَةً﴾[1]: عُطِفَ عَلَى ﴿جَنَّاتٍ﴾[2]، وَقُرِئَتْ مَرْفُوعَةً عَلَى الِابْتِدَاءِ، أَيْ: وَمِمَّا أُنْشِئَ لَكُمْ شَجَرَةٌ، ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾[3]: وَطُورُ سِنِينَ، لَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يُضَافَ فِيهِ الطُّورُ إِلَى بُقْعَةٍ اسْمُهَا سَيْنَاءُ وَسِينُونَ، وَإِمَّا: أَنْ يَكُونَ اسْمًا لِلْجَبَلِ مُرَكَّبًا مِنْ مُضَافٍ وَمُضَافٍ إِلَيْهِ، كَامْرِئِ الْقَيْسِ، وَكَبَعْلَبَكَّ، فِيمَنْ أَضَافَ، فَمَنْ كَسَرَ سِينَ سَيْنَاءَ، فَقَدْ مَنَعَ الصَّرْفَ؛ لِلتَّعْرِيفِ وَالْعُجْمَةِ، أَوِ التَّأْنِيثِ؛ لِأَنَّهَا بُقْعَةٌ، وَفَعْلَاءُ لَا يَكُونُ أَلِفُهُ لِلتَّأْنِيثِ كَعِلْبَاءَ وَحِرْبَاءَ، وَمَنْ فَتَحَ فَلَمْ يَصْرِفْ؛ لِأَنَّ الْأَلِفَ لِلتَّأْنِيثِ كَصَحْرَاءَ، وَقِيلَ: هُوَ جَبَلُ فِلَسْطِينَ، وَقِيلَ: بَيْنَ مِصْرَ وَأَيْلَةَ، وَمِنْهُ نُودِيَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: سِينَا عَلَى الْقَصْرِ.

﴿بِالدُّهْنِ﴾:[4] فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: تَنْبُتُ وَفِيهَا الدُّهْنُ، وَقُرِئَ: "تَنْبُتُ".

وَفِيهِ وَجْهَانِ.

- أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَنْبَتَ بِمَعْنَى نَبَتَ؛ وَأَنْشَدَ لِزُهَيْرٍ:

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

- وَالثَّانِي: أَنَّ مَفْعُولَهُ مَحْذُوفٌ، أَيْ: تُنْبِتُ زَيْتُونَهَا وَفِيهِ الزَّيْتُ، وَقُرِئَ: "تُنْبَتُ": بِضَمِّ التَّاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ، وَحُكْمُهُ حُكْمُ تَنْبُتُ، وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: تُخْرِجُ الدُّهْنَ وَصَبْغَ الْآكِلِينَ، وَغَيْرُهُ: تَخْرُجُ بِالدُّهْنِ: وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ "تُثْمِرُ الدُّهْنَ"، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: "تَنْبُتُ بِالدِّهَانِ"، وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "وَصَبْغًا"، وَقُرِئَ: وَ"صَبَاغٍ"، وَنَحْوُهُمَا: دَبْغٌ وَدَبَاغٌ، وَالصَّبْغُ: الْغَمْسُ لِلِائْتِدَامِ، وَقِيلَ: هِيَ أَوَّلُ شَجَرَةٍ نَبَتَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ، وَوَصَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى- بِالْبَرَكَةِ فِي قَوْلِهِ:﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[5].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾[6]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة النُّورَ، الآية 35.

[6] سورة ، الآية .

قُرِئَ: "تَسْقِيكُمْ": بِتَاءٍ مَفْتُوحَةٍ، أَيْ: تَسْقِيكُمُ الْأَنْعَامُ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[1]، أَيْ: تَتَعَلَّقُ بِهَا مَنَافِعُ مِنَ الرُّكُوبِ وَالْحَمْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا تَتَعَلَّقُ بِمَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَفِيهَا مَنْفَعَةٌ زَائِدَةٌ، وَهِيَ الْأَكْلُ الَّذِي هُوَ انْتِفَاعٌ بِذَوَاتِهَا، وَالْقَصْدُ بِالْأَنْعَامِ إِلَى الْإِبِلِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا فِي الْعَادَةِ، وَقَرَنَهَا بِالْفُلْكِ -الَّتِي هِيَ السَّفَائِنُ-، لِأَنَّهَا سَفَائِنُ الْبَرِّ.

قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

سَفِينَةُ بَرٍّ تَحْتَ خَدِّي زِمَامُهَا

يُرِيدُ صَيْدَحَهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾[2]

﴿غَيْرُهُ﴾[3]: بِالرَّفْعِ عَلَى الْمَحَلِّ، وَبِالْجَرِّ عَلَى اللَّفْظِ، وَالْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافٌ تَجْرِي مَجْرَى التَّعْلِيلِ لِلْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[4]: أَفَلَا تَخَافُونَ أَنْ تَرْفُضُوا عِبَادَةَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ رَبُّكُمْ وَخَالِقُكُمْ وَرَازِقُكُمْ، وَشُكْرُ نِعْمَتِهِ الَّتِي لَا تُحْصُونَهَا وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ تَذْهَبُوا فَتَعْبُدُوا غَيْرَهُ مِمَّا لَيْسَ مِنَ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ فِي شَيْءٍ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

﴿أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[1]: أَنْ يَطْلُبَ الْفَضْلَ عَلَيْكُمْ وَيَرْأَسَكُمْ؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ﴾[2].

﴿بِهَذَا﴾:[3] إِشَارَةٌ إِلَى نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَوْ إِلَى مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَثِّ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، أَيْ: مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ، أَوْ بِمِثْلِ هَذَا الَّذِي يَدَّعِي، وَهُوَ بَشَرٌ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.

وَمَا أَعْجَبَ شَأْنُ الضَّلَالِ لَمْ يَرْضَوْا لِلنُّبُوَّةِ بِبَشَرٍ وَقَدْ رَضُوا لِلْإِلَهِيَّةِ بِحَجَرٍ!

وَقَوْلُهُمْ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾[4]: يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ وَآبَاؤُهُمْ كَانُوا فِي فَتْرَةٍ مُتَطَاوِلَةٍ، أَوْ تُكُذِّبُوا فِي ذَلِكَ؛ لِانْهِمَاكِهِمْ فِي الْغَيِّ، وَتَشَمُّرِهِمْ لِأَنْ يَدْفَعُوا الْحَقَّ بِمَا أَمْكَنَهُمْ وَبِمَا عَنَّ لَهُمْ، مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ مِنْهُمْ بَيْنَ صِدْقٍ وَكَذِبٍ.

أَلَا تَرَاهُمْ: كَيْفَ جَنَّنُوهُ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وَأَوْزَنُهُمْ قَوْلًا، وَالْجِنَّةُ: الْجُنُونُ أَوِ الْجِنُّ، أَيْ: بِهِ جِنَّ يَخْبِلُونَهُ.

﴿حَتَّى حِينٍ﴾[5]، أَيِ: احْتَمِلُوهُ وَاصْبِرُوا عَلَيْهِ إِلَى زَمَانٍ، حَتَّى يَنْجَلِيَ أَمْرُهُ عَنْ عَاقِبَةٍ، فَإِنْ أَفَاقَ مِنْ جُنُونِهِ وَإِلَّا قَتَلْتُمُوهُ.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[6]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة يُونُسَ، الآية 78.

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

فِي نُصْرَتِهِ إِهْلَاكُهُمْ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أُهْلِكُهُمْ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَايَ، أَوِ انْصُرْنِي بَدَلَ مَا كَذَّبُونِي، كَمَا تَقُولُ: هَذَا بِذَاكَ، أَيْ: بَدَلَ ذَاكَ وَمَكَانَهُ. وَالْمَعْنَى: أَبْدِلْنِي مِنْ غَمِّ تَكْذِيبِهِمْ، سَلْوَةَ النُّصْرَةِ عَلَيْهِمْ، أَوِ انْصُرْنِي بِإِنْجَازِ مَا وَعَدْتَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَهُوَ مَا كَذَّبُوهُ فِيهِ حِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾[2]: بِحِفْظِنَا وَكَلَاءَتِنَا، كَأَنَّ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ حُفَّاظًا يَكْلَؤُونَهُ بِعُيُونِهِمْ، لِئَلَّا يُتَعَرَّضَ لَهُ وَلَا يُفْسِدَ عَلَيْهِ مُفْسِدٌ عَمَلَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ عَيْنٌ كَالِئَةٌ، ﴿وَوَحْيِنَا﴾[3]، أَيْ: نَأْمُرُكَ كَيْفَ تَصْنَعُ وَنُعْلِمُكَ.

رُوِيَ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَصْنَعَهَا عَلَى مِثَالِ جُؤْجُؤِ الطَّائِرِ، رُوِيَ أَنَّهُ قِيلَ لِنُوحٍ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: إِذَا رَأَيْتَ الْمَاءَ يَفُورُ مِنَ التَّنُّورِ، فَارْكَبْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ فِي السَّفِينَةِ، فَلَمَّا نَبَعَ الْمَاءُ مِنَ التَّنُّورِ، أَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ فَرَكِبَ، وَقِيلَ: كَانَ تَنُّورُ آدَمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، وَكَانَ مِنْ حِجَارَةٍ، فَصَارَ إِلَى نُوحٍ.

وَاخْتُلِفَ فِي مَكَانِهِ: فَعَنِ الشَّعْبِيِّ: فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ عَنْ يَمِينِ الدَّاخِلِ مِمَّا يَلِي بَابَ كِنْدَةَ، وَكَانَ نُوحٌ عَمِلَ السَّفِينَةَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ، وَقِيلَ: بِالشَّامِ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: عَيْنُ وَرْدَةَ، وَقِيلَ: بِالْهِنْدِ؛ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: التَّنُّورُ وَجْهُ الأرض؛ وَعَنْ قَتَادَةَ: أَشْرَفُ مَوْضِعٍ فِي الأرض، أَيْ: أَعْلَاهُ؛ وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: فَارَ التَّنُّورُ: طَلَعَ الْفَجْرُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ فَوَرَانَ التَّنُّورِ كَانَ عِنْدَ تَنْوِيرِ الْفَجْرِ، وَقِيلَ: هُوَ مَثَلٌ؛ كَقَوْلِهِمْ: حَمِيَ الْوَطِيسُ، وَالْقَوْلُ: هُوَ الْأَوَّلُ، يُقَالُ: سَلَكَ فِيهِ: دَخَلَهُ، وَسَلَكَ غَيْرَهُ، وَأَسْلَكَهُ.

قَالَ:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدِهِ

---

[1] سورة الشُّعَرَاءَ، الآية 135.

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

﴿مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾[1]: مِنْ كُلِّ أُمَّتِي زَوْجَيْنِ، وَهَمَا أُمَّةُ الذَّكَرِ وَأُمَّةُ الْأُنْثَى، كَالْجِمَالِ وَالنُّوقِ، وَالْحُصُنِ وَالرِّمَاكِ، ﴿اثْنَيْنِ﴾[2]: وَاحِدَيْنِ مُزْدَوِجَيْنِ، كَالْجَمَلِ وَالنَّاقَةِ، وَالْحِصَانِ وَالرَّمَكَةِ.

رُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ إِلَّا مَا يَلِدُ وَيَبِيضُ، وَقُرِئَ: "مِنْ كُلٍّ ": بِالتَّنْوِينِ، أَيْ: مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ زَوْجَيْنِ، وَاثْنَيْنِ: تَأْكِيدٌ وَزِيَادَةُ بَيَانٍ.

جِيءَ بِعَلَى مَعَ سَبْقِ الضَّارِّ، كَمَا جِيءَ بِاللَّامِ مَعَ سَبْقِ النَّافِعِ؛ قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾[3]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾[4]، وَنَحْوَ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[5]، وَقَوْلِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: لَيْتَهَا كَانَتْ كَفَافًا، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نَهَاهُ عَنِ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِالنَّجَاةِ؟

قُلْتُ: لَمَّا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَةُ مِنْ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ، وَإِيجَابُ الْحِكْمَةِ أَنْ يَغْرَقُوا لَا مَحَالَةَ؛ لِمَا عُرِفَ مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِي إِغْرَاقِهِمْ، وَالْمَفْسَدَةِ فِي اسْتِبْقَائِهِمْ، وَبَعْدَ أَنْ أَمْلَى لَهُمُ الدَّهْرَ الْمُتَطَاوِلَ فَلَمْ يَزِيدُوا إِلَّا ضَلَالًا، وَلَزِمَتْهُمُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلُوهُ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَلَقَدْ بَالَغَ فِي ذَلِكَ حَيْثُ أَتْبَعَ النَّهْيَ عَنْهُ، الْأَمْرَ بِالْحَمْدِ عَلَى هَلَاكِهِمْ وَالنَّجَاةِ مِنْهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6].

ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُ بِدُعَاءٍ هُوَ أَهَمُّ وَأَنْفَعُ لَهُ، وَهُوَ طَلَبُ أَنْ يُنْزِلَهُ فِي السَّفِينَةِ أَوْ فِي الأرض عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْهَا، مَنْزِلًا يُبَارِكُ لَهُ فِيهِ وَيُعْطِيهِ الزِّيَادَةَ فِي خَيْرِ الدَّارَيْنِ، وَأَنْ يَشْفَعَ الدُّعَاءَ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ الْمُطَابِقِ لِمَسْأَلَتِهِ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[7].

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 101.

[4] سورة الصَّافَّاتِ، الآية 171.

[5] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 286.

[6] سورة الْأَنْعَامَ، الآية 45.

[7] سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: فَقُولُوا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ﴾[1]؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى: فَإِذَا اسْتَوَيْتُمْ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَإِمَامُهُمْ، فَكَانَ قَوْلُهُ قَوْلَهُمْ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِفَضْلِ النُّبُوَّةِ وَإِظْهَارِ كِبْرِيَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ رُتْبَةَ تِلْكَ الْمُخَاطَبَةِ لَا يَتَرَقَّى إِلَيْهَا إِلَّا مَلَكٌ أَوْ نَبِيٌّ، وَقُرِئَ: "مُنْزَلًا": بِمَعْنَى: إِنْزَالًا، أَوْ مَوْضِعِ إِنْزَالٍ؛ كَقَوْلِهِ: لِيُدْخِلَهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، "إِنْ": هِيَ الْمُخَفَّفَةُ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاللَّامُ: هِيَ الْفَارِقَةُ بَيْنَ النَّافِيَةِ وَبَيْنَهَا فِي الْمَعْنَى، وَإِنَّ الشَّأْنَ وَالْقِصَّةَ.

﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[2]، أَيْ: مُصِيبِينَ قَوْمَ نُوحٍ بِبَلَاءٍ عَظِيمٍ وَعِقَابٍ شَدِيدٍ، أَوْ مُخْتَبِرِينَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عِبَادَنَا لِنَنْظُرَ مَنْ يَعْتَبِرُ وَيَذَّكَّرُ؛ كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[3].

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[4]

﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾[5] هُمْ عَادٌ قَوْمُ هُودٍ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، وَتَشْهَدُ لَهُ حِكَايَةُ اللَّهِ –تَعَالَى–: قَوْلَ هُودٍ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾[6]، وَمَجِيءُ قِصَّةِ هُودٍ عَلَى أَثَرِ قِصَّةِ نُوحٍ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَسُورَةِ هُودٍ وَالشُّعَرَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: حُقَّ أَرْسَلَ أَنْ يُعَدَّى بِإِلَى، كَأَخَوَاتِهِ الَّتِي هِيَ: وَجَّهَ، وَأَنْفَذَ، وَبَعَثَ، فَمَا بَالُهُ عُدِّيَ فِي الْقُرْآنِ بِإِلَى تَارَةً، وَبِفِي أُخْرَى؛ كَقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾[7]، وَ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة الْقَمَرَ، الآية 15.

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 69.

[7] سورة الرَّعْدَ، الآية 30.

قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾[1]، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولا﴾[2]، أَيْ: فِي عَادٍ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[3]؟

قُلْتُ: لَمْ يُعَدَّ بِفِي كَمَا عُدِّيَ بِإِلَى، وَلَمْ يُجْعَلْ صِلَةَ مِثْلِهِ، وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ أَوِ الْقَرْيَةَ جُعِلَتْ مَوْضِعًا لِلْإِرْسَالِ؛ كَمَا قَالَ رُؤْبَةُ:

أَرْسَلْتُ فِيهَا مُصْعَبًا ذَا إِقْحَامْ

وَقَدْ جَاءَ "بَعَثَ" عَلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾[4]، "أَنْ" مُفَسِّرَةٌ لَأَرْسَلْنَا، أَيْ: قُلْنَا لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[5].

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[6]

فَإِنْ قُلْتَ: ذَكَرَ مَقَالَ قَوْمِ هُودٍ فِي جَوَابِهِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَسُورَةِ هُودٍ بِغَيْرِ وَاوٍ:﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾[7]، ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾[8]، هَا هُنَا مَعَ الْوَاوِ، فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَهُمَا؟

قُلْتُ: الَّذِي بِغَيْرِ وَاوٍ عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالِ سَائِلٍ قَالَ: فَمَا قَالَ قَوْمُهُ؟ فَقِيلَ لَهُ: قَالُوا كَيْتَ وَكَيْتَ، وَأَمَّا الَّذِي مَعَ الْوَاوِ، فَعَطْفٌ لِمَا قَالُوهُ عَلَى مَا قَالَهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي

---

[1] سورة سَبَأ، الآية 34.

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 65.

[4] سورة الْفُرْقَانَ، الآية 51.

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 66.

[8] سورة هُودَ، الآية 53.

الْحُصُولِ هَذَا الْحَقُّ وَهَذَا الْبَاطِلُ، وَشَتَّانَ مَا هُمَا، ﴿بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾[1]: بِلِقَاءِ مَا فِيهَا مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ؛ كَقَوْلِكَ: يَا حَبَّذَا جِوَارَ مَكَّةَ، أَيْ: جِوَارُ اللَّهِ فِي مَكَّةَ.

حُذِفَ الضَّمِيرُ، وَالْمَعْنَى: مِنْ مَشْرُوبِكُمْ، أَوْ حُذِفَ مِنْهُ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ.

"إِذَا": وَاقِعٌ فِي جَزَاءِ الشَّرْطِ، وَجَوَابٌ لِلَّذِينِ قَاوَلُوهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، أَيْ: تَخْسَرُونَ عُقُولَكُمْ وَتُغْبَنُونَ فِي آرَائِكُمْ.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2]

ثَنَّى "إِنَّكُمْ" لِلتَّوْكِيدِ، وَحَسُنَ ذَلِكَ؛ لِفَصْلِ مَا بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بِالظَّرْفِ، وَمُخْرَجُونَ: خَبَرٌ عَنِ الْأَوَّلِ، أَوْ جُعِلَ: ﴿أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾[3] مُبْتَدَأً، وَ﴿إِذَا مِتُّمْ﴾[4]: خَبَرًا، عَلَى مَعْنَى: إِخْرَاجُكُمْ إِذَا مُتُّمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِالْجُمْلَةِ عَنْ إِنَّكُمْ، أَوْ رُفِعَ ﴿أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾[5] بِفِعْلٍ هُوَ جَزَاءٌ لِلشَّرْطِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: إِذَا مُتُّمْ وَقَعَ إِخْرَاجُكُمْ، ثُمَّ أُوقِعَتِ الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ خَبَرًا عَنْ إِنَّكُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "أَيَعِدُكُمْ إِذَا مُتُّمْ".

قُرِئَ: "هَيْهَاتَ": بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَالضَّمِّ، كُلُّهَا بِتَنْوِينٍ وَبِلَا تَنْوِينٍ، وَبِالسُّكُونِ عَلَى لَفْظِ الْوَقْفِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا تُوعَدُونَ هُوَ الْمُسْتَبْعَدُ، وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ يَرْتَفِعَ بِهَيْهَاتَ؛ كَمَا ارْتَفَعَ فِي قَوْلِهِ:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَأَهْلُهُ

فَمَا هَذِهِ اللَّامُ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

قُلْتُ: قَالَ الزَّجَّاجُ فِي تَفْسِيرِهِ: الْبُعْدُ لِمَا تُوعَدُونَ، أَوْ بُعْدٌ لِمَا تُوعَدُونَ فِيمَنْ نَوَّنَ، فَنَزَّلَهُ مَنْزِلَةَ الْمَصْدَرِ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّامُ: لِبَيَانِ الْمُسْتَبْعَدِ مَا هُوَ بَعْدَ التَّصْوِيتِ بِكَلِمَةِ الِاسْتِبْعَادِ، كَمَا جَاءَتِ اللَّامُ فِي: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[1]: لِبَيَانِ الْمُهَيَّتِ بِهِ.

هَذَا ضَمِيرٌ لَا يُعْلَمُ مَا يَعْنِي بِهِ إِلَّا بِمَا يَتْلُوهُ مِنْ بَيَانِهِ، وَأَصْلُهُ إِنِ الْحَيَاةُ:﴿ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[2]، ثُمَّ وُضِعَ "هِيَ": مَوْضِعَ الْحَيَاةِ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ يَدُلُّ عَلَيْهَا وَيُبَيِّنُهَا، وَمِنْهُ: هِيَ النَّفْسُ تَتَحَمَّلُ مَا حَمَلَتْ، وَهِيَ الْعَرَبُ تَقُولُ مَا شَاءَتْ.

وَالْمَعْنَى: لَا حَيَاةَ إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ؛ لِأَنَّ "إِنِ": النَّافِيَةَ دَخَلَتْ عَلَى "هِيَ": الَّتِي فِي مَعْنَى: الْحَيَاةِ، الدَّالَّةِ عَلَى الْجِنْسِ فَنَفَتْهَا، فَوَازَنَتْ "لَا": الَّتِي نَفَتْ مَا بَعْدَهَا نَفْيَ الْجِنْسِ.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[3]، أَيْ: يَمُوتُ بَعْضٌ وَيُولَدُ بَعْضٌ، يَنْقَرِضُ قَرْنٌ وَيَأْتِي قَرْنٌ آخَرُ، ثُمَّ قَالُوا: مَا هُوَ إِلَّا مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ اسْتِنْبَائِهِ لَهُ، وَفِيمَا يَعِدُنَا مِنَ الْبَعْثِ، وَمَا نَحْنُ بِمُصَدِّقِينَ.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4]

﴿قَلِيلٍ﴾ :[5]صِفَةٌ لِلزَّمَانِ، كَقَدِيمٍ وَحَدِيثٍ، فِي قَوْلِكَ: مَا رَأَيْتُهُ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا، وَفِي مَعْنَاهُ: عَنْ قَرِيبٍ، وَ"مَا": تَوْكِيدُ قِلَّةِ الْمُدَّةِ وَقِصَرِهَا.

﴿الصَّيْحَةُ﴾:[6] صَيْحَةُ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–: صَاحَ عَلَيْهِمْ فَدَمَّرَهُمْ، ﴿بِالْحَقِّ﴾:[7] بِالْوُجُوبِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْجَبُوا الْهَلَاكَ، أَوْ بِالْعَدْلِ مِنَ اللَّهِ، مِنْ قَوْلِكَ: فُلَانٌ يَقْضِي بِالْحَقِّ

---

1 سورة ، الآية .
2 سورة ، الآية .
3 سورة ، الآية .
4 سورة ، الآية .
5 سورة ، الآية .
6 سورة ، الآية .
7 سورة ، الآية .

إِذَا كَانَ عَادِلًا فِي قَضَايَاهُ: شَبَّهَهُمْ فِي دَمَارِهِمْ بِالْغُثَاءِ، وَهُوَ: حَمِيلُ السَّيْلِ مِمَّا بَلِيَ وَاسْوَدَّ مِنَ الْعِيدَانِ وَالْوَرَقِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[1]، وَقَدْ جَاءَ مُشَدَّدًا فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

مِنَ السَّيْلِ وَالْغُثَّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ

بُعْدًا، وَسُحْقًا، وَدُفْرًا، وَنَحْوُهَا؛ مَصَادِرُ مَوْضُوعَةٌ مَوَاضِعَ أَفْعَالِهَا، وَهِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَصَادِرِ الَّتِي قَالَ سِيبَوَيْهِ: نُصِبَتْ بِأَفْعَالٍ لَا يُسْتَعْمَلُ إِظْهَارُهَا.

وَمَعْنَى "بُعْدًا": بَعُدُوا، أَيْ: هَلَكُوا، يُقَالُ: بَعُدَ بُعْدًا وَبَعَدًا، نَحْوَ: رَشُدَ رُشْدًا وَرَشَدًا.

وَ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2]: بَيَانٌ لِمَنْ دُعِيَ عَلَيْهِ بِالْبُعْدِ؛ نَحْوَ: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[3]، وَ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾[4].

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[5]

﴿قُرُونًا﴾[6]: قَوْمُ صَالِحٍ وَلُوطٍ وَشُعَيْبٍ وَغَيْرُهُمْ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: بَنِي إِسْرَائِيلَ.

﴿أَجَلَهَا﴾[7]: الْوَقْتُ الَّذِي حُدَّ لِهَلَاكِهَا وَكُتِبَ.

---

[1] سورة الْأَعْلَى، الآية 5.

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة يُوسُفَ، الآية 23.

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1]

﴿تَتْرَى﴾[2]، فَعْلَى: الْأَلِفُ لِلتَّأْنِيثِ؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ جَمَاعَةٌ، وَقُرِئَ: "تَتْرًى": بِالتَّنْوِينِ، وَالتَّاءِ: بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ، كَمَا فِي: تُولِجِ، وَتِيقُورٍ، أَيْ: مُتَوَاتِرِينَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، مِنَ الْوَتْرِ، وَهُوَ الْفَرْدُ: أَضَافَ الرُّسُلَ إِلَيْهِ –تَعَالَى– وَإِلَى أُمَمِهِمْ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[3]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[4]، لِأَنَّ الْإِضَافَةَ تَكُونُ الْمُلَابَسَةَ، وَالرَّسُولُ مَلَابِسٌ الْمُرْسَلَ وَالْمُرْسَلَ إِلَيْهِ جَمِيعًا.

﴿فَأَتْبَعْنَا﴾:[5] الْأُمَمَ: أَوِ الْقُرُونَ، ﴿بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾[6]: فِي الْإِهْلَاكِ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾:[7] أَخْبَارًا يُسْمَرُ بِهَا وَيُتَعَجَّبُ مِنْهَا، الْأَحَادِيثُ: تَكُونُ اسْمَ جَمْعٍ لِلْحَدِيثِ، وَمِنْهُ: أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَتَكُونُ جَمْعًا لِلْأُحْدُوثَةِ: الَّتِي هِيَ مِثْلُ الْأُضْحُوكَةِ وَالْأُلْعُوبَةِ وَالْأُعْجُوبَةِ، وَهِيَ: مِمَّا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ تَلَهِّيًا وَتَعَجُّبًا، وَهُوَ الْمُرَادُ هَا هُنَا.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾[8]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْمُرَادُ بِالسُّلْطَانِ الْمُبِينِ؟

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة الْمَائِدَةَ، الآية 32.

[4] سورة الْأَعْرَافَ، الآية 101.

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

[8] سورة ، الآية .

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ تُرَادَ الْعَصَا؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أُمَّ آيَاتِ مُوسَى وَأُولَاهَا، وَقَدْ تَعَلَّقَتْ بِهَا مُعْجِزَاتٌ شَتَّى: مِنَ انْقِلَابِهَا حَيَّةً، وَتَلَقُّفِهَا مَا أَفَكَتْهُ السَّحَرَةُ، وَانْفِلَاقِ الْبَحْرِ، وَانْفِجَارِ الْعُيُونِ مِنَ الْحَجَرِ بِضَرْبِهِمَا بِهَا، وَكَوْنِهَا حَارِسًا، وَشَمْعَةً، وَشَجَرَةً خَضْرَاءَ مُثْمِرَةً، وَدَلْوًا وَرِشَاءً، وَجُعِلَتْ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ بَعْضَهَا لِمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ؛ فَلِذَلِكَ عُطِفَتْ عَلَيْهَا؛ كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[1]، وَيَجُوزُ أَنْ تُرَادَ الْآيَاتُ أَنْفُسُهَا، أَيْ: هِيَ آيَاتٌ وَحُجَّةٌ بَيِّنَةٌ.

﴿عَالِينَ﴾[2]: مُتَكَبِّرِينَ؛ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأرض﴾[3]، ﴿لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأرض﴾[4]، أَوْ مُتَطَاوِلِينَ عَلَى النَّاسِ قَاهِرِينَ بِالْبَغْيِ وَالظُّلْمِ.

﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾[5]

الْبَشَرُ يَكُونُ وَاحِدًا وَجَمْعًا: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾[6]، ﴿لِبَشَرَيْنِ﴾[7]، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ﴾[8].

---

1 سورة الْبَقَرَة، الآية 98.

2 سورة ، الآية .

3 سورة]الْقَصَص، الآية 4.

4 سورة]الْقَصَص، الآية 83.

5 سورة ، الآية .

6 سورة مَرْيَم، الآية 17.

7 سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية 47.

8 سورة مَرْيَم، الآية 26.

وَ"مِثْلُ"، وَ"غَيْرُ" يُوصَفُ بِهِمَا: الِاثْنَانِ، وَالْجَمْعُ، وَالْمُذَكَّرُ، وَالْمُؤَنَّثُ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾[1]، ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[2]؛ وَيُقَالُ -أَيْضًا-: هُمَا مِثْلَاهُ؛ وَهُمْ أَمْثَالُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[3].

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾[4]، يَعْنِي: بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَنَا خُضُوعًا وَتَذَلُّلًا، أَوْ لِأَنَّهُ كَانَ يَدَّعِي الْإِلَهِيَّةَ، فَادَّعَى لِلنَّاسِ الْعِبَادَةَ، وَأَنَّ طَاعَتَهُمْ لَهُ عِبَادَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[5]

﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾[6]، أَيْ: قَوْمَ مُوسَى التَّوْرَاةَ، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾[7]: يَعْمَلُونَ بِشَرَائِعِهَا وَمَوَاعِظِهَا، كَمَا قَالَ: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾[8]، يُرِيدُ: آلَ فِرْعَوْنَ، وَكَمَا يَقُولُونَ: هَاشِمٌ، وَثَقِيفٌ، وَتَمِيمٌ، وَيُرَادُ: قَوْمُهُمْ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ فِي ﴿لَعَلَّهُمْ﴾[9] إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ؛ لِأَنَّ التَّوْرَاةَ إِنَّمَا أُوتِيَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ إِغْرَاقِ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى﴾[10].

---

[1] سورة النِّسَاءِ، الآية 140.
[2] سورة الطَّلَاقِ، الآية 12.
[3] سورة الْأَعْرَافِ، الآية 194.
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .
[6] سورة ، الآية .
[7] سورة ، الآية .
[8] سورة يُونُسَ، الآية 83.
[9] سورة ، الآية .
[10] سورة الْقَصَصِ، الآية 43.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1]

فإن قلتَ: لو قيل آيتين هل كان يكون له وجه؟

قلتُ: نعم، لأنّ مريم ولدت من غير مسيس، وعيسى روح من الله ألقى إليها، وقد تكلّم في المهْد، وكان يحيى الموتى مع معْجزات أخر، فكان آية من غير وجه، واللّفْظ محتمل للتّثنية على تقْدير.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[2] ثمّ حذفت الأولى لدلالة الثّانية عليها.

الرّبوة والرّباوة في رائهما الحركات. وقرئ: ربوة ورباوة، بالضمّ. ورباوة بالكسر، وهي الأرض المرتفعة. قيل: هي إيليا أرض بيت المقدس، وأنّها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا: عن كعب. وقيل: دمشق وغوطتها.

وعن الحسن: فلسطين والرّملة، وعن أبى هريرة: الزموا هذه الرّملة رملة فلسطين، فإنّها الربوة التي ذكرها الله. وقيل: مصر. والقرار: المستقرّ من أرض مستوية منبسطة. وعن قتادة: ذات ثمار وماء، يعنى أنّه لأجل الثّمار: يستقرّ فيها ساكنوها. والمعين: الماء الظّاهر الجاري على وجه الأرض.

وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته، فوجه من جعله مفعولاً أنّه مدرك بالعين لظهوره، من عانه: إذا أدركه بعينه، نحو: ركبه، إذا ضربه بركبته. ووجه من جعله فعيلا: أنّه نفاع بظهوره وجريه، من الماعون: وهو المنْفعة.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[3]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

هَذَا النِّدَاءُ وَالْخِطَابُ لَيْسَا عَلَى ظَاهِرِهِمَا، وَكَيْفَ وَالرُّسُلُ إِنَّمَا أُرْسِلُوا مُتَفَرِّقِينَ فِي أَزْمِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: الْإِعْلَامُ بِأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ فِي زَمَانِهِ نُودِيَ لِذَلِكَ وَوَصَّى بِهِ، لِيَعْتَقِدَ السَّامِعُ أَنَّ أَمْرًا نُودِيَ لَهُ جَمِيعُ الرُّسُلِ وَوُصُّوا بِهِ، حَقِيقٌ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ وَيُعْمَلَ عَلَيْهِ.

وَالْمُرَادُ بِالطَّيِّبَاتِ: مَا حَلَّ وَطَابَ. وَقِيلَ: طَيِّبَاتُ الرِّزْقِ حَلَالٌ وَصَافٍ وَقِوَامٌ، فَالْحَلَالُ: الَّذِي لَا يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ، وَالصَّافِي: الَّذِي لَا يُنْسَى اللهُ فِيهِ، وَالْقِوَامُ: مَا يَمْسِكُ النَّفْسَ وَيَحْفَظُ الْعَقْلَ. أَوْ أُرِيدَ مَا يُسْتَطَابُ وَيُسْتَلَذُّ مِنَ الْمَآكِلِ وَالْفَوَاكِهِ. وَيَشْهَدُ لَهُ مَجِيئُهُ عَلَى عَقِبِ قَوْلِهِ: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا﴾[1] إِلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَقَعَ هَذَا الْإِعْلَامُ عِنْدَ إِيوَاءِ عِيسَى وَمَرْيَمَ إِلَى الرَّبْوَةِ، فَذَكَرَ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ، أَيْ: آوَيْنَاهُمَا وَقُلْنَا لَهُمَا هَذَا، أَيْ: أَعْلَمْنَاهُمَا أَنَّ الرُّسُلَ كُلَّهُمْ خُوطِبُوا بِهَذَا، فَكُلَا مِمَّا رَزَقْنَاكُمَا وَاعْمَلَا صَالِحًا اقْتِدَاءً بِالرُّسُلِ .

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2]، قُرِئَ: "وَإِنَّ"، بِالْكَسْرِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، وَأَنَّ بِمَعْنَى وَلِأَنَّ، وَأَنْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَ"أُمَّتُكُمْ" مَرْفُوعَةٌ مَعَهَا.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[3]

وَقُرِئَ: ﴿زُبُرًا﴾[4]: جَمْعُ زَبُورٍ، أَيْ: كُتُبًا مُخْتَلِفَةً، يَعْنِي: جَعَلُوا دِينَهُمْ أَدْيَانًا، وَزُبُرًا قِطَعًا: اسْتُعِيرَتْ مِنْ زُبُرِ الْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ، وَ﴿زُبُرًا﴾[5]: مُخَفَّفَةَ الْبَاءِ، كَرُسُلٍ فِي رُسُلٍ، أَيْ: كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْ فِرَقِ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ الْمُتَقَطِّعِينَ دِينَهُمْ، فَرِحٌ بِبَاطِلِهِ، مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ، مُعْتَقِدٌ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾[1]

الْغَمْرَةُ: الْمَاءُ الَّذِي يَغْمُرُ الْقَامَةَ؛ فَضُرِبَتْ مَثَلًا لِمَا هُمْ مَغْمُورُونَ فِيهِ مِنْ جَهْلِهِمْ وَعَمَايَتِهِمْ، أَوْ شُبِّهُوا بِاللَّاعِبِينَ فِي غَمْرَةِ الْمَاءِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ.

قَالَ:

كَأَنَّنِي ضَارِبٌ فِي غَمْرَةٍ لَعِبُ

وَعَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: فِي غَمَرَاتِهِمْ، ﴿حَتَّى حِينٍ﴾[2]: إِلَى أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَمُوتُوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾[3]

سَلَّى رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِذَلِكَ، وَنَهَى عَنِ الِاسْتِعْجَالِ بِعَذَابِهِمْ وَالْجَزَعِ مِنْ تَأْخِيرِهِ، وَقُرِئَ: "يَمُدُّهُمْ" و"يُسَارِعُ "، و"يُسْرِعُ": بِالْيَاءِ، وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَيَجُوزُ فِي: يُسَارِعُ، وَيُسْرِعُ: أَنْ يَتَضَمَّنَ ضَمِيرَ الْمُمَدِّ بِهِ، وَيُسَارِعُ، مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذَا الْإِمْدَادَ لَيْسَ إِلَّا اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي، وَاسْتِجْرَارًا إِلَى زِيَادَةِ الْإِثْمِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَهُ مُسَارَعَةً لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ، وَفِيمَا لَهُمْ فِيهِ نَفْعٌ وَإِكْرَامٌ، وَمُعَاجَلَةٌ بِالثَّوَابِ قَبْلَ وَقْتِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ فِي جَزَاءِ الْخَيْرَاتِ كَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَ﴿بَلْ﴾[1]: اسْتِدْرَاكٌ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾[2] ، يَعْنِي: بَلْ هُمْ أَشْبَاهُ الْبَهَائِمِ لَا فِطْنَةَ بِهِمْ وَلَا شُعُورَ، حَتَّى يَتَأَمَّلُوا وَيَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ: أَهُوَ اسْتِدْرَاجٌ، أَمْ مُسَارَعَةٌ فِي الْخَيْرِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: أَيْنَ الرَّاجِعُ مِنْ خَبَرِ أَنَّ لَهَا اسْمَهَا إِذَا لَمْ يَسْتَكِنَّ فِيهِ ضَمِيرُهُ؟

قُلْتُ: هُوَ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: نُسَارِعُ بِهِ، وَيُسَارِعُ بِهِ، وَيُسَارِعُ اللَّهُ بِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[3]، أَيْ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ لِاسْتِطَالَةِ الْكَلَامِ مَعَ أَمْنِ الْإِلْبَاسِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[4]

﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾[5]: يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْا، وَفِي قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَعَائِشَةَ:" يَأْتُونَ مَا أَتَوْا"، أَيْ: يَفْعَلُونَ مَا فَعَلُوا، وَعَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَخَافُ اللَّهَ؟ قَالَ: "لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَخَافُ اللَّهَ أَلَّا يَقْبَلَ مِنْهُ.

﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[6] يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يُرَادَ يَرْغَبُونَ فِي الطَّاعَاتِ أَشَدَّ الرَّغْبَةِ فَيُبَادِرُونَهَا.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة الشُّورَى، الآية 43.

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

– وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ يَتَعَجَّلُونَ فِي الدُّنْيَا الْمَنَافِعَ وَوُجُوهَ الْإِكْرَامِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾[1]، ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا سُورِعَ بِهَا لَهُمْ، فَقَدْ سَارَعُوا فِي نَيْلِهَا وَتَعَجَّلُوهَا.

وَهَذَا الْوَجْهُ أَحْسَنُ طِبَاقًا لِلْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ مَا نُفِيَ عَنِ الْكُفَّارِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَقُرِئَ: "يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.

﴿لَهَا سَابِقُونَ﴾[3]، أَيْ: فَاعِلُونَ السَّبْقَ لِأَجْلِهَا أَوْ سَابِقُونَ النَّاسَ لِأَجْلِهَا، أَوْ إِيَّاهَا سَابِقُونَ، أَيْ: يَنَالُونَهَا قَبْلَ الْآخِرَةِ؛ حَيْثُ عُجِّلَتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿لَهَا سَابِقُونَ﴾[4] خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ. وَمَعْنَى: ﴿وَهُمْ لَهَا﴾[5]، كَمَعْنَى قَوْلِهِ:

أَنْتَ لَهَا أَحْمَدُ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ

﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾[6]

يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الَّذِي وَصَفَ بِهِ الصَّالِحِينَ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ حَدِّ الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا كَلَّفَهُ عِبَادَهُ وَمَا عَمِلُوهُ مِنَ الْأَعْمَالِ فَغَيْرُ ضَائِعٍ عِنْدَهُ، بَلْ هُوَ مُثْبَتٌ لَدَيْهِ فِي كِتَابٍ، يُرِيدُ: اللَّوْحَ، أَوْ صَحِيفَةَ الْأَعْمَالِ نَاطِقٌ بِالْحَقِّ لَا يَقْرَءُونَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا هُوَ صِدْقٌ وَعَدْلٌ، لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ وَلَا يُظْلَمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، أَوْ أَرَادَ: أَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ إِلَّا الْوُسْعَ.

---

[1] سورة آلَ عِمْرَانَ، الآية 148.

[2] سورة الْعَنْكَبُوتَ، الآية 27.

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

فَإِنْ لَمْ يَبْلُغِ الْمُكَلَّفُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صِفَةِ هَؤُلَاءِ السَّابِقِينَ بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْرِغَ وُسْعَهُ وَيَبْذُلَ طَاقَتَهُ، فَلَا عَلَيْهِ، وَلَدَيْنَا كِتَابٌ فِيهِ عَمَلُ السَّابِقِ وَالْمُقْتَصِدِ، وَلَا نَظْلِمُ أَحَدًا وَلَا نَحُطُّهُ دُونَ دَرَجَتِهِ، بَلْ قُلُوبُ الْكَفَرَةِ فِي غَفْلَةٍ غَامِرَةٍ لَهَا.

﴿فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾[1]، أَيْ: مِمَّا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمَوْصُوفُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾[2]: مُتَجَاوِزَةٌ مُتَخَطِّيَةٌ لِذَلِكَ، أَيْ: لِمَا وُصِفَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ، ﴿هُمْ لَهَا﴾[3]: مُعْتَادُونَ وَبِهَا ضَارُونَ، لَا يُفْطَمُونَ عَنْهَا حَتَّى يَأْخُذَهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾[4]

وَحَتَّى هَذِهِ هِيَ الَّتِي يُبْتَدَأُ بَعْدَهَا الْكَلَامُ، وَالْكَلَامُ: الْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ، وَالْعَذَابُ: قَتْلُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، أَوِ الْجُوعُ حِينَ دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ"، فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالْقَحْطِ حَتَّى أَكَلُوا الْجِيَفَ وَالْكِلَابَ وَالْعِظَامَ الْمُحْتَرِقَةَ وَالْقَدَّ وَالْأَوْلَادَ، الْجُؤَارُ: الصُّرَاخُ بِاسْتِغَاثَةٍ؛ قَالَ: [مِنَ الْكَامِلِ

جَأَرَ سَاعَاتِ النِّيَامِ لِرَبِّهِ

أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ حِينَئِذٍ: "لَا تَجْأَرُوا"؛ فَإِنَّ الْجُؤَارَ غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ.

﴿مِنَّا لا تُنْصَرُونَ﴾[5]: لَا تُغَاثُونَ وَلَا تُمْنَعُونَ مِنَّا أَوْ مِنْ جِهَتِنَا، لَا يَلْحَقُكُمْ نَصْرٌ وَمَغُوثَةٌ، قَالُوا: الضَّمِيرُ فِي "بِهِ": لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ لِلْحَرَمِ، كَانُوا يَقُولُونَ: لَا يَظْهَرُ عَلَيْنَا أَحَدٌ؛ لِأَنَّا أَهْلُ الْحَرَمِ، وَالَّذِي سَوَّغَ هَذَا الْإِضْمَارَ شُهْرَتُهُمْ بِالِاسْتِكْبَارِ بِالْبَيْتِ، وَأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

مَفْخَرَةٌ إِلَّا أَنَّهُمْ وُلَاتُهُ وَالْقَائِمُونَ بِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى آيَاتِي، إِلَّا أَنَّهُ ذُكِرَ؛ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى كِتَابِي، وَمَعْنَى اسْتِكْبَارِهِمْ بِالْقُرْآنِ: تَكْذِيبُهُمْ بِهِ اسْتِكْبَارًا، ضِمْنَ مُسْتَكْبِرِينَ مَعْنَى مُكَذِّبِينَ، فَعُدِّيَ تَعْدِيَتَهُ، أَوْ يُحْدِثُ لَكُمُ اسْتِمَاعَهُ اسْتِكْبَارًا وَعُتُوًّا، فَأَنْتُمْ مُسْتَكْبِرُونَ بِسَبَبِهِ، أَوْ تَتَعَلَّقُ الْبَاءُ بِسَامِرًا، أَيْ: تَسْمُرُونَ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ وَبِالطَّعْنِ فِيهِ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ بِاللَّيْلِ يَسْمُرُونَ. وَكَانَتْ عَامَّةُ سَمَرِهِمْ ذِكْرَ الْقُرْآنِ وَتَسْمِيَتَهُ سِحْرًا وَشِعْرًا وَسَبَّ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوْ يَتَهَجَّرُونَ، وَالسَّامِرُ: نَحْوَ الْحَاضِرِ فِي الْإِطْلَاقِ عَلَى الْجَمْعِ، وَقُرِئَ: "سُمُرًا" وَ "سُمَّارًا"، و"تَهْجُرُونَ وَتَهْجِرُونَ": مِنْ أَهْجَرَ فِي مَنْطِقِهِ إِذَا أَفْحَشَ، وَالْهُجْرُ بِالضَّمِّ –: الْفُحْشُ، وَمِنْ هَجَّرَ الَّذِي هُوَ مُبَالَغَةٌ فِي هَجَرَ إِذَا هَذِيَ، وَالْهَجْرُ بِالْفَتْحِ–: الْهَذَيَانُ.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1]

﴿الْقَوْلَ﴾[2]: الْقُرْآنُ، يَقُولُ: أَفَلَمْ يَتَدَبَّرُوهُ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ فَيُصَدِّقُوا بِهِ وَبِمَنْ جَاءَ بِهِ، بَلْ ﴿جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ﴾[3]؛ فَلِذَلِكَ أَنْكَرُوهُ وَاسْتَبْدَعُوهُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[4]، أَوْ لِيَخَافُوا عَنْهُ تَدَبُّرَ آيَاتِهِ وَأَقَاصِيصِهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، أَمْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَمْنِ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ؛ حِينَ خَافُوا اللَّهَ فَآمَنُوا بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَأَطَاعُوهُ؟ وَآبَاؤُهُمْ: إِسْمَاعِيلُ وَأَعْقَابُهُ مِنْ عَدْنَانَ وَقَحْطَانَ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ، فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمِينَ، وَلَا تَسُبُّوا قَسًّا؛ فَإِنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، وَلَا تَسُبُّوا الْحَارِثَ بْنَ كَعْبٍ وَلَا أَسَدَ بْنَ خُزَيْمَةَ وَلَا تَمِيمَ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة يس، الآية 66.

بْنَ مُرٍّ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا شَكَكْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَلَا تَشُكُّوا فِي أَنْ تُبَّعًا كَانَ مُسْلِمًا".

وَرُوِيَ فِي أَنَّ ضَبَّةَ كَانَ مُسْلِمًا، وَكَانَ عَلَى شُرْطَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا﴾[1]: مُحَمَّدًا وَصِحَّةَ نَسَبِهِ، وَحُلُولَهُ فِي سِطَةِ هَاشِمٍ، وَأَمَانَتَهُ، وَصِدْقَهُ، وَشَهَامَتَهُ، وَعَقْلَهُ وَاتِّسَامَهُ بِأَنَّهُ خَيْرُ فِتْيَانِ قُرَيْشٍ، وَالْخُطْبَةُ الَّتِي خَطَبَهَا أَبُو طَالِبٍ فِي نِكَاحِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، كَفَى بِرُغَائِهَا مُنَادِيًا.

الْجِنَّةُ: الْجُنُونُ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْهَا وَأَنَّهُ أَرْجَحُهُمْ عَقْلًا وَأَثْقَبُهُمْ ذِهْنًا، وَلَكِنَّهُ جَاءَهُمْ بِمَا خَالَفَ شَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَاءَهُمْ، وَلَمْ يُوَافِقْ مَا نَشَؤُوا عَلَيْهِ، وَسِيطَ بِلُحُومِهِمْ، وَدِمَائِهِمْ مِنَ اتِّبَاعِ الْبَاطِلِ، وَلَمْ يَجِدُوا لَهُ مَرَدًّا وَلَا مَدْفَعًا؛ لِأَنَّهُ الْحَقُّ الْأَبْلَجُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فَأَخْلَدُوا إِلَى الْبُهْتِ، وَعَوَّلُوا عَلَى الْكَذِبِ مِنَ النِّسْبَةِ إِلَى الْجُنُونِ وَالسِّحْرِ وَالشِّعْرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾[2] فِيهِ أَنَّ أَقَلَّهُمْ كَانُوا لَا يَكْرَهُونَ الْحَقَّ.

قُلْتُ: كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَتْرُكُ الْإِيمَانَ بِهِ أَنَفَةً وَاسْتِنْكَافًا مِنْ تَوْبِيخِ قَوْمِهِ، وَأَنْ يَقُولُوا: صَبَأَ وَتَرَكَ دِينَ آبَائِهِ، لَا كَرَاهَةً لِلْحَقِّ، كَمَا يُحْكَى عَنْ أَبِي طَالِبٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِزَعْمِ بَعْضِ النَّاسِ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ صَحَّ إِسْلَامُهُ.

قُلْتُ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَأَنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ أَخْمَلَ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى يَشْتَهِرَ إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَيَخْفَى إِسْلَامُ أَبِي طَالِبٍ.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[3]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

دَلَّ بِهَذَا عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الْحَقِّ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض مَا قَامَتْ وَلَا مَنْ فِيهِنَّ إِلَّا بِهِ، فَلَوِ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ لَانْقَلَبَ بَاطِلًا، وَلَذَهَبَ مَا يَقُومُ بِهِ الْعَالَمُ فَلَا يَبْقَى لَهُ بَعْدَهُ قِوَامٌ، أَوْ أَرَادَ أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ الْإِسْلَامُ، لَوِ اتَّبَعَ أَهْوَاءَهُمْ وَانْقَلَبَ شِرْكًا، لَجَاءَ اللَّهُ بِالْقِيَامَةِ، وَلَأَهْلَكَ الْعَالَمَ وَلَمْ يُؤَخِّرْ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ الْحَقَّ هُوَ اللَّهُ، وَمَعْنَاهُ: وَلَوْ كَانَ اللَّهُ إِلَهًا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَيَأْمُرُ بِالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، لَمَا كَانَ إِلَهًا وَلَكَانَ شَيْطَانًا، وَلَمَا قَدَرَ أَنْ يُمْسِكَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض.

"بِذِكْرِهِمْ"، أَيْ: بِالْكِتَابِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُهُمْ، أَيْ: وَعْظُهُمْ أَوْ وَصِيَّتُهُمْ وَفَخْرُهُمْ: أَوْ بِالذِّكْرِ الَّذِي كَانُوا يَتَمَنَّوْنَهُ، وَيَقُولُونَ: لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، وَقُرِئَ: "بِذِكْرَاهُمْ".

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[1]

قُرِئَ: "خَرَاجًا فَخَرَاجُ" وَ"خَرْجًا فَخَرْجُ"، "خَرْجَا فَخَرَاجُ": وَهُوَ مَا تُخْرِجُهُ إِلَى الْإِمَامِ مِنْ زَكَاةِ أَرْضِكَ، وَإِلَى كُلِّ عَامِلٍ مِنْ أُجْرَتِهِ وَجُعْلِهِ، وَقِيلَ: الْخَرْجُ: مَا تَبَرَّعْتَ بِهِ.

وَالْخَرَاجُ: مَا لَزِمَكَ أَدَاؤُهُ، وَالْوَجْهُ: أَنَّ الْخَرْجَ أَخَصُّ مِنَ الْخَرَاجِ؛ كَقَوْلِكَ: خَرَاجُ الْقَرْيَةِ، وَخَرْجُ الْكَرْدَةِ؛ زِيَادَةُ اللَّفْظِ لِزِيَادَةِ الْمَعْنَى؛ وَلِذَلِكَ حَسُنَتْ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: "خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ"، يَعْنِي: أَمْ تَسْأَلُهُمْ عَلَى هِدَايَتِكَ لَهُمْ قَلِيلًا مِنْ عَطَاءِ الْخَلْقِ، فَالْكَثِيرُ مِنْ عَطَاءِ الْخَالِقِ خَيْرٌ.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[2]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة الْبَقَرَةَ، الآية 213.

قَدْ أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَقَطَعَ مَعَاذِيرَهُمْ وَعِلَلَهُمْ بِأَنَّ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مَعْرُوفٌ أَمْرُهُ وَحَالُهُ، مَخْبُورٌ سِرُّهُ وَعَلَنُهُ، خَلِيقٌ بِأَنْ يُجْتَبَى مِثْلُهُ لِلرِّسَالَةِ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ، وَأَنَّهُ لَمْ يُعْرَضْ لَهُ حَتَّى يُدْعَى بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَى الْعَظِيمَةِ بِبَاطِلٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ سِلْمًا إِلَى النَّيْلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَاسْتِعْطَاءِ أَمْوَالِهِمْ، وَلَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، مَعَ إِبْرَازِ الْمَكْنُونِ مِنْ أَدْوَائِهِمْ، وَهُوَ إِخْلَالُهُمْ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّأَمُّلِ، وَاسْتِهْتَارُهُمْ بِدِينِ الْآبَاءِ الضُّلَّالِ مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ، وَتَعَلُّلُهُمْ: بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ بَعْدَ ظُهُورِ الْحَقِّ وَثَبَاتِ التَّصْدِيقِ مِنَ اللَّهِ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالْآيَاتِ النَّيِّرَةِ، وَكَرَاهَتُهُمْ لِلْحَقِّ، وَإِعْرَاضُهُمْ عَمَّا فِيهِ حَظُّهُمْ مِنَ الذِّكْرِ، يُحْتَمَلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ وَصِفَتُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ.

﴿لَنَاكِبُونَ﴾[1]، أَيْ: عَادِلُونَ عَنْ هَذَا الصِّرَاطِ الْمَذْكُورِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ فَهُوَ عَنِ الْقَصْدِ نَاكِبٌ؛ لَمَّا أَسْلَمَ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَامَةَ الْحَنَفِيُّ وَلَحِقَ بِالْيَمَامَةِ، وَمَنَعَ الْمِيرَةَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِالسِّنِينَ حَتَّى أَكَلُوا الْعِلْهِزَ.

جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ بُعِثْتَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؟ فَقَالَ: بَلَى، فَقَالَ: قَتَلْتَ الْآبَاءَ بِالسَّيْفِ، وَالْأَبْنَاءَ بِالْجُوعِ.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3]

وَالْمَعْنَى: لَوْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذَا الضُّرَّ، وَهُوَ الْهُزَالُ وَالْقَحْطُ الَّذِي أَصَابَهُمْ بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِمْ وَوَجَدُوا الْخِصْبَ؛ لَارْتَدُّوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِكْبَارِ وَعَدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْمُؤْمِنِينَ وَإِفْرَاطِهِمْ فِيهَا، وَلَذَهَبَ عَنْهُمْ هَذِهِ الْإِبْلَاسُ، وَهَذَا التَّمَلُّقُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَسْتَرْحِمُونَهُ.

وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّا أَخَذْنَاهُمْ أَوَّلًا بِالسُّيُوفِ، وَبِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قَتْلِ صَنَادِيدِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، فَمَا وُجِدَتْ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ اسْتِكَانَةٌ وَلَا تَضَرُّعٌ، حَتَّى فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابَ الْجُوعِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْأَسْرِ وَالْقَتْلِ، وَهُوَ أَطَمُّ الْعَذَابِ، فَأُبْسِلُوا السَّاعَةَ وَخَضَعَتْ رِقَابُهُمْ، وَجَاءَ أَعْتَاهُمْ وَأَشَدُّهُمْ شَكِيمَةً فِي الْعِنَادِ يَسْتَعْطِفُكَ، أَوْ مَحَنَّاهُمْ بِكُلِّ مِحْنَةٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجُوعِ، فَمَا رُؤِيَ فِيهِمْ لِينُ مَقَادَةٍ، وَهُمْ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا عُذِّبُوا بِنَارِ جَهَنَّمَ فَحِينَئِذٍ يُبْلَسُونَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾[1]، ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[2]؛ وَالْإِبْلَاسُ: الْيَأْسُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَقِيلَ: السُّكُوتُ مَعَ التَّحَيُّرِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَزْنُ اسْتَكَانَ؟

قُلْتُ: اسْتَفْعَلَ مِنَ الْكَوْنِ، أَيِ: انْتَقَلَ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ، كَمَا قِيلَ: اسْتَحَالَ، إِذَا انْتَقَلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ افْتَعَلَ مِنَ السُّكُونِ أُشْبِعَتْ فَتْحَةُ عَيْنِهِ، كَمَا جَاءَ:

بِمُنْتَزَاحِ

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: وَمَا تَضَرَّعُوا، أَوْ: فَمَا يَسْتَكِينُونَ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْمَعْنَى: مَحَنَّاهُمْ فَمَا وُجِدَتْ مِنْهُمْ عَقِيبَ الْمِحْنَةِ اسْتِكَانَةٌ، وَمَا مِنْ عَادَةِ هَؤُلَاءِ أَنْ يَسْتَكِينُوا وَيَتَضَرَّعُوا حَتَّى يُفْتَحَ عَلَيْهِمْ بَابُ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، وَقُرِئَ: "فَتَّحْنَا".

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[3]

---

[1] سورة الرُّومَ، الآية 12.

[2] سورة الزُّخْرُفَ، الآية 75.

[3] سورة ، الآية .

إِنَّمَا خَصَّ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ مَا لَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهَا، وَمُقَدَّمَةُ مَنَافِعِهَا أَنْ يُعْمِلُوا أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَأَفْعَالِهِ، ثُمَّ يَنْظُرُوا وَيَسْتَدِلُّوا بِقُلُوبِهِمْ.

وَمَنْ لَمْ يُعْمِلْهَا فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ عَادِمِهَا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[1]، إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَمُقَدَّمَةُ شُكْرِ النِّعْمَةِ فِيهَا الْإِقْرَارُ بِالْمُنْعِمِ بِهَا، وَأَنْ لَا يُجْعَلَ لَهُ نِدٌّ وَلَا شَرِيكٌ، أَيْ: تَشْكُرُونَ شُكْرًا قَلِيلًا.

وَ﴿مَا﴾[2]: مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ بِمَعْنَى: حَقًّا.

﴿ذَرَأَكُمْ﴾[3]: خَلَقَكُمْ وَبَثَّكُمْ بِالتَّنَاسُلِ، ﴿وَإِلَيْهِ﴾[4]: تُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ تَفَرُّقِكُمْ.

﴿وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[5]، أَيْ: هُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ وَهُوَ مُتَوَلِّيهِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَصْرِيفِهِمَا غَيْرُهُ، وَقُرِئَ: "يَعْقِلُونَ": بِالْيَاءِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو.

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ
إِنْ هَذَا إِلاّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[6]

أَيْ: قَالَ أَهْلُ مَكَّةَ كَمَا قَالَ الْكُفَّارُ قَبْلَهُمْ، الْأَسَاطِيرُ: جَمْعُ أَسْطَارٍ: جَمْعُ سَطْرٍ.

قَالَ رُؤْبَةُ:

إِنِّي

---

[1] سورة الْأَحْقَافَ، الآية 26.

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

وَأَسْطَارٌ سُطِرْنَ سَطْرًا

وَهِيَ: مَا كَتَبَهُ الْأَوَّلُونَ مِمَّا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَجَمْعُ أُسْطُورَةٍ أَوْفَقُ.

﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[1]

أَيْ: أَجِيبُونِي عَمَّا اسْتَعْلَمْتُكُمْ مِنْهُ إِنْ كَانَ عِنْدَكُمْ فِيهِ عِلْمٌ، وَفِي اسْتِهَانَةٍ بِهِمْ وَتَجْوِيزٍ لِفَرْطِ جَهَالَتِهِمْ بِالدِّيَانَاتِ: أَنَّ يَجْهَلُوا مِثْلَ هَذَا الظَّاهِرِ الْبَيِّنِ، وَقُرِئَ: "تَذَكَّرُونَ ": بِحَذْفِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ، وَمَعْنَاهُ: أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ فَتَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ فَطَرَ الأرض، وَمَنْ فِيهَا اخْتِرَاعًا، كَانَ قَادِرًا عَلَى إِعَادَةِ الْخَلْقِ، وَكَانَ حَقِيقًا بِأَلَّا يُشْرَكَ بِهِ بَعْضُ خَلْقِهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، قُرِئَ: "الْأَوَّلُ ": بِاللَّامِ لَا غَيْرَ، وَالْأَخِيرَانِ: بِاللَّامِ، وَهُوَ هَكَذَا فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ، وَبِغَيْرِ اللَّامِ: وَهُوَ هَكَذَا فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَبِاللَّامِ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ قَوْلَكَ مِنْ رَبِّهِ، وَلِمَنْ هُوَ: فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، وَبِغَيْرِ اللَّامِ عَلَى اللَّفْظِ.

وَيَجُوزُ قِرَاءَةُ الْأَوَّلِ بِغَيْرِ لَامٍ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَثْبُتْ فِي الرِّوَايَةِ، ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[2]: أَفَلَا تَخَافُونَهُ فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ وَتَعْصُوا رُسُلَهُ، أَجَرْتُ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ: إِذَا أَغَثْتَهُ مِنْهُ وَمَنَعْتَهُ، يَعْنِي: وَهُوَ يُغِيثُ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ يَشَاءُ، وَلَا يُغِيثُ أَحَدٌ مِنْهُ أَحَدًا، ﴿تُسْحَرُونَ﴾[3]: تُخْدَعُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَالْخَادِعُ: هُوَ الشَّيْطَانُ وَالْهَوَى.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

وَقُرِئَ: "أَتَيْتَهُمْ" وَ"أَتَيْتُهُمْ": بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ.

﴿بِالْحَقِّ﴾[2]: بِأَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَيْهِ مُحَالٌ وَالشِّرْكَ بَاطِلٌ.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[3]؛ حَيْثُ يَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا وَمَعَهُ شَرِيكًا.

﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[4]: لَانْفَرَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْآلِهَةِ بِخَلْقِهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَاسْتَبَدَّ بِهِ، وَلَرَأَيْتُمْ مُلْكَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُتَمَيِّزًا مِنْ مُلْكِ الْآخَرِينَ، وَلَغَلَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ كَمَا تَرَوْنَ حَالَ مُلُوكِ الدُّنْيَا مَمَالِكُهُمْ مُتَمَايِزَةٌ وَهُمْ مُتَغَالِبُونَ، وَحِينَ لَمْ تَرَوْا أَثَرًا لِتَمَايُزِ الْمَمَالِكِ وَلِلتَّغَالُبِ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذًا: لَا تَدْخُلُ إِلَّا عَلَى كَلَامٍ هُوَ جَزَاءٌ وَجَوَابٌ، فَكَيْفَ وَقَعَ قَوْلُهُ: لَذَهَبَ جَزَاءً وَجَوَابًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ؛ شَرْطٌ وَلَا سُؤَالُ سَائِلٍ؟

قُلْتُ: الشَّرْطُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَلَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ. وَإِنَّمَا حُذِفَ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[5]، عَلَيْهِ، وَهُوَ جَوَابٌ لِمَنْ مَعَهُ الْمُحَاجَّةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْلَادِ.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾[6]: بِالْجَرِّ صِفَةٌ لِلَّهِ، وَبِالرَّفْعِ: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية 91.

[6] سورة ، الآية .

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾[1]

مَا وَالنُّونُ: مُؤَكِّدَتَانِ، أَيْ: إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرِيَنِي مَا تَعِدُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَلا تَجْعَلْنِي﴾[2]: قَرِينًا لَهُمْ وَلَا تُعَذِّبْنِي بِعَذَابِهِمْ.

عَنِ الْحَسَنِ: أَخْبَرَهُ اللَّهُ أَنَّ لَهُ فِي أُمَّتِهِ نِقْمَةً وَلَمْ يُخْبِرْهُ أَفِي حَيَاتِهِ أَمْ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ نَبِيَّهُ الْمَعْصُومَ مَعَ الظَّالِمِينَ، حَتَّى يَطْلُبَ أَلَّا يَجْعَلَهُ مَعَهُمْ؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَسْأَلَ الْعَبْدُ رَبَّهُ مَا عَلِمَ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ؛ إِظْهَارًا لِلْعُبُودِيَّةِ، وَتَوَاضُعًا لِرَبِّهِ، وَإِخْبَاتًا لَهُ، وَاسْتِغْفَارُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً أَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ لِذَلِكَ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْحَسَنِ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: "وُلِّيتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ" كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرُهُمْ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ يَهْضِمُ نَفْسَهُ، وَقُرِئَ: "إِمَّا تُرِئَنَّهُمْ": بِالْهَمْزِ، مَكَانَ تُرِيَنِّي، كَمَا قُرِئَ: "فَإِمَّا تُرِئَنِّ"، وَ"لَتُرَؤُنَّ الْجَحِيمَ"، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ، وَقَوْلُهُ: "رَبِّ": مَرَّتَيْنِ قَبْلَ الشَّرْطِ وَقَبْلَ الْجَزَاءِ، حَثٌّ عَلَى فَضْلِ تَضَرُّعٍ وَجُؤَارٍ، وَكَانُوا يُنْكِرُونَ الْمَوْعِدَ بِالْعَذَابِ وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ وَاسْتِعْجَالُهُمْ لَهُ لِذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى إِنْجَازِ مَا وَعَدَ إِنْ تَأَمَّلْتُمْ، فَمَا وَجْهُ هَذَا الْإِنْكَارِ؟

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[3]

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

وَأَبْلَغُ مِنْ أَنْ يُقَالَ: بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّفْضِيلِ، كَأَنَّهُ قَالَ: ادْفَعْ بِالْحُسْنَى السَّيِّئَةَ، وَالْمَعْنَى: الصَّفْحُ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ وَمُقَابَلَتُهَا بِمَا أَمْكَنَ مِنَ الْإِحْسَانِ، حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الصَّفْحُ وَالْإِحْسَانُ وَبَذْلُ الِاسْتِطَاعَةِ فِيهِ: كَانَتْ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً بِإِزَاءِ سَيِّئَةٍ، وَهَذِهِ بِقَضِيَّةِ قَوْلِهِ: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: هِيَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالسَّيِّئَةُ: الشِّرْكُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: السَّلَامُ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَعَنِ الْحَسَنِ: الْإِغْضَاءُ وَالصَّفْحُ، وَقِيلَ: وَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَقِيلَ: مُحْكَمَةٌ؛ لِأَنَّ الْمُدَارَاةَ مَحْثُوثٌ عَلَيْهَا مَا لَمْ تُؤَدِّ إِلَى ثَلْمِ دِينٍ وَإِزْرَاءٍ بِمُرُوءَةٍ، ﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾[2]: بِمَا يَذْكُرُونَهُ مِنْ أَحْوَالِكَ بِخِلَافِ صِفَتِهَا، أَوْ بِوَصْفِهِمْ لَكَ وَسُوءِ ذِكْرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ وَأَقْدَرُ عَلَى جَزَائِهِمْ.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾[3]

الْهَمْزُ: النَّخْسُ، وَالْهَمَزَاتُ: جَمْعُ الْمَرَّةِ مِنْهُ، وَمِنْهُ: مِهْمَازُ الرَّائِضِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُثُّونَ النَّاسَ عَلَى الْمَعَاصِي وَيُغْرُونَهُمْ عَلَيْهَا، كَمَا تَهْمِزُ الرَّاضَّةُ الدَّوَابَّ حَثًّا لَهَا عَلَى الْمَشْيِ، وَنَحْوَ الْهَمْزِ: الْأَزُّ؛ فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[4]: أَمَرَ بِالتَّعَوُّذِ مِنْ نَخَسَاتِهِمْ بِلَفْظِ الْمُبْتَهِلِ إِلَى رَبِّهِ، الْمُكَرِّرِ لِنِدَائِهِ، وَبِالتَّعَوُّذِ مِنْ أَنْ يَحْضُرُوهُ أَصْلًا وَيَحُومُوا حَوْلَهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَنْ عِكْرِمَةَ: عِنْدَ النَّزْعِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]

﴿حَتَّى﴾[2]: يَتَعَلَّقُ بِيَصِفُونَ، أَيْ: لَا يَزَالُونَ عَلَى سُوءِ الذِّكْرِ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ، وَالْآيَةُ فَاصِلَةٌ بَيْنَهُمَا عَلَى وَجْهِ الِاعْتِرَاضِ وَالتَّأْكِيدِ لِلْإِغْضَاءِ عَنْهُمْ، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ عَلَى الشَّيْطَانِ أَنْ يَسْتَزِلَّهُ عَنِ الْحِلْمِ وَيُغْرِيَهُ عَلَى الِانْتِصَارِ مِنْهُمْ، أَوْ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[3]: خِطَابُ اللَّهِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ؛ كَقَوْلِهِ:

فَإِنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ

وَقَوْلِهِ:

أَلَا فَارْحَمُونِي يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ

إِذَا أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ وَاطَّلَعَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، أَدْرَكَتْهُ الْحَسْرَةُ عَلَى مَا فَرَّطَ فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ الرَّجْعَةَ، وَقَالَ: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾[4]: فِي الْإِيمَانِ الَّذِي تَرَكْتُهُ، وَالْمَعْنَى: لَعَلِّي آتِي بِمَا تَرَكْتُهُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَعْمَلُ فِيهِ صَالِحًا، كَمَا تَقُولُ: لَعَلِّي أَبْنِي عَلَى أُسٍّ، تُرِيدُ: أُؤَسِّسُ أُسًّا وَأَبْنِي عَلَيْهِ، وَقِيلَ: فِيمَا تَرَكْتُ مِنَ الْمَالِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِذَا عَايَنَ الْمُؤْمِنُ الْمَلَائِكَةَ قَالُوا: نُرْجِعُكَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: إِلَى دَارِ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ بَلْ قُدُومًا إِلَى اللَّهِ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَقُولُ: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[5]، ﴿كَلَا﴾[6]: رَدْعٌ عَنْ طَلَبِ الرَّجْعَةِ، وَإِنْكَارٌ وَاسْتِبْعَادٌ.

---

1 سورة ، الآية .
2 سورة ، الآية .
3 سورة ، الآية .
4 سورة ، الآية .
5 سورة ، الآية .
6 سورة ، الآية .

وَالْمُرَادُ بِالْكَلِمَةِ: الطَّائِفَةُ مِنَ الْكَلَامِ الْمُنْتَظِمِ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ؛ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، هُوَ قَائِلُهَا﴾[1]: لَا مَحَالَةَ، لَا يُخَلِّيهَا وَلَا يَسْكُتُ عَنْهَا؛ لِاسْتِيلَاءِ الْحَسْرَةِ عَلَيْهِ وَتَسَلُّطِ النَّدَمِ، أَوْ هُوَ قَائِلُهَا وَحْدَهُ لَا يُجَابُ إِلَيْهَا وَلَا تُسْمَعُ مِنْهُ.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾[2]، وَالضَّمِيرُ: لِلْجَمَاعَةِ، أَيْ: أَمَامَهُمْ حَائِلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّجْعَةِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ.

وَلَيْسَ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ يَوْمَ الْبَعْثِ؛ وَإِنَّمَا هُوَ إِقْنَاطٌ كُلِّيٌّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَا رَجْعَةَ يَوْمَ الْبَعْثِ إِلَّا إِلَى الْآخِرَةِ.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾[3]

﴿الصُّورِ﴾[4] -بِفَتْحِ الْوَاوِ-: عَنِ الْحَسَنِ، وَالصُّوَرُ -بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ- عَنْ أَبِي رَزِينٍ.

وَهَذَا دَلِيلٌ لِمَنْ فَسَّرَ الصُّوَرَ بِجَمْعِ الصُّورَةِ، وَنَفْيُ الْأَنْسَابِ: يَحْتَمِلُ أَنَّ التَّقَاطُعَ يَقَعُ بَيْنَهُمْ، حَيْثُ يَتَفَرَّقُونَ مُعَاقِبِينَ وَمُثَابِينَ، وَلَا يَكُونُ التَّوَاصُلُ بَيْنَهُمْ وَالتَّآلُفُ إِلَّا بِالْأَعْمَالِ، فَتَلْغُوا الْأَنْسَابُ وَتَبْطُلُ، وَأَنَّهُ لَا يُعْتَقَدُ بِالْأَنْسَابِ؛ لِزَوَالِ التَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ بَيْنَ الْأَقَارِبِ؛ إِذْ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "لَا يَسَّاءَلُونَ": بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي السِّينِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ نَاقَضَ هَذَا، وَنَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ﴾[1]، قَوْلَهُ: ﴿مُسْتَسْلِمُونَ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[2]، وَقَوْلَهُ: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[3]، فَكَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا؟

قُلْتُ: فِيهِ جَوَابَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَفِيهِ أَزْمِنَةٌ وَأَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ يَتَسَاءَلُونَ وَيَتَعَارَفُونَ فِي بَعْضِهَا، وَفِي بَعْضِهَا لَا يَفْطَنُونَ لِذَلِكَ لِشِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ.

– وَالثَّانِي: أَنَّ التَّنَاكُرَ يَكُونُ عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى، فَإِذَا كَانَتِ الثَّانِيَةُ، قَامُوا فَتَعَارَفُوا وَتَسَاءَلُوا.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[4]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْمَوَازِينُ: جَمْعُ مَوْزُونٍ، وَهِيَ الْمَوْزُونَاتُ مِنَ الْأَعْمَالِ، أَيِ: الصَّالِحَاتُ، الَّتِي لَهَا وَزْنٌ وَقَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ؛ مِنْ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[5].

﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[6]: بَدَلٌ مِنْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَلَا مَحَلَّ لِلْبَدَلِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الصِّلَةَ لَا مَحَلَّ لَهَا، أَوْ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ لِأُولَئِكَ، أَوْ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، ﴿تَلْفَحُ﴾:[7] تَسْفَعُ.

---

[1] سورة الْمَعَارِجَ، الآية 10.

[2] سورة الصَّافَّاتِ، الآية 27.

[3] سورة يُونُس، الآية 45.

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة الْكَهْفَ، الآية 105.

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: اللَّفْحُ وَالنَّفْحُ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّ اللَّفْحَ أَشَدُّ تَأْثِيرًا، وَالْكُلُوحُ: أَنْ تَتَقَلَّصَ الشَّفَتَانِ وَتَتَشَمَّرَا عَنِ الْأَسْنَانِ؛ كَمَا تَرَى الرُّؤُوسَ الْمَشْوِيَّةَ.

وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: كَانَ سَبَبُ تَوْبَةِ عُتْبَةَ الْغُلَامِ أَنَّهُ مَرَّ فِي السُّوقِ بِرَأْسٍ أُخْرِجَ مِنَ التَّنُّورِ فَغُشِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَالَ: "تَشْوِيهِ النَّارُ فَتَقْلُصُ شَفَتُهُ الْعُلْيَا حَتَّى تَبْلُغَ وَسَطَ رَأْسِهِ، وَتَسْتَرْخِي شَفَتُهُ السُّفْلَى حَتَّى تَبْلُغَ سُرَّتَهُ"، وَقُرِئَ: "كَلِحُونَ".

﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[1]

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾[2]: مَلَكَتْنَا، مِنْ قَوْلِكَ: غَلَبَنِي فُلَانٌ عَلَى كَذَا: إِذَا أَخَذَهُ مِنْكَ وَامْتَلَكَهُ، وَالشَّقَاوَةُ: سُوءُ الْعَاقِبَةِ الَّتِي عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَهَا بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ، قُرِئَ: "شِقْوَتُنَا"، وَشَقَاوَتُنَا بِفَتْحِ الشِّينِ وَكَسْرِهَا فِيهِمَا.

﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾[3]: ذُلُّوا فِيهَا وَانْزَجِرُوا كَمَا تَنْزَجِرُ الْكِلَابُ إِذَا زُجِرَتْ، يُقَالُ: خَسَأَ الْكَلْبُ وَخَسَأَ بِنَفْسِهِ.

﴿وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[4]: فِي رَفْعِ الْعَذَابِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْفَعُ وَلَا يُخَفَّفُ، قِيلَ: هُوَ آخِرُ كَلَامٍ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ، ثُمَّ لَا كَلَامَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الشَّهِيقُ وَالزَّفِيرُ وَالْعُوَاءُ كَعُوَاءِ الْكِلَابِ لَا يَفْهَمُونَ وَلَا يُفْهِمُونَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ لَهُمْ سِتَّ دَعَوَاتٍ: إِذَا دَخَلُوا النَّارَ قَالُوا: أَلْفَ سَنَةٍ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾[5]، فَيُجَابُونَ: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[6]، فَيُنَادُونَ أَلْفًا: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾[7]،

---

[1] سورة ، الآية .
[2] سورة ، الآية .
[3] سورة ، الآية .
[4] سورة ، الآية .
[5] سورة ، الآية .

فَيُجَابُونَ: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾[1]، فَيُنَادُونَ أَلْفًا: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[2]، فَيُجَابُونَ: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[3]، فَيُنَادُونَ أَلْفًا: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾[4]، فَيُجَابُونَ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾[5]، فَيُنَادُونَ أَلْفًا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[6]، فَيُجَابُونَ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾[7]، فَيُنَادُونَ أَلْفًا: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾[8]، فَيُجَابُونَ: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾[9].

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[10]

فِي حَرْفِ أُبَيٍّ: أَنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ، بِالْفَتْحِ، بِمَعْنَى: لِأَنَّهُ.

السُّخْرِيُّ -بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ-: مَصْدَرُ سَخِرَ كَالسَّخْرِ، إِلَّا أَنَّ فِي يَاءِ النَّسَبِ زِيَادَةَ قُوَّةٍ فِي الْفِعْلِ، كَمَا قِيلَ: الْخُصُوصِيَّةُ فِي الْخُصُوصِ.

وَعَنِ الْكِسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ: أَنَّ الْمَكْسُورَ مِنَ الْهُزْءِ، وَالْمَضْمُومَ مِنَ السُّخْرَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ، أَيْ: تَسَخَّرُوهُمْ وَاسْتَعْبَدُوهُمْ، وَالْأَوَّلُ: مَذْهَبُ الْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ، قِيلَ: هُمُ الصَّحَابَةُ، وَقِيلَ: أَهْلُ الصُّفَّةِ خَاصَّةً، وَمَعْنَاهُ: اتَّخَذْتُمُوهُمْ هُزُؤًا وَتَشَاغَلْتُمْ بِهِمْ سَاخِرِينَ.

---

6 سورة ، الآية .
7 سورة ، الآية .
1 سورة ، الآية .
2 سورة ، الآية .
3 سورة ، الآية .
4 سورة ، الآية .
5 سورة ، الآية .
6 سورة ، الآية .
7 سورة ، الآية .
8 سورة ، الآية .
9 سورة ، الآية .
10 سورة ، الآية .

﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ﴾[1]: بِتَشَاغُلِكُمْ بِهِمْ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، ﴿ذِكْرِي﴾[2]: فَتَرَكْتُمُوهُ، أَيْ: تَرَكْتُمْ أَنْ تَذْكُرُونِي، فَتَخَافُونِي فِي أَوْلِيَائِي، وَقُرِئَ: "أَنَّهُمْ": بِالْفَتْحِ، فَالْكَسْرُ، اسْتِئْنَافٌ، أَيْ: قَدْ فَازُوا؛ حَيْثُ صَبَرُوا، فَجُزُوا بِصَبْرِهِمْ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ، وَبِالْفَتْحِ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ جِزْيَتُهُمْ؛ كَقَوْلِكَ: جِزْيَتُهُمْ فَوْزَهُمْ.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]

﴿قَالَ﴾[4]: فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، "وَقُلْ": فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ؛ فَفِي ﴿قَالَ﴾[5]: ضَمِيرُ اللَّهِ أَوِ الْمَأْمُورِ بِسُؤَالِهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَفِي "قُلْ" ضَمِيرُ الْمَلَكِ أَوْ بَعْضِ رُؤَسَاءِ أَهْلِ النَّارِ.

اسْتَقْصَرُوا مُدَّةَ لُبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى خُلُودِهِمْ وَلِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابِهَا؛ لِأَنَّ الْمُمْتَحَنَ يَسْتَطِيلُ أَيَّامَ مِحْنَتِهِ وَيَسْتَقْصِرُ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنْ أَيَّامِ الدَّعَةِ إِلَيْهَا، أَوْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي سُرُورٍ، وَأَيَّامُ السُّرُورِ قِصَارٌ، أَوْ لِأَنَّ الْمُنْقَضِيَ فِي حُكْمِ مَا لَمْ يَكُنْ، وَصَدَقَهُمُ اللَّهُ فِي تَقَالِّهِمْ لِسِنِي لُبْثِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَوَبَّخَهُمْ عَلَى غَفْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، وَقُرِئَ: "فَسَلِ الْعَادِّينَ "، وَالْمَعْنَى: لَا نَعْرِفُ مِنْ عَدَدِ تِلْكَ السِّنِينَ إِلَّا أَنَّا نَسْتَقِلُّهُ وَنَحْسَبُهُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ؛ لِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا فِينَا أَنْ نَعُدَّهَا، فَسَلْ مَنْ فِيهِ أَنْ يُعَدَّ، وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُلْقِيَ إِلَيْهِ فِكْرُهُ، وَقِيلَ: فَسَلِ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَعُدُّونَ أَعْمَارَ الْعِبَادِ وَيُحْصُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَقُرِئَ: "الْعَادِينَ": بِالتَّخْفِيفِ، أَيِ: الظَّلَمَةَ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ كَمَا نَقُولُ، وَقُرِئَ: "الْعَادِيِّينَ"، أَيِ: الْقُدَمَاءَ الْمُعَمَّرِينَ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَقْصِرُونَهَا، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمْ؟

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنْسَاهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[1]

﴿عَبَثًا﴾[2]: حَالٌ، أَيْ: عَابِثِينَ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لَاعِبِينَ﴾[3]. أَوْ مَفْعُولٌ لَهُ، أَيْ: مَا خَلَقْنَاكُمْ لِلْعَبَثِ، وَلَمْ يَدْعُنَا إِلَى خَلْقِكُمْ إِلَّا حِكْمَةٌ اقْتَضَتْ ذَلِكَ، وَهِيَ: أَنْ نُتْعِبَكُمْ وَنُكَلِّفَكُمُ الْمَشَاقَّ مِنَ الطَّاعَاتِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي، ثُمَّ نُرْجِعَكُمْ مِنْ دَارِ التَّكْلِيفِ إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ، فَنُثِيبُ الْمُحْسِنَ وَنُعَاقِبُ الْمُسِيءَ.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[4]: مَعْطُوفٌ عَلَى:﴿ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾[5]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى: ﴿عَبَثًا﴾[6]، أَيْ: لِلْعَبَثِ، وَلِتَرْكِكُمْ غَيْرَ مَرْجُوعِينَ، وَقُرِئَ: "تَرْجِعُونَ": بِفَتْحِ التَّاءِ.

﴿الْحَقُّ﴾[7]: الَّذِي يَحِقُّ لَهُ الْمُلْكُ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ وَإِلَيْهِ، أَوِ الثَّابِتُ الَّذِي لَا يَزُولُ وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ، وُصِفَ الْعَرْشُ بِالْكَرَمِ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ مِنْهُ وَالْخَيْرَ وَالْبَرَكَةَ، أَوْ لِنِسْبَتِهِ إِلَى أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ، كَمَا يُقَالُ: بَيْتٌ كَرِيمٌ: إِذَا كَانَ سَاكِنُوهُ كِرَامًا، وَقُرِئَ: "الْكَرِيمُ": بِالرَّفْعِ؛ وَنَحْوُهُ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[8].

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة ، الآية .

[3] سورة الْأَنْبِيَاءَ، الآية 16.

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

[7] سورة ، الآية .

[8] سورة الْبُرُوجَ، الآية 15.

﴿لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[1]؛ كَقَوْلِهِ: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[2]، وَهِيَ: صِفَةٌ لَازِمَةٌ؛ نَحْوَ قَوْلِهِ: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[3]، جِيءَ بِهَا لِلتَّوْكِيدِ لَا أَنْ يَكُونَ فِي الْآلِهَةِ مَا يَجُوزُ أَنْ يَقُومَ عَلَيْهِ بُرْهَانٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اعْتِرَاضًا بَيْنَ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ؛ كَقَوْلِكَ: مَنْ أَحْسَنَ إِلَى زَيْدٍ لَا أَحَقُّ بِالْإِحْسَانِ مِنْهُ، فَاللَّهُ مُثِيبُهُ، وَقُرِئَ: أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَمَعْنَاهُ: حِسَابُهُ عَدَمُ الْفَلَاحِ، وَالْأَصْلُ: حِسَابُهُ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ هُوَ، فَوُضِعَ الْكَافِرُونَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ؛ لِأَنَّ "مِنْ يَدُعُّ": فِي مَعْنَى الْجَمْعِ؛ وَكَذَلِكَ: "حِسَابُهُ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ" فِي مَعْنَى حِسَابِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُفْلِحُونَ.

جَعَلَ فَاتِحَةَ السُّورَةِ:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[4]، وَأَوْرَدَ فِي خَاتِمَتِهَا: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[5]، فَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْفَاتِحَةِ وَالْخَاتِمَةِ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْمُؤْمِنُونَ بَشَّرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ عِنْدَ نُزُولِ مَلَكِ الْمَوْتِ".

وَرُوِيَ: "أَنَّ أَوَّلَ سُورَةٍ قَدْ أَفْلَحَ وَآخِرُهَا مِنْ كُنُوزِ الْعَرْشِ، مَنْ عَمِلَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا، وَاتَّعَظَ بِأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا: فَقَدْ نَجَا وَأَفْلَحَ".

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ يُسْمَعُ عِنْدَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَمَكَثْنَا سَاعَةً، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَهُ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا" ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ" ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[6] حَتَّى خَتَمَ الْعَشْرَ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة آلَ عِمْرَانَ، الآية 115.

[3] سورة الْأَنْعَامَ، الآية 38.

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة ، الآية .

[6] سورة ، الآية .

محتويات الكتاب

مخطوطات الكتاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء الحادي عشر **19 – 52**

سُورَةُ طَهَ		
﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأرض وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا﴾		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾		
﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾		
﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾		
﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾		
﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾		
﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾		

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾		
﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾		
﴿قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾		
﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾		
﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾		
﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾		
﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾		
﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾		
﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾		
﴿قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾		
﴿قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ		

جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾		
﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾		
﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنَ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾		
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾		
﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾		
﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾		
﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾		
﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾		
﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾		
﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾		

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾		
﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾		
﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾		
﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾		
﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾		
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾		
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾		
﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى		

أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾		
﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾		
﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبُّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾		
﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾		
﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾		
﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾		
﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾		
﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾		
﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾		
﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ		

﴿وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾		
﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾		
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾		
﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾		
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾		
﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾		
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾		
﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾		
﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾		
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾		
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾		
﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾		
﴿إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾		
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾		

﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾		
﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾		
﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾		
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾		
﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾		
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى﴾		
﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾		
﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾		
﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾		
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾		
﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾		
سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ		
﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾		
﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ		

		يَلْعَبُونَ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾
		﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأرض وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
		﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾
		﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾
		﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾
		﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾
		﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾
		﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾
		﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾
		﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾
		﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾
		﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأرض هُمْ يُنْشِرُونَ﴾
		﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهُ رَبِّ

الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾		
﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾		
﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾		
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾		
﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾		
﴿وَجَعَلْنَا فِي الأرض رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾		
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾		
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾		
﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾		
﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾		

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾		
﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾		
﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾		
﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾		
﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾		
﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾		
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾		
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾		
﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾		
﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾		

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾		
﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرض الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾		
﴿وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾		
﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾		
﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾		
﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾		
﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾		
﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾		
﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾		
﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾		
﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾		
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾		
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾		
﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾		
﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ		

الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾		
﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾		
﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾		
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾		
﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾		
﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾		
﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾		
﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾		
﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾		
﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾		

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾		
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾		
﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾		
﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾		
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾		
﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾		
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرض يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾		
﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾		
﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾		
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾		
﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا		

تَصِفُونَ﴾		
سُورَةُ الْحَجِّ		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾		
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنَ تُرَابٍ ثُمَّ مِنَ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنَ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنَ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مِنَ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مِنَ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنَ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأرض هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنَ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾		
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا		

		لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾
		﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾
		﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾
		﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
		﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرض وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مَنْ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مَنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾
		﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾
		﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾		
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾		
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾		
﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾		
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾		
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾		
﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾		
﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		
﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ		

وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾		
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهُ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾		
﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾		
﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾		
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرض فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾		
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾		
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ		

يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾		
﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾		
﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾		
﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾		
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾		
﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾		
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلَ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾		
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأرض مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾		

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾		
﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾		
﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأرض إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾		
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾		
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾		
﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾		
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾		
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ		

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾		
سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ		
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾		
﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾		
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾		
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾		
﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ		

		قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ إِنْ هُوَ إِلّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾
		﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مِنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾
		﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾
		﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾
		﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾
		﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
		﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾
		﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾		
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾		
﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾		
﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾		
﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾		
﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾		
﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾		
﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾		
﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾		
﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾		

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾		
﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾		
﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾		
﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾		
﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾		
﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾		
﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾		
﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾		
﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ		

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾		
﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾		
﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾		
﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾		
﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾		
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾		
﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾		
﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾		
﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَإِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾		
﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾		

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾		

محتويات الكتاب 61 – 64

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع